المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة :

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[1] ، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾[2] ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[3] .

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله عز وجل وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار .

ثم أما بعد :

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٠٢

(٢)سورة النساء الآية ١

(٣) سورة الأحزاب الآية ٧٠ - ٧١

فإن أعظم العلوم وأجلها علم التوحيد الذي موضوعه معرفة الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلا ، والقيام بعبادته حق القيام .

وقد قيض الله لهذه الأمة المحمدية رجالا فقهوا كتاب ربهم وسنة نبيه يزدون عن هذا الدين تحريف الغاليين وتلبيس الجاهلين وانتحال المبطلين ، يردون على أهل البدع بالحجج القوية والبراهين الساطعة .

ومن هؤلاء العلماء الأماجد الذي خدموا الدين حافظ الأندلس يوسف بن عبد البر النمري الذي يعد علما من علماء هذه الأمة المحمدية ، صرف وقته وبذلك جهده وقضى عمره في خدمة هذا الدين فجزاه الله عن الإسلام وأهله خير الجزاء .

وإني لما عزمت على اختيار موضوع رسالة لمرحلة (الماجستير) جال في خاطري شخصية الإمام ابن عبد البر وما ذلك إلا لارتباطي بهذا العلم منذ وأن كنت في المرحلة الثانوية فقد زرت مكتبة الحرم المدني ووقع في يدي سفره العظيم (التمهيد) ووقتها تمنيت أن أقرؤه قراءة تفحص وتدبر ، وقد تم لي ذلك والحمد لله في بحثي هذا – من وجهة عقدية –، فأخذت أبحث في شخصية هذا الرجل العظيم إلى أن أستقر بي الرأي بعد الاستشارة والاستخارة فتوكلت على الله في اختيار هذا الجهد المتواضع بعنوان :

((موقف الإمام ابن عبد البر من الفرق والأديان جمعا ودراسة))

راجيا من الله عز وجل التوفيق والسداد

أهمية الموضوع وأسباب اختياره :

١. إن أئمة أهل السنة والجماعة منذ القرن الأول إلى عصرنا الحاضر ينهلون من معين واحد في توضيح العقائد والرد على شبه المخالفين وأهل البدع والضلال .

٢. الرد على بعض أهل البدع المعاصرين في أن التحدث في العقائد والردود على المخالفين لم تكن معروفة إلا على يد ابن تيمية وتلميذه ابن القيم ومن بعدهم الشيخ محمد ابن عبد الوهاب وتلاميذه .

٣. بيان أن أهل السنة لم يكونوا في معزل عن معالجة القضايا العقدية ورد شبه المخالفين في كتبهم الفقهية التي لم تؤلف أصلا في القضايا العقدية وذلك بيان منهم في أن الدين لا يتجزأ وأنه كل متكامل لا تنفصل أجزاؤه عن بعض وأن جميع فروع الشريعة تنبثق من العقائد أولا .

٤. بيان موسوعية أهل السنة والجماعة من مؤلفاتهم .

٥. ما تميز به الإمام ابن عبد البر من موسوعيته وجمال بيانه وحسن ترتيبه لكتبه وأدبه مع أهل العلم وإنصافه مع المخالفين .

٦. أن أهل السنة والجماعة مهما اختلفت أزمانهم وأوطانهم فإن مرجعهم لا يتغير وموردهم لا ينضب وهو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

٧. بيان موقف ابن عبد البر من الفرق والأديان ورد شبههم وإبراز معتقد أهل السنة والجماعة من خلال رده عليهم ودحض شبههم .

الدراسات السابقة :

لم أطلع بعد البحث ومراجعة الفهارس وسؤال المختصين على دراسة تتعلق بهذا الجانب من جهود ابن عبد البر العلمية ، ولكن توجد ثلاث دراسات تتعلق بابن عبد البر من الجانب العقدي ، وهي :

الدراسة الأولى : أطروحة ماجستير في قسم العقيدة بالجامعة الإسلامية ، عنوانها ((منهج ابن عبد البر في الأسماء والصفات)) لشيخنا الدكتور صالح العقيل ، نوقشت عام ١٤٠٩ هـ ، وهي كما يتضح من العنوان أن الدراسة منصبة على موقف ابن عبد البر من الأسماء والصفات ، وموافقته أو مخالفته لمنهج أهل السنة والجماعة .

الدراسة الثانية : بعنوان ((عقيدة الإمام ابن عبد البر في التوحيد والإيمان)) للدكتور سليمان الغصن ، وهي رسالة ماجستير في العقيدة قدمت في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٤٠٩ هـ ولم تتطرق لموقف ابن عبد البر من الفرق .

الدراسة الثالثة : بعنوان ((الآثار الواردة في مباحث العقيدة في التمهيد لابن عبد البر)) جمعا ودراسة للدكتور أبو بكر شهال ، وهي أطروحة دكتوراة قدمت عام ١٤٢٣ هـ ، وقد ذكر الباحث الآثار التي أوردها ابن عبد البر في كتابه التمهيد في الفرق ، ولم يذكر أقوال ابن عبد البر وآراءه ومناقشة الفرق والرد عليهم ، وذكر مقولاتهم ودحض

شبههم . ثم إن هذه الدراسة ذكر فيها الباحث الآثار التي وردت في التمهيد فقط .

أما دراستي :فستقوم على كل مؤلفات ابن عبد البركتاب التمهيد والاستذكار والاستيعاب وغيرها من كتبه في ذكر مقالات الفرق والأديان ومناقشتهم ورد الإمام ابن عبد البر عليهم .

خطة البحث :

يتكون البحث منمقدمةوتمهيد وبابين وخاتمة وفهارس فنية :

المقدمة وتشمل على الافتتاحية وأهمية الموضوع وأسباب اختياره والدراسات السابقة وخطة البحث ومنهج البحث .

التمهيد : التعريف بابن عبد البر وفيه ستة مباحث :

المبحث الأول : اسمه ، نسبه ، مولده ووفاته .

المبحث الثاني : نشأته العلمية .

المبحث الثالث : شيوخه وتلاميذه .

المبحث الرابع : عقيدته .

المبحث الخامس : ثناء العلماء عليه .

المبحث السادس : مؤلفاته .

الباب الأول : موقف ابن عبد البر من الفرق وفيه ستة فصول :

الفصل الأول : موقفه من الخوارج وفيه ستة مباحث :

المبحث الأول : ذكر ابن عبد البر لأسماء الخوارج وألقابهم وبعض فرقهم .

المبحث الثاني : رد ابن عبد البر على الخوارج في احتجاجاتهم بآيات من كتاب الله على مذهبهم في التكفير .

المبحث الثالث : رد ابن عبد البر على الخوارج في تكفيرهم لبعض الصحابة .

المبحث الرابع : رد ابن عبد البر على قول الخوارج في الإيمان ومرتكب الكبيرة .

المبحث الخامس : رد ابن عبد البر على الخوارج في إنكارهم لصلاة الجماعة .

المبحث السادس : رد ابن عبد البر على الخوارج في إنكارهم لبعض أشراط الساعة ومواقف القيامة .

الفصل الثاني : موقف ابن عبد البر من الرافضة ، وفيه خمسة مباحث :

المبحث الأول : ذكر ابن عبد البر لفرق الرافضة .

المبحث الثاني : قول ابن عبد البر بتبديع الرافضة وكراهة التشبه بهم وعدم الصلاة خَلفهم

المبحث الثالث : رد ابن عبد البر على الرافضة في قولهم بالبداء .

الفصل الثالث : موقف ابن عبد البر من المرجئة وفيه ثمانية مباحث :

المبحث الثامن : رد ابن عبد البر على من لم يفرق بين الكفر والذنب .

الفصل الرابع : موقف ابن عبد البر من الجهمية والمعتزلة وفيه خمسة مباحث :

المبحث الأول : بيان ابن عبد البر أن الجهمية والمعتزلة أصحاب بدع وأهواء وضلالات .

المبحث الثاني : رد ابن عبد البر على من عطل الصفات الإلهية في الجملة .

المبحث الثالث : رد ابن عبد البر على الجهمية والمعتزلة في تعطيلهم الصفات .

المبحث الرابع : رد ابن عبد البر على القائلين بالحلول .

المبحث الخامس : رد ابن عبد البر على مقولة المعتزلة في مرتكب الكبيرة .

الفصل الخامس : موقف ابن عبد البر من القدرية وفيه ستة مباحث :

المبحث الأول : ذم ابن عبد البر للقدرية وإيراده آثارا في ذلك .

المبحث الثاني : مناقشة ابن عبد البر لرأي القدرية في حديث احتجاج آدم وموسى عليهما السلام .

المبحث الثالث : موقف ابن عبد البر من كتابهم التوراة .

المبحث الرابع : موقف ابن عبد البر من التعامل معهم .

المبحث الخامس : بيان ابن عبد البر صفات اليهود وأخلاقهم .

المبحث السادس : بيان ابن عبد البر لعداوة اليهود للمسلمين .

الفصل الثاني : موقف ابن عبد البر من النصرانية ، وفيه خمسة مباحث :

المبحث الأول : فرق النصارى التي ذكرها ابن عبد البر .

المبحث الثاني : بيان أن عيسى عليه السلام رسول من عند الله وليس ابنا له ، ورده على النصارى في ذلك .

المبحث الثالث : بيان أسباب ضلال النصارى .

المبحث الرابع : موقف ابن عبد البر من صلب المسيح وموته ورفعه .

المبحث الخامس : موقف ابن عبد البر من نزول المسيح آخر الزمان وتحاكمه إلى شريعة محمد ﷺ .

الفصل الثالث : موقف ابن عبد البر من الديانات الأخرى ((الصابئة والمشركون والمجوس ، وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : تصنيف ابن عبد البر للفرق المنتسبة لهذه الديانات .

المبحث الثاني : موقف ابن عبد البر من هذه الفرق .

المبحث الثالث : موقف ابن عبد البر من التعامل معهم الحكم عليهم .

الخاتمة : وتتضمن أهم النتائج

الفهارس :

فهرس الآيات القرآنية .

فهرس الأحاديث الشريفة

فهرس الآثار

فهرس الأعلام المترجمين

فهرس الفرق والطوائف والأديان

فهرس المصطلحات العلمية والألفاظ الغريبة .

فهرس المصادر والمراجع

فهرس الموضوعات

منهج البحث :

١. جمع المسائل العقدية التي رد الإمام فيها على الفرق والأديان مما قرره أو رجحه ومما نقله عن غيره في معرض الاستشهاد .

٢. تصنيف هذه الأقوال على حسب خطة البحث .

٣. ذكر قول الإمام ابن عبد البر في كل مسألة ثم ذكر أقوال أهل السنة والجماعة في ذلك .

٤. في حالة مخالفة ابن عبد البر لبعض أقوال أهل السنة والجماعة فإني أذكر المسألة وأبين فيها موقفه لمنهج أهل السنة والجماعة في ذلك .

٥. عزو الآيات إلى مواضعها في القرآن الكريم بذكر سورها وأرقامها مع كتابتها بالرسم العثماني .

٦. عزو الأحاديث والآثار فإن لم تكن في الصحيحين أو إحداهما بحثت عنها في مظانها من كتب الحديث ، ثم ذكرت حكم العلماء عليها .

٧. توثيق النصوص والنقول من مصادرها الأصلية .

٨. التعريف بالأعلام غير المشهورين وبالفرق والطوائف والأماكن .

٩. الالتزام بعلامات الترقيم وضبط ما يحتاج إلى ضبط .

التمهيد
التعريف بابن عبد البر

المبحث الأول

أسمه ، نسبه ، مولده ووفاته

هو الإمام الحافظ الفقيه العلامة يوسف بن عبد الله بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي ، كنيته (أبو عمر) ، ويلقب بجمال الدين[1] .

وهو عربي الأرومة ينتسب إلى قبيلة النمر بن قاسط وهي قبيلة من العرب العدنانيين الذين دخلوا الأندلس مع طلائع الفتح الإسلامي أو بعده[2] .

أما نسبته إلى قرطبة فهي بلده التي ولد فيها وتربى ، وقد كانت عاصمة الخلافة الإسلامية بالأندلس وقبلة العلماء في زمانه ، وقد نسب إلى هذه المدينة عشرات العلماء[3] .

مولده ووفاته :

ولد الإمام ابن عبد البر يوم الجمعة الخامس والعشرين من ربيع الثاني سنة ثمان وستين وثلاثمئة هجرية في مدينة قرطبة بالأندلس والفترة التي ولد فيها تعرف بعهد العامريين لتسلم الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر مقاليد الحكم خلالها[4] .

أما وفاته فكانت في يوم الجمعة آخر يوم من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وستين وأربعمئة

---

(١) انظر جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص ٣٠٢ ، وجذوة المقتبس للحميدي ص ٣٦٧ ، والصلة لابن بشكوال ٢ / ٦٧٧ ، وبغية الملتمس للضبي ص ٤٨٩ ، ونفح الطيب ٢ / ١١٦ ، ومقدمة محقق كتاب الاستغناء لابن عبد البر ، وابن عبد البر وجهوده في التاريخ لليث سعود جاسم ص ١١٣

(٢) انظر : الإنباه على قبائل الرواة لابن عبد البر ص ٩٧

(٣) انظر : ترتيب المدارك وتقريب المسالك للقاضي عياض ٨ / ١٣٠

(٤) انظر الصلة لابن بشكوال ٢ / ٦٤٢

عن عمر يناهز الخامسة والتسعين سنة وصلى عليه تلميذه وصاحبه أبو الحسن طاهر بن مفوز المجافري وفي السنة نفسها توفي حافظ المشرق الخطيب البغدادي فقال الناس : مات حافظا المغرب والمشرق[1] .

رحم الله حافظ المغرب الإمام ابن عبد البر وأسكنه فسيح جناته وجزاه عن الإسلام وأهله وطلاب العلم خير الجزاء .

---

(١) انظر : الصلة ٢ / ٦١٨ ، وفيات الأعيان ١ / ٩٢

المبحث الثاني

نشأته العلمية

نشأ ابن عبد البر في مدينة قرطبة نشأة علمية في بيت علم وديانة وصلاح وقد أثرت فيه هذه النشأة فمهدت له وسائل الثقافة العميقة والتربية الصحيحة وولدت فيه عوامل الطموح والنبوغ المبكرين[١] .

فوالده هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي[٢] من فقهاء قرطبة وعلمائها ، وجده هو محمد بن عبد البر النمري[٣] من أهل قرطبة كان من العلماء العاملين ، ومن الزهاد المنقطعين إلى الله .

وقد وجه أبو محمد عبد الله بن عبد البر ابنه يوسف إلى العلم منذ نعومة أظفاره وألحقه بالكتاتيب أولا فحفظ القرآن وتعلم القراءة والكتابة والحساب ثم ألحقه بعدد من المؤدبين المشهورين في قرطبة في ذلك العصر ، إلا أن المنية وافت عبد الله بن عبد البر وسن ابنه يوسف ثني عشرة سنة فتولت أمه العناية بهذا الصبي النابه فدفعته إلى تعلم العلم والتلقي علي يد المشايخ المعروفين في عصره ، وكانت هذه هي المرحلة التالية من حياة ابن عبدالبر في التلقي على يد الشيوخ المنتشرين في مدينة قرطبة[٤] ، ومن أشهرهم أحمد بن عبد الله الباجي[٥] وقد كان هذا الشيخ ذا علم جم ؛ فأخذ عنه ابن عبد البر الفقه والحديث

---

(١) الصلة ٢ / ٦٤٢ ، وفيات الأعيان ٦ / ١١

(٢) ترتيب المدارك ٤ / ٥٥٠

(٣) التكملة لكتاب الصلة للقضاعي ١ / ٣٧١

(٤) انظر ابن عبد البر وجهوده في التاريخ صـــ ١١٣

(٥) انظر ترجمته في المبحث التالي

وعلم الرجال ، يقول ابن عبد البر متحدثا عن شيخه هذا :

((قرأت على أبي عمر أحمد بن عبد الله الباجي كتاب المنتقى لأبي محمد بن الجارود ، .... وكتاب الضعفاء والمتروكين لابن الجارود وكتاب أبي حنيفة لابن الجارود ، وكتاب الآحاد لابن الجارود))[1] .

وكانت له عناية خاصة بالموطأ فقد أخذه عن شيخه سعيد بن نصر يذكر هذا ابن عبد البر فيقول :

((لفظا منه قراءة علي من كتابه – رحمه الله – وأنا أنظر في كتابي))[2] ، كما أخذ الموطأ على يد أحمد بن قاسم التاهرتي قراءة عليه والشيخ يسمع ، كما أخذ مؤلفات الطبري منها " التاريخ " على يد العالم المشهور ابن الجسور ، وغيره من علماء الأندلس الذين سنذكرهم لاحقا والذين كان لهم الأثر الواضح في إبراز شخصيته العلمية وموسوعيته المعرفية[3] .

ومع أن ابن عبد البر لم يرحل خارج الأندلس إلا أنه تنقل في الأندلس من شرقها إلى غربها حتى حصل العلم والأسانيد العالية من علماء الأندلس ، وطال عمره حتى تفرد بعلو الإسناد وصار مقصد الطلاب[4] .

---

(١) الحميدي . الجذوة ١ / ٢٠٤

(٢) ابن عبد البر . التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ١ / ١١ تحقيق مجموعة من العلماء ، نشر وزارة الأوقاف المغربية

(٣) انظر الجذوة ١ / ٢٢٠ ، والصلة ١ / ١٤٠

(٤) انظر مقدمة كتاب الاستغناء لابن عبد البر تحقيق د. عبد الله السوالمه ١ / ٢٧ وابن عبد البر وجهوده في التاريخ . صــ ١١٣ وما بعدها

وقيل إنه كان في أول أمره ظاهريا أثريا ثم انتقل إلى مذهب مالك ، وكان مع ذلك فيه ميل لمذهب الشافعي في بعض المسائل ، دعاه لذلك اتباعه للدليل وسيره معه حيث سار فهو مجتهد في المذهب وليس مقلدا[1] .

(١) انظر سير أعلام النبلاء ١٨ / ١٥٧ ، تذكرة الحفاظ ٣ / ١١٣٠

المبحث الثالث

شيوخه وتلاميذه

كان ابن عبد البر – رحمه الله – شغوفا بالعلم ، فلا غرابة أن نرى له شيوخا كثر ، وقد تتبع بعض الباحثين شيوخ ابن عبد البر فوجدهم ما يقرب من مئة شيخ[1] ولكن هنا سأذكر أهم شيوخه الذين تأثر بهم :

١ :- أحمد بن عبد الله بن بن محمد بن علي الباجي[2] .

أخذ عنه كتاب { الضعفاء والمتروكين } وكتاب { رجال الموطأ } وروى عنه مصنف ابن أبي شيبة ومسند { بقي بن مخلد } وقرأ عليه { العتبية } في الفقه المالكي ، وغيرها من الكتب[3] .

٢ :- خلف بن القاسم بن سهل أبو القاسم المعروف بابن الدباغ[4] .

وصفه ابن عبد البر بأنه أعلم الناس برجال الحديث[5] .

---

(١) انظر ابن عبد البر وجهوده في التاريخ صـ ٤٩٥ وما بعدها

(٢) هو أبو عمر أحمد بن عبد الله بن محمد بن علي الباجي قال فيه ابن عبد البر : إمام عصره وفقيه وفقيه زمانه و لم أر بقرطبة ولا بغيرها من كور الأندلس رجلا يقاس به في علمه بأصول الدين وفروعه توفي سنة ٣٩٦ هـ . انظر : سير أعلام النبلاء ١٧ / ٧٤ ، وشذرات الذهب ٣ / ١٤٧.

(٣) انظر الجذوة ١ / ١٢٩

(٤) هو خلف بن القاسم بن سهل أبو القاسم المعروف بابن الدباغ وكان محدثا مكثرا توفي سنة ٣٩٣ هـ . انظر مقدمة الاستغناء ١ / ٣٠ وسير أعلام النبلاء ١٧ / ١١٣ ، وتذكرة الحفاظ ٣ / ١٠٢٥

(٥) انظر مقدمة التحقيق كتاب الاستغناء ١/٣٠، وسير أعلام النبلاء ١١٣/١٧ .

٣:- عبد الوارث بن جبرون[1] .

وقد روي عنه : الأنساب ، فضائل قريش ، أحكام القرآن ، حديث مالك مما ليس في الموطأ ، المجتبى في الفقه[2] .

٤:- عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي المشهور بابن الفرضي[3] .

قال عنه ابن عبد البر : كان فقيها حافظا عالما في جميع فنون العلم في الحديث والرجال كما روى عنه كتاب { تاريخ علماء الأندلس }[4] .

٥:- أحمد بن القاسم التاهرتي[5] .

أخذ عنه { صريح السنة } و { فضائل الجهاد } وكلاهما للطبري[6] .

---

(١) هو عبد الوارث بن سفيان بن جبرون ، كان عالما من علماء الأندلس وكان فاضلا صالحا عفيفا توفي سنة ٣٩٥ هـ . انظر سير أعلام النبلاء ١٧ / ٨٤ وشذرات الذهب ٣ / ١٤٥ ، ومقدمة الاستغناء ١ / ٢٨

(٢) انظر الفهرست لابن خير الإشبيلي صـ ٥١ وما بعدها

(٣) هو عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي المعروف بابن الفرضي أبو الوليد ، كان فقيها عالما وخاصة في علوم الحديث والرجال . توفي سنة ٤٠٣ هـ . انظر سير أعلام النبلاء ١٧ / ١٧٧ ، شذرات الذهب ٣ / ١٦٨ ، هدية العارفين ١ / ٤٤٩

(٤) انظر التكملة لكتابي الموصول والصلة لابن بشكوال ١ / ٧

(٥) هو أحمد بن قاسم بن عبد الرحمن التميمي التاهرتي البزاز أبو الفضل ، كان عالما ثقة فاضلا ذا زهد وتعبد ، توفي سنة ٣٩٦ هـ ، وقيل ٣٩٥ هـ . انظر بغية الملتمس ١٨٨ ، والجذوة ١٤١ ، وسير أعلام النبلاء ١٧ / ٧٩

(٦) انظر سير أعلام ال١٧/٧٩

٦:- أحمد بن محمد بن الجسور[١] .

قرأ عليه تفسير ابن عيينه والمدونة والموطأ[٢] .

٧:- أحمد بن محمد بن عمر الطلمنكي[٣] .

أخذ عنه القرآن الكريم وعلومه[٤] .

تلاميذه :

لقد كان ابن عبد البر – رحمه الله – من أعلم أهل الأندلس بالحديث والآثار فاختلف إليه الطلاب من جميع الأمصار يتتلمذون على يديه ، ولو أردنا أن نذكر كل تلاميذه لطال بنا المقام لكثرتهم ، ولكن سأقتصر على أهم تلاميذه الذين لازموه وأخذوا عنه .

١:- العلامة الحافظ أبو محمد علي بن أحمد بن حزم[٥] .

---

(١) هو أحمد بن محمد بن أحمد بن سعيد المعروف بابن الجسور ، كان محدثا مكثرا عالي الإسناد صدوقا . توفي سنة ٤٠١ هـ . انظر بغية الملتمس ١٥٤ ، والوافي بالوفيات ٧ / ٣٣٠ ، وشذر الذهب ٣ / ١٦١

(٢) انظر سير أعلام النبلاء ١٧ / ١٤٩

(٣) هو أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي عيسى الطلمنكي أبو عمر ، كان محدثا حافظا فقيها ، توفي بعد العشرين وأربعمئة ، انظر ترتيب المدارك ٤ / ٧٤٩ ، الديباج المذهب ١ / ١٧٨ ، شذرات الذهب ٣ / ٢٤٣

(٤) انظر السير ١٧ / ٥٦٧

(٥) هو العلامة الحافظ الفقيه أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم صاحب التصانيف الكثيرة منها – المحلي – الذي قال عنه العز بن عبد السلام : ما رأيت في كتب الإسلام في العلم مثل المحلى لابن حزم والمغني لابن قدامة . توفي سنة ٤٥٦ هـ . انظر سير أعلام النبلاء ١٨ / ١٩٣ ، وتذكرة الحفاظ ٣ / ١١٥٠ ، جذوة المقتبس ٣٠٨ ، الصلة ٢ / ٤١٥ ، بغية الملتمس ٤١٥ ، ونفح الطيب ٢ / ٧٧ ، شذرات الذهب ٣ / ٢٩٩

وكانت علاقة ابن حزم بابن عبد البر علاقة تلمذة وصحبة ، فكان ابن حزم يحدث عن ابن عبد البر ما يسمع منه ، وكان ابن عبد البر يكتب إليه أحيانا وكان ابن حزم يذكر ابن عبد البر في رسائله وكتبه ويضفي عليه صفة الإمامة والاجتهاد[1] .

٢:- أبو عبد الله فتوح بن عبد الله المشهور بالحميدي[2] .

وله كتابه المشهور ((جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس)) وكان يسند في كتابه هذا إلى ابن عبد البر كثيرا[3] .

٣:- أبو الحسن طاهر بن مفوز بن أحمد المعافري الشاطبي[4] .

كان أكثر تلاميذ ابن عبد البر التصاقا به روى عنه فأكثر ولما توفي ابن عبد البر هو الذي صلى عليه[5] .

---

(١) انظر الجذوة ٤٨٩ ، والصلة ٢ / ٦٠٥

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الأندلسي المشهور بالحميدي ، العالم الحافظ المحقق رحل من الأندلس إلى المشرق سنة ٤٤٨ هـ فحج واستقر في بغداد وهو صاحب الكتاب المشهور { جذوة المقتبس }وكتاب { الجمع بين الصحيحين } توفي سنة ٤٨٨ هـ . انظر نفح الطيب ٢ / ١١٢ ، سير أعلام النبلاء ١٩ / ١٢٠ ، الصلة ٢ / ٥٦٠

(٣) انظر سير أعلام النبلاء ١٩/ ٢٠ ، الصلة ٢/ ٥٦٠.

(٤) هو أبو الحسن طاهر بن مفوز بن أحمد المعافري الشاطبي وهو من أهل شاطبة ، كان تقيا ورعا مشهورا بإتقانه الرواية عن ابن عبد البر ، وكان وثيق الصلة بشيخه ، توفي – رحمه الله – في سنة ٤٨٤ هـ . انظر سير الأعلام ١٩ / ١٢٠ ، شذرات الذهب ٣ / ٣٩٢ ، تذكرة الحفاظ ٤ / ١٢٢٢ ، شذرات الذهب ٣ / ٣٧١

(٥) انظر الصلة ٣ / ٩٧٤

٤:- أبو علي حسين محمد بن أحمد الغساني الجياني[١] إمام أهل الحديث بقرطبة أكثر من النقل عن شيخه ابن عبد البر رواية وإجازة وكان غالبا ما ينتهي إليه سلسلة السند الذي يروى به الكتاب أو المؤلف عن ابن عبد البر[٢] .

٥:- عبد الرحمن بن محمد بن عتاب بن محسن[٣] .

أجازة ابن عبد البر في كل مروياته تقريبا ، فكان أحد الرواة عن ابن عبد البر[٤] .

---

(١) هو أبو علي حسين بن محمد بن أحمد الغساني الجياني ، رئيس المحدثين بقرطبة ، اشتهر علمه واقترن اسمه باسم شيخه ابن عبد البر كان من جهابذة الحفاظ وتصدر بجامع قرطبة وأخذ عنه الأعلام . توفي سنة ٤٩٨ هـ رحمه الله . انظر سير أعلام النبلاء ١٩ / ١٤٨ ، شذرات الذهب ٣ / ٤٠٨ ، وفيات الأعيان ٢ / ١٨٠

(٢) انظر المصادر السابقة وتذكرة الحفاظ ٤ / ١٢٣٣

(٣) هو عبد الرحمن بن محسن بن عتاب بن محسن يكنى بأبي محمود وهو من أهل قرطبة ، كان يروي عن ابن عبد البر كتاب التمهيد وكتاب الاستذكار وكتاب جامع بيان العلم وفضله وكتاب الدرر في اختصار المغازي والسير ، وكان عالما فاضلا واسع الرواية عالي الإسناد توفي سنة ٥٢٠ هـ رحمه الله .

(٤) انظر الصلة ٢ / ٥١٤ ، والديباج لابن فرحون ص ٤٧٩

المبحث الرابع

عقيــــدته

مما لا شك فيه ولا ريب أن عقيدة ابن عبد البر هي عقيدة أهل السنة والجماعة وأن منهجه الذي سار عليه هو منهج أهل السنة والجماعة وأنه يعتمد على الكتاب والسنة في ذلك ويرد كل قول خالفهما ، ويأخذ بظاهر النصوص وعدم تأويلها ، ويأخذ بخبر الواحد الصحيح في العقيدة كما هو منهج أهل السنة والجماعة حاكيا عنهم فيقول " وكلهم يدين بخبر الواحد العدل في الاعتقادات ، ويعادي ويوالي عليها ويجعلها شرعا ودينا " [١].

ويقرر عقيدة أهل السنة والجماعة في باب الإيمان من أنه قول وعمل يزيد وينقص فيقول : ((وللإيمان أصول وفروع ، فمن أصوله الإقرار باللسان مع اعتقاد القلب بما نطق اللسان من الشهادة بأن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وإن كان كل ما جاء به عن ربه حق من البعث بعد الموت والإيمان بملائكة الله وكتبه ورسله ، وكل ما أحكمه الله في كتابه ونقلته الكافة عن النبي ﷺ من الصلاة والزكاة والصيام والحج وسائر الفرائض بعد هذا .فكل عمل صالح هو من فروع الإيمان ؛ فبر الوالدين من الإيمان ، وأداء الأمانة من الإيمان ، وحسن العهد من الإيمان ، وحسن الجوار من الإيمان ، وتوقير الكبير من الإيمان ، ورحمة الصغير حتى إطعام الطعام وإفشاء السلام من الإيمان ... وهذا كله يدل على أن الإيمان قول وعمل ، كما قال جمهور أهل العلم بالفقه والحديث[٢]))

وفي باب الأسماء والصفات يقرر ابن عبد البر منهج أهل السنة والجماعة في إثبات الأسماء والصفات الواردة في الكتاب والسنة من غير تشبيه ولا تكييف ولا تأويل ولا تمثيل ، وأن الجهل بالكيفية لا يلزم منه نفي الصفة بل يثبت الصفة على الوجه اللائق به تعالى . فيقول معلقا على بعض أحاديث الصفات :

---

(١) التمهيد ١/ ١٨٢ .

(٢) السابق ١٣٢/٢٦ ، ١٣٣ .

((الذي عليه أهل السنة وأئمة الفقه والأثر في هذه المسألة وما أشبهها الإيمان بما جاء عن النبي ﷺ فيها والتصديق بذلك وترك التحديد والكيفية في شيء منه))[1] .

إلا أنه – رحمه الله – خالف في ذلك منهجه الذي سار عليه في بعض الصفات الخبرية كالضحك والمكر والكيد والاستهزاء[2] ؛ فأولها على غير ظاهرها ، ولم يلتزم فيها منهجه الأثري ، وهذا الاجتهاد منه لا يخرجه عن أهل السنة والجماعة وليس لأحد العصمة من الزلل ، بل كل يؤخذ من قوله ويرد إلا رسول الله ﷺ .

مثال ذلك قوله :

" يضحك الله بمعنى يرحم الله عبده عند ذاك ويتلقاه بالروح والراحة والرحمة والرأفة وهذا مجاز مفهوم وقد قال الله عز وجل في السابقن الأولين والتابعين لهم بإحسان " رضي الله عنهم " [3]وقال في المجرمين " فلما أسفونا انتقمنا منهم " [4]وأهل العلم يكرهون الخوض في مثل هذا وشبهه من التشبيه كله في الرضا والغضب وما كان مثله من صفات المخلوقين "[5]

---

(١)التمهيد ٧ / ١٤٧

(٢) انظر في ذلك عقيدة ابن عبد البر في التوحيد والإيمان . د. سليمان الغصن صـــ٣٨٦ وما بعدها ، ومنهج ابن عبد البر في توحيد الأسماء والصفات لشيخنا الاستاذ الدكتور صالح العقيل ص ٣٦ وما بعدها رسالة ماجستير مطبوعة على الآلة الكاتبة.

(٣) سورة التوبة آية ١٠٠ .

(٤) سورة الزخرف آية ٢٢ .

(٥) التمهيد ١٨/٢٤٥ .

المبحث الخامس

ثنـــاء العلمـــاء عليه

لقد نال ابن عبد البر الاحترام الوفير من علماء الملة في عصره ومن حكامها أيضا ، فلم يقصده طلبة العلم فقط بل كان يقصده الحكام للإقامة في عواصمهم وذلك مثل أمير دانية ، وأمير بطليموس الذي ولاه القضاء.

وإن مؤلفات ابن عبد البر الكثيرة والمفيدة والمتنوعة والتي طار خبرها وتداولها الناس في أرجاء المعمورة لهي دليل على ما لابن عبد البر من مكانة علمية مميزة .

يقول عنه الإمام الذهبي – رحمه الله – :

((إماما دينا ثقة متقنا علامة متبحرا صاحب سنة واتباع))(1) .

وقال عنه أيضا :

((وكان في أصول الديانة على مذهب السلف لم يدخل في علم الكلام بل قفا آثار مشايخه رحمهم الله))(2) .

وقال عنه ابن القيم – رحمه الله – :

((إمام السنة في زمانه))(3) .

وقال أبو علي الغساني :

((دأب في طلب الحديث وأفتن به وبرع براعة فاق بها من تقدمه من رجال الأندلس وكان مع تقدمه في الأثر وبصره بالفقه والمعاني له بسطة كبيرة في علم النسب والأخبار))(4) .

---

(1) سير أعلام النبلاء ١٨ / ١٥٧

(2) المصدر السابق ١٨ / ١٦١

(3) ابن القيم . اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية صـ ٧٦ ط ١ ، ١٤٠٤ هـ . دار الكتب العلمية .

(4) تذكرة الحفاظ ٣ / ١١٣٠

وقال عنه صاحبه وتلميذه العلامة ابن حزم :

((وممن أدركنا من أهل العلم على الصفة التي من بلغها استحق الاعتزاز به في الاختلاف .... يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري))[1] .

وقال ابن فرحون :

((شيخ علماء الأندلس وكبير محدثيها في وقته وأحفظ من كان فيها لسنة مأثورة))[2] .

وقال ابن العماد الحنبلي :

((العلامة العلم أحد الأعلام وصاحب التصانيف ..... وليس لأهل المغرب أحفظ منه مع الثقة والدين والنزاهة والتبحر في الفقه والعربية والأخبار))[3] .

---

(١) ابن حزم الإحكام في أصول الأحكام . ٥ / ٦٧٤ ، مراجعة ونشر زكريا علي يوسف .

(٢) ابن فرحون الديباج المذهب ٢ / ٣٦٧ تحقيق د. محمد الأحمدي أبو النور ، دار التراث ، القاهرة .

(٣) ابن العماد الحنبلي . شذرات الذهب ٢ / ٣١٤ ، دار الفكر

المبحث السادس

مؤلفـــاته

إن لابن عبد البر مؤلفات عظيمة لا يستغنى عنها العالم ، تدل على مكانته المرموقة في الفقه والحديث واللغة والأدب وعلم الأنساب والسير .

وقد امتازت أغلب مؤلفاته بالإسهاب والإفاضة في معالجة المسائل مع حسن الترتيب والتسيق والاستنباط وعذوبة اللغة وعدم وعورتها مما جعلها سهلة التناول حتى لطالب العلم المبتدئ .

وفيما يلي طائفة من مؤلفاته وسنبدأ بالمطبوع منها :

١:- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد .

٢:- الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار وشرح ذلك كله بالإيجاز والاختصار .

٣:- الاستيعاب في معرفة الأصحاب .

٤:- الاستغناء في معرفة المشهورين من حملة العلم بالكنى .

٥:- الانتقاء لمذاهب الثلاثة الأئمة الفقهاء مالك وأبي حنيفة والشافعي .

٦:- الإنباه عن قبائل الرواة .

٧:- بهجة المجالس وأنس المجالس .

٨:- تجريد التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد .

٩:- جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله .

١٠:- الدرر في اختصار المغازي والسير .

١١:- الكافي في فقه أهل المدينة المالكي .

١٢:- القصد والأمم في معرفة أنساب العرب والعجم .

١٣- الأجوبة الموعبة في المسائل المستغربة في كتاب البخاري .

أما مؤلفاته المخطوطة أو في حكم المفقودة فهذه طائفة منها :

١:- اختصار كتاب التمييز .

٢:- الاستظهار في طرق حديث عمار .

٣:- الإشراف على ما في أصول الفرائض من الاجتماع والاختلاف .

٤:- الشواهد في إثبات خبر الواحد .

٥:- المدخل في القراءات .

٦:- المغازي .

٧:- منظومة في السنة .

٨:- نزهة المستمعين وروضة الخائفين[1] .

---

(١) لقد أفدت في هذا المبحث من الكتب والرسائل العلمية المطبوعة التي تناولت ابن عبد البر بالدراسة وهي :

١:- عقيدة الإمام ابن عبد البر في التوحيد والإيمان لسليمان الغصن .

٢:- ابن عبد البر وجهوده في التاريخ لليث سعود جاسم .

٣:- إجماعات ابن عبد البر في العبادات لعبد الله البوصي .

٤:- اختيارات الحافظ ابن عبد البر الفقهية في العبادات لعبد العزي الربيش .

٥:-منهج نقد الحديث عند الحافظ ابن عبد البر النمري من خلال كتابه التمهيد لمصطفى حميداتو.

٦:- منهج التأليف عند الإمام الحافظ ابن عبد البر من خلال كتابه التمهيد لعارف بن مزيد السحيمي .

٧:- جهود الحافظ ابن عبد البر في دراسة الصحابة لمجيد خلف منشد .

الباب الأول

موقف ابن عبد البر من الفرق

الفصل الأول
موقفه من الخوارج

المبحث الأول

ذكر ابن عبد البر لأسماء الخوارج وألقابهم وبعض فرقهم

اشتق اسم الخوارج من معناه اللغوي ، فالخوارج جمع خارج[1] والخروج نقيض الدخول ، ونلحظ أن هناك تناسب كبير بين المعنى اللغوي وما عليه الخوارج من خروج على أئمة المسلمين وجماعتهم .

أما معناه الاصطلاحي فهو : ((كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجيا ، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين أو كان بعدهم على التابعين بإحسان والأئمة في كل زمان))[2] .

وتتفق كتب الفرق على أن الخوارج يكفرون علي بن أبي طالب ﷺ ويكفرون أصحاب الجمل والحكمين ومن صوبهما أو صوب أحدهما أو رضي بالتحكيم ، ويزعمون أن كل من ارتكب كبيرة من الذنوب من أمة محمد ﷺ فهو كافر مخلد في النار ، إلا فرقة النجدات منهم ، وجميعهم يجيزون الخروج على الإمام الجائر[3] .

ولقد اعتمد الإمام ابن عبد البر – رحمه الله – في تصنيف الخوارج وتسميتهم على مصدرين :

---

(١) انظر لسان العرب مادة خرج ٢ / ٢٨٧ ، دار الكتب العلمية ط١ ، والقاموس المحيط مادة خرج ص ١٨٥ ، مؤسسة الرسالة ط٦ ، ١٤١٩ هـ

(٢) الشهرستاني . الملل والنحل ١ / ١٢٩ تحقيق أبي محمد محمد بن فريد / المكتبة التوفيقية بالقاهرة بالقاهرة

(٣) انظر مقالات الإسلاميين ص ٥٩ وما بعدها ، والفرق بين الفرق ص ٥٥ وما بعدها ، والملل والنحل ١ / ١٣٠ ، والخوارج تاريخهم وآراؤهم الاعتقاد به ، د. غالب عواجي ص ٣٣٦ وما بعدها ، والخوارج نشأتهم ، فرقهم ، د . سليمان الغصن ص ٧٧ وما بعدها .

المصدر الأول : الحديث الصحيح الذي رواه الإمام مالك في الموطأ .

المصدر الثاني : ما ورد في الكتب التي أرخت لهم وذكرت أخبارهم وصفاقم وأسماءهم من كتب التراث الإسلامي وكتب العقائد .

أما الحديث فقد أورده بسنده عن مالك عن أبي سعيد ﷺ قال :

سمعت رسول الله ﷺ يقول :

((يخرج فيكم قوم تحقرون صلاتكم مع صلاقم وصيامكم مع صيامهم وأعمالكم مع أعمالهم،يقرأون القرآن ولا يجاوز حناجرهم،يمرقون من الدين مروق[1]السهم من الرمية .

تنظر في النصل[2] فلا ترى شيئا

وتنظر في القدح[3] فلا ترى شيئا وتنظر في الريش فلا ترى شيئا

وتتمارى في الفوق[4]))[5]

---

(١) المروق : الخروج السريع ، انظر القاموس المحيط مادة (مرق) ص ٩٢٣

(٢)النصل:حديدة السهم والرمح والسيف ما لم يكن له مقبض.انظر السابق مادة (نصل) ص١٠٦٢

(٣) القدح:السهم قبل أن يراش وينصل.والسهم الذي يرمى به عن القوس انظر المصدر السابق مادة قدح صـــ ٢٣٥، والنهاية في غريب الحديث ٣٢/١ .

(٤) الفوق : هو موضع الوتر في السهم ، انظر السابق مادة (فوق) .

(٥) رواه البخاري . كتاب فضائل القرآن حديث رقم ٥٠٥٨ ورواه مسلم بأوجه أخرى . كتاب الزكاة حديث ١٠٦٤

ثم يعدد أسماءهم على حسب ما جاء في الحديث فيقول عن أصل تسميتهم الخوارج :

((إنما قيل لهم خوارج لقوله ﷺ لأصحابه :

{ يخرج فيكم } ومعنى قوله فيكم أي عليكم

وكان خروجهم في زمن الصحابة فسموا خوارج))(١) .

ويقول عن أصل تسميتهم المارقة :

((وسموا المارقة بقوله في هذا الحديث { يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية }

وبقوله عليه السلام : { ((تقتتل طائفتان من أمتي تمرق منها مارقة تقتلها أولى الطائفتين بالحق(٢)) } فهذا أصل ما سميت به الخوارج والمارقة))(٣) .

ثم يذكر عددا من فرقهم فيقول :

((الأباضية : أتباع عبد الله بن أباض(٤) .

---

(١) ابن عبد البر . التمهيد جـ ٢٣ ، ص ٣٢٢ تحقيق مجموعة من العلماء ط وزارة الأوقاف بالمغرب .

(٢) أخرجه مسلم كتاب الزكاة ١٠٦٤

(٣) الاستذكار جـ ٢٣ ، ص ٣٢٢

(٤) الأباضية هي فرقة من الخوارج يتبعون زعيمهم وهو عبد الله بن أباض من بني مرة بن عبيد بن مقاعس من بني تميم ، وقد انقسموا إلى عدة فرق ، ومن أبرز معتقداتهم أنهم يقولون بخلق القرآن وينفون رؤية الله تعالى يوم القيامة ، وينكرون الشفاعة لعصاة الموحدين ومن مات من أهل التوحيد مصرا على الكبيرة فمصيره إلى جهنم خالدا فيها ويرون وجوب الخروج على الإمام الجائر . انظر مقالات الإسلاميين ص ٦٦ والفرق بين الفرق ص ٧٤ ، والخوارج أول الفرق في الإسلام د. ناصر العقل ص ٧٦ ، ومختصر تاريخ الإباضية للباروني ص ٦٥ وما بعدها ، ودراسات إسلامية في أصول الأباضية لبكير أعوشت ص ٦٧ وما بعدها .

الأزارقة[1] : أتباع نافع بن الأزرق – الصفرية[2] : أتباع النعمان زياد بن الأصفر النجدات[3] : أتباع نجدة الحروري ثم يقول أن من أسمائهم الحرورية[4] ويعرف بهم قائلا :((والحرورية منسوبة إلى حروراء خرج فيهم أولهم على علي ﷺ فقاتلهم بالنهروان وأظهره الله عليهم ... وأول من سماهم الحرورية علي ﷺ))[5] .

ثم يذكر اسما لهم خاصا بهم وهو { الشراه } فيقول :

((وهم يتسمون بالشراه[6] ولا يسميهم بذلك غيرهم))[7][8] .

---

(١) الأزارقة هم فرقة من الخوارج أتباع نافع بن الأزرق الحنفي وهم يقولون بأن مرتكب الكبيرة مخلد في النار ويعتبرون أن دار مخالفيهم دار كفر كما أنهم كفروا القعدة عن القتال وكفروا من لم يهاجر إليهم وأباحوا قتل أطفال مخالفيهم ونسائهم . انظر : مقالات الاسلاميين صـــ٥٩، والفرق بين الفرق ، صـــ٦٠ ، والملل والنحل ١٣٣/١ .

(٢) الصفرية هم أتباع زياد بن الأصفر وهم يقولون بقول الأزارقة في الجملة إلا أنهم لا يكفرون القعدة عن القتال ولا يحكمون بقتل أطفال مخالفيهم ونسائهم . انظر : مقالات الإسلاميين صـــ٦٥ ، الملل والنحل ١٤٧/١ ، الفرق بين الفرق صـــ٦٥.

(٣) النجدات هم أتباع نجدة بن عامر الحنفي ومن أقواله الغريبة أنه من كذب كذبة صغيرة و لم يتب فهو مشرك،ومن زنى وسرق غير مصر عليه فهو مسلم ، وهم يقولون أن الدين أمران ١.معرفة الله ومعرفة رسله وتحريم دماء المسلمين ، ٢.ما سوى ذلك فالناس معذورين فيه إلا أن تقوم عليه الحجة. انظر : مقالات الإسلاميين صـــ٦٠ ، والملل والنحل ، ١٣٥/١ ، والفرق بين الفرق صـــ٦٣.

(٤) الحرورية : اسم للخوارج ؛ لأنهم في أول الأمر اعتزلوا جيش علي بن أبي طالب ﷺ ونزلوا بمكان يقال له حروراء وهو اسم مشتهر عند الصحابة وقيل أن علي بن أبي طالب هو أول من سماهم بهذا الاسم . انظر : الكامل للمبرد صـــ٩١٢ .

(٥)التمهيد لابن عبد البر جـــ ٢٣ ، ص ٢٢١

(٦) الشراه : هو من الأسماء التي يحبها الخوارج وسبب تسميتهم بذلك قولهم : شرينا أنفسنا في طاعة الله ؛ ؛ أي بعناها الجنة ، وهو مأخوذ من قوله تعالى :﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ ﴾آية ١١١ سورة التوبة .انظر : الكامل للمبرد صـــ ٩٧٦.

(٧)التمهيد جـــ ٢٣ ، ص ٣٢٢

(٨) انظر فرق الخوارج في مقالات الإسلاميين ص ٥٩ ، والفرق بين الفرق ص ٥٥ والملل والنحل جـــ ١ ص ١٣٠ ، والخوارج د . غالب عواجي ص ١٩٨ ، والخوارج د .سليمان الغصن ص ٥٣

أما المصدر الثاني في أسماء الخوارج وألقابهم فيقول ابن عبد البر أنها مشهورة في الأشعار والأخبار ، وقد أورد هذه الأبيات فقال :

قال عبد الله بن قيس الرقيات[1] :

((ألا طـــرقت في آل بثنة طارقة ... على أنها معشوقة الـــدل عاشقة

تبيت وأرض السوس بيني وبينها ... وسولاف رستاق حمته الأزارقـــه

إذا نحن شئنا صادفتنا عصابـــة ... حرورية أضحت من الدين مارقه[2]))

ونخرج مما سبق من النصوص أنه ذكر ثمانية ألقاب أو فرق للخوارج وهي :

١) الخوارج

٢) المارقة

٣) الأباضية

٤) الأزارقة

٥) الصفرية

---

(١) قيس الرقيات هو :عبيد الله بن قيس الرقيات ، شاعر أموي كان مقيما في المدينة ، لقب بقيس الرقيات ؛ لأنه كان يتغزل بثلاث نسوة اسم كل واحدة منهن رقية ، وقد كان ابن قيس الرقيات من أصحاب مصعب بن الزبير الذين خرجوا على عبد الملك بن مروان ، وبعد مقتل ابن الزبير توجه إلى عبد الله بن جعفر الطيار وأقام معه إلى أن وافته المنية سنة ٨٥ هـــ . انظر مقدمة ديوان ابن قيس الرقيات لمحققه محمد يوسف نجم ، دار صادر بيروت .

(٢)التمهيد جـــ ٢٣ ، صـــ ٣٢١ .

٦) النجدات

٧) الحرورية

٨) الشراة

ويذكر أيضا أسماء وألقاب أول من ابتدع بدعة الخوارج وهو الأسود ذو الثدية ، أوذو الخويصرة ويورد آثارا في ذلك فيقول :

((وروى ابن وهب عن عمرو بن الحرث عن بكير بن عبد الله بن الأشج عن بسر بن سعيد عن عبيد الله بن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ : إن الحروية لما خرجت — وهو مع علي بن أبي طالب — فقال لا حكم إلا الله ، فقال علي :

كلمة حق أريد بها باطل ، إن رسول الله ﷺ وصف أناسا إني لأعرف صفتهم من هؤلاء يقولون الحق بألسنتهم لا يجاوز هذا منهم — وأشار إلى حلقه — في أبغض خلق الله إليه ، منهم أسود إحدى يديه كطي شاة وحلمة ثدي فلما قتلهم علي بن أبي طالب ، قال : انظروا فلم يجدوا شيئا فقال ارجعوا ، فوالله ما كذبت ولا كذبت — مرتين أو ثلاثا — ثم وجدوه في خربة فأتوا به حتى وضعوه بين يديه .

فقال عبيد الله : أنا حاضر ذلك في أمرهم وقول علي فيهم قال بكير بن الأشج : وحدثني رجل عن إبراهيم بن حنين أنه قال : رأيت ذلك الأسود[١]))[٢] .

---

(١) أخرجه مسلم كتاب الزكاة حديث رقم ١٠٦٦

(٢)التمهيد جـ ٢٣ ، ص ٢٣٢

فقال عبيد الله : أنا حاضر ذلك في أمرهم وقول علي فيهم قال بكير بن الأشج : وحدثني رجل عن إبراهيم بن حنين أنه قال : رأيت ذلك الأسود[1]))[2] .

وأورد حديثا بسنده عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال :

((بينا رسول الله ﷺ يقسم مغنما يوم حنين ، أتاه رجل من بني تميم يقال له ذو الخويصرة فقال له : يا رسول الله دعني أقتله قال : لا إن لهذا أصحابا يخرجون عند اختلاف من الناس يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية آيتهم رجل منهم كأن يده ثدي امرأة أو كأنها بضعة تدردر ، فقال أبو سعيد : سمعت إذني من رسول الله ﷺ يوم حنين وبصرت عيني مع علي بن أبي طالب حين قتلهم فنظرت إليه[3]))[4] .

---

(١) أخرجه مسلم كتاب الزكاة حديث رقم ١٠٦٦

(٢)التمهيد جـ ٢٣ ، ص ٢٣٢

(٣) رواه البخاري في كتاب فضائل القرآن حديث رقم ٥٠٥٨

(٤)التمهيد جـ ٢٣ ، ص ٢٣٢

المبحث الثاني

رد ابن عبد البر على الخوارج في احتجاجهم بآيات من كتاب الله على مذهبهم في التكفير

إن ابن عبد البر رحمه الله كان منصفا مع خصومه من أهل البدع فهو لا يتقول عليهم ولا ينسب قولا ليس لهم ، بل يورد أقوالهم وحججهم ثم يرد عليها، وهذا دأب علماء أهل السنة والجماعة كلهم منذ القرن الأول إلى عصرنا الحاضر.

وهذا لعمري هو العدل وغاية الإنصاف مع الخصوم لإظهار عوارهم وبيان تهافت أدلتهم وإقامة الحجة عليهم .

وفي هذا المبحث نرى حجج الخوارج التي احتجوا بها والآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي استشهدوا بها في تكفير الناس بالذنوب وتكفيرهم عموم المسلمين الذين يخالفون معتقدهم ، ورد ابن عبد البر عليهم مفندا أقوالهم ومزاعمهم فيقول – رحمه الله – :

((وقد ضلت جماعة من أهل البدع من الخوارج والمعتزلة في هذا الباب فاحتجوا بهذه الآثار [1] ومثلها في تكفير المذنبين ، واحتجوا من كتاب الله بآيات ليست على ظاهرها مثل قوله ﷻ:

﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾[2].

وقوله:﴿ أَن تَحْبَطَ أَعْمَـٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾[3]

(١) يقصد الآيات والأحاديث في التكفير .

(٢)سورة المائدة الآية ٤٤

(٣) سورة الحجرات الآية ٢

وقوله : ﴿إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ۝٣٢﴾[1] وقوله :﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾[2] وقوله :﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾[3] ونحو هذا "[4]

ثم يقول – رحمه الله – :

((والحجة عليهم قول الله ﷻ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[5] ومعلوم أن هذا بعد الموت لمن لم يتب ، لأن الشرك ممن تاب منه قبل الموت وانتهى عنه غفر له ، كما تغفر الذنوب كلها بالتوبة جميعا .

قال الله ﷻ : ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ ﴾[6][7])).

ويذكر – رحمه الله – أن الكافر هو من كفره الله ورسوله ، لا كما تعتقد الخوارج في إنزال آيات القرآن الكريم على المسلمين من غير ضابط ولا برهان عندهم .

وإن إطلاق الكفر على الكافرين في القرآن الكريم ، لم يأت إلا بعد ما أقام الله الحجة

---

(١)سورة الجاثية الآية ٣٢

(٢) سورة الزخرف الآية ٢٠

(٣)سورة الكهف الآية ١٠٤

(٤)التمهيد جـ ١٦ صـ١٧

(٥)سورة النساء الآية ١١٦

(٦)سورة الأنفال الآية ٣٣

(٧) التمهيد جـ ١٦ ص ١٧

على الأقوام الذين كفرهم الله وبعد ما أبان لهم طريق الهداية ، ثم لم يقبلوا الهداية وعاندوا ، فاستحقوا ذلك بعد العلم والعناد .

يقول - رحمه الله - :

" وقد وردت آيات في الكتاب محكمات تدل على أنه لا يكفر أحد إلا بعد العلم والعناد منها : قول الله ﷻ : ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾(1) ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ ٧٠﴾(2)

وقوله : ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾(3)

وقوله : ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ فَعَفَوۡنَا عَن ذَٰلِكَۚ وَءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينٗا﴾(4)

وقوله: ﴿مَهۡمَا تَأۡتِنَا بِهِۦ مِنۡ ءَايَةٖ لِّتَسۡحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ ١٣٢﴾(5)

إلى قوله :

---

(1)سورة آل عمران الآية ٧١

(2)سورة آل عمران الآية ٧٠

(3)سورة آل عمران الآية٧٥

(4) سورة النساء الآية ٥٣

(5) سورة الأعراف الآية ١٣٢

﴿ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمًا مُّجۡرِمِينَ ﴾[1][2]

ثم إنه – رحمه الله – يسترسل في سرد الآيات الكثيرة من كتاب الله التي استشهد بها الخوارج ثم يرد عليهم ويبين أن استشهاداتهم في غير موضعها ، ومما أورده قوله تعالى :

﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيۡهِمُ ٱلرِّجۡزُ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَۖ لَئِن كَشَفۡتَ عَنَّا ٱلرِّجۡزَ لَنُؤۡمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرۡسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُمُ ٱلرِّجۡزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمۡ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾[3]

ثم قال : ﴿ وَلَقَدۡ أَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡعَذَابِ فَمَا ٱسۡتَكَانُواْ لِرَبِّهِمۡ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴾[4]

ثم ذكر الأمم فقال :

﴿ وَهَمَّتۡ كُلُّ أُمَّةِۭ بِرَسُولِهِمۡ لِيَأۡخُذُوهُۖ وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ فَأَخَذۡتُهُمۡۖ ﴾[5]

ثم ذكر الأمم فقال :

---

(١) سورة الأعراف الآيتان ١٣٢ ، ١٣٣

(٢) التمهيد حـ ١٦ صـ ١٧ وما بعدها

(٣) سورة الأعراف الآيتان ١٣٤، ١٣٥

(٤) سورة المؤمنون الآية ٧٦

(٥) سورة غافر الآية ٥

﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْاْ بِهِۦۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾﴾))[1][2] .

ثم يستمر – رحمه الله – في سرد الآيات في استشهاده فيقول :

((وقال : ﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْۚ﴾[3]

وقال : ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[4]

وقال : ﴿بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾﴾[5]

وقال : ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾[6]

وقال : ﴿شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِۚ﴾[7]

وقال : ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾[8]

---

(١) سورة الذاريات الآيتان ٥٢ ، ٥٣

(٢) التمهيد جـ ١٧ ص ١٦ ، وما بعدها

(٣) سورة الشورى الآية ١٤

(٤) سورة البقرة الآية ٢٢

(٥) سورة المؤمنون الآية ٧٠

(٦) سورة الجاثية الآية ٢٣

(٧) سورة التوبةالآية ١٧

(٨) سورة فاطرالآيتان٤٢ ، ٤٣

وقال : ﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ﴾[1]

إلى آيات كثيرة في معنى ما ذكرناه كلها تدل على معاندة الكفار وأنهم إنما كفروا بالمعاندة والاستكبار ، وقال ﷻ : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ ﴾[2]

وقوله : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ﴾[3][4]

ومن المعروف لدى دارسي العقائد الإسلامية أن أهل البدع يعتمدون على أحاديث موضوعة حتى ينبوا عليها باطلهم في عقائدهم ، ومن هؤلاء الزنادقة والخوارج اعتمدوا حديثا موضوعا ليبطلوا به سنة المصطفى ﷺ والاحتكام إليها والأخذ بالقرآن وتأويله حسب أهوائهم دون السنة المطهرة وقد رد عليهم الإمام ابن عبد البر – رحمه الله فقال :

((قال عبد[5] الرحمن بن مهدي : الزنادقة والخوارج وضعوا ذلك الحديث – يعني ما روى عنه ﷺ أنه قال : {[ما أتاكم عني فاعرضوه على كتاب الله ، فإن وافق كتاب الله

---

(١) سورة النمل الآية١٤

(٢) سورة الإسراءالآية ١٥

(٣) سورة التوبةالآية ١١٥

(٤) التمهيد جـ ١٧– صـ١٨–١٩ .

(٥) هو عبد الرحمن بن مهدي بن حسان الإمام الحافظ ولد سنة ١٣٥ هـ ، حدث عنه ابن المبارك وابن وهب وهما من شيوخه وخلق كثير لا حصر لهم ، أثنى عليه الأئمة الكبار كالشافعي وأحمد بعلمه وقدوته في العلم والعمل توفي سنة ١٩٨ هـ . انظر : التاريخ الكبير ٥ / ٢٥٤ ، تذكرة الحفاظ ١ / ٣٢٩ ، شذرات الذهب ١ / ٣٥٥

فأنا قلته وإن خالف كتاب الله فلم أقله أنا،وكيف أخالف كتاب الله وبه هداني الله] }[1]

وهذه الألفاظ لا تصح عنه ﷺ عند أهل العلم بصحيح النقل من سقيمه وقد عارض هذا الحديث قوم من أهل العلم فقالوا :

((نحن نعرض هذا الحديث على كتاب الله قبل كل شيء ونعتمد على ذلك فقالوا : فلما عرضناه على كتاب الله ﷻ وجدناه مخالفا لكتاب الله ، لأنا لم نجد في كتاب الله ألا نقبل من حديث رسول الله ﷺ إلا ما وافق كتاب الله ، بل وجدنا كتاب الله يطلق التأسي به والأمر بطاعته ، ويحذر المخالفة عن أمره جملة على كل حال))[2]

وقد أفرد الإمام ابن عبد البر رحمة الله بابا في كتابه جامع بيان العلم وفضله في بيان موضع السنة في الكتاب وهو " باب موضع السنة من الكتاب وبيانها له " أورد فيه آيات وآثارا تبين منزلة السنة من القرآن الكريم ، وفيها رد على الخوارج الذي يأخذون الكتاب ، ويتركون السنة ويكفرون الناس حسب تأويلاتهم لكتاب الله العزيز .

ومن هذه الآيات التي أوردها قوله تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[3]

---

(١)لا أصل له . انظر اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ٢١٣/١ وتتريه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الشنيعة الموضوعة ٢٦٤/١ .

(٢)جامع بيان العلم وفضله ٢ /١١٩١. تحقيق أبي الأشبال الزهيري ، دار ابن الجوزي ط ١ ١٤١٤ هـ

(٣) سورة النحل الآية ٤٤

وقوله تعالى: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[1]. وقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ﴾[2]

وقوله : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾[3]

ثم روى بسنده عن علقمة : ((أن امرأة من بني أسد أتت عبد الله بن مسعود ﷺ فقال له : إنني بلغني أنك لعنت ذيت وذيت والواشمة والمستوشمة وإني قد قرأت ما بين اللوحين فلم أجد الذي تقول ، وإني لأظن على أهلك منها فقال عبد الله فادخلي فانظري ، فدخلت فنظرت فلم تر شيئا ، فقال لها عبدالله أما قرأت : وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ، قال بلى ، قال : فهو ذاك))[4][5][6]

---

(١) سورة النور الآية ٦٣

(٢) سورة الشورى الآيتان ٥٢ ، ٥٣

(٣) سورة الحشر الآية ٧

(٤)يقصد ابن مسعود ﷺلعن الرسول ﷺللواشمة والمستوشمة ، انظر جامع بيان العلم وفضله جـ٢ صـ١١٨١

(٥) المصدر السابق صـ١١٨١

(٦)أخرجه البخاري في كتاب التفسير حديث رقم ٤٨٨٦ ومسلم كتاب اللباس والزينة رقم ٢١٢٥

وهذا استشهاد منه رحمه الله في الأثر السابق بأن من لعنه الرسول ﷺ فهو كمن لعنه الله لأننا مأمورون بإتباع نبيه ﷺ لا سيما أن هذا الأثر جاء عن عالم من علماء الصحابة رضي الله عنهم .

وقد وافق ابن عبد البر علماء أهل السنة والجماعة – سواء كانوا من السابقين له أو من اللاحقين من بعده – في مقولاتهم عن الخوارج وتكفيرهم للناس وفي الردود عليهم ، من ذلك قول الأشعري عنهم حيث قال :

((أجمعت الخوارج على إكفار علي بن أبي طالب رضوان الله عليه إن حكم ، وهم مختلفون هل كفره شرك أم لا ؟ وأجمعوا على أن الله سبحانه يعذب أصحاب الكبائر عذابا دائما إلا النجدات أصحاب نجده))[1][2] .

ويقول عن استباحتهم دماء وأموال أهل القبلة من أهل الكبائر لاعتقادهم كفرهم .

((وأما السيف فإن الخوارج جميعا تقول به وتراه ، إلا أن الإباضية لا ترى اعتراض الناس بالسيف ، ولكنهم يرون إزالة أئمة الجور ومنعهم أن يكونوا أئمة بأي شيء قدروا عليه ، بالسيف ، أو بغير السيف))[3] .

---

(١) هو نجده الحروري زعيم فرقة من الخوارج . انظر المبحث الأول من هذا الفصل .

(٢) الأشعري . مقالات الإسلاميين ص ٥٩ تحقيق أحمد جاد . دار الحديث القاهرة .

(٣) المصدر السابق ص ٧٧

وقال الإمام الأجري : ((لم يختلف العلماء قديما وحديثا أن الخوارج قوم سوء، عصاة لله ولرسوله ﷺ وإن صلوا وصاموا واجتهدوا في العبادة ، فليس ذلك بنافع لهم نعم ، ويظهرون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وليس ذلك بنافع لهم ، لأنهم قوم يتأولون القرآن على ما يهوون ، يموهون على المسلمين ، وقد حذر الله تعالى منهم ، وحذر النبي ﷺ وحذرناهم الخلفاء الراشدون بعده ، وحذرناهم الصحابة رضي الله عنهم ومن تبعهم بإحسان .

والخوارج هم الشراة الأنجاس الأرجاس ومن كان على مذهبهم من سائر الخوارج ، يتوارثون هذا المذهب قديما وحديثا ويخرجون على الأئمة والأمراء ويستحلون قتل المسلمين[1])) .

ويقول الملطي في وصفهم للخوارج :

((والشراة كلهم يكفرون أصحاب المعاصي ، ومن خالفهم في مذهبهم مع اختلاف أقاويلهم ومذهبهم[2])) .

---

(١) الشريعة للإمام الأجري صـ ٣٠ تحقيق عصام موسى هادي – دار الدليل الأثرية ، طبعة أولى عام ١٤٢٨هـ .

(٢) الملطي : التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع صـ٩٨ تحقيق يمان بن سعد المدني الميداني رمادي للنشر والمؤمن للتوزيع .

ويقول ابن الجوزي : ((وما زالت الخوارج تخرج على الأمراء ولهم مـذاهب مختلفـة ، وكان أصحاب نافع بن الأزرق يقولون : نحن مشركون ما دمنا في دار الشرك ، فـإذا خرجنا فنحن مسلمون ، قالوا : ومخالفونا في المذهب مشركون ، ومرتكبـو الكبـائر مشركون ، والقاعدون عن موافقتنا في القتال كفرة ، وأباح هؤلاء قتل النساء والصبيان من المسلمين ، وحكموا عليهم بالشرك(1)))

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية في وصفهم ((وهم أول من كفر أهل القبلة بالذنوب ، بما يرونه هم من الذنوب ، واستحلوا دماء أهل القبلة بذلك ، فكانوا كما نعتهم الـنبي ﷺ يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان(2))) .

ويقول أيضا : ((أول البدع ظهورا في الإسلام وأظهرها ذما للسـنة والآثـار بدعـة الحرورية المارقة ولهم خاصتان مشهورتان فارقوا بها جماعة المسلمين وأئمتهم :

أحدها : خروجهم عن السنة وجعلهم ما ليس بسيئة سيئة أو ما ليس بحسنة حسنة .

الفرق الثاني : في الخوارج وأهل البدع أنهم يكفرون بالذنوب والسيئات ، ويترتب على تكفيرهم بالذنوب استحلال دماء المسلمين وأموالهم ،وأن دار الإسلام دار حرب ودارهم هي دار الإيمان(3)))

---

(1) ابن الجوزي تلبيس إبليس صـ ١٣٠ -١٣١ دار المدني للطباعة والنشر .

(2) مجموع الفتاوي جـ٧ صـ٤٨١-٤٨٢ .

(3) المصدر السابق ٧ / ٥٠١

ويقول ابن القيم في نونيته :

الكفــــر حـــق الله ثم رســـوله *** بالشـــرع يثبـــت لا بقـــول فـــلان

من كـــان رب العـــالمين وعبـــده *** قد كفراه فـــذاك ذو الكفـــران[1]))

ولعل هذا الخبر الذي ننقله عن مؤرخ من علماء أهل السنة وهو ابن كثير يوضح جـــرأة الخوارج في إطلاق الكفر وخاصة على خير الناس في زمانهم وهو أمير المؤمنين علي بـــن أبي طالب ﷺ بل إنهم يعرضون به ويقولون إنه مشرك .

يقول ابن كثير – رحمه الله – :

((لما بعث علي أبا موسى ومن معه من الجيش إلى دومة الجندل ، أشتد أمر الخوارج ، وبالغوا في النكير على علي ، وصرحوا بكفره فجاء إليه رجلان منهم ، وهما زرعة بـــن البرج الطائي ، وحرقوص بن زهير السعدي فقالا :

لا حكم إلا لله .

فقال علي : نعم لا حكم إلا الله .

فقال له حرقوص :

تب إلى الله في خطيئتك ، وأرجع عن قضيتك ، وأذب بنا إلى عدونا حتى نقاتلهم حـــتى نلقى ربنا .

---

(١) شرح القصيدة النونية . لمحمد خليل هراس ٢ / ٢٨٩ . دار المنهاج ط ١ . ١٤٢٤ هـــ

فقال علي :

قد أردتكم على ذلك فأبيتم ، وقد كتبنا بيننا وبين القوم كتابا وعهودا وقد قال الله تعالى : ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ ﴾فقال له حرقوص :

ذلك ذنب ينبغي أن تتوب منه ، فقال علي :

ما هو بذنب ولكنه عجز من الرأي وقد تقدمت إليكم فيما كان منه ونهيتكم عنه ، فقال له زرعة بن البرج :

أما والله يا علي لئن لم تدع تحكيم الرجل في كتاب الله لأقتلنك أطلب في ذلك وجه الله ورضوانه .

فقال له : تبا لك ما أشقاك كأني بك قتيلا تسفي عليك الريح .

فقال : وددت إن كان ذلك ، فقال له علي :

إنك لو كنت محقا كان في الموت تعزية عن الدنيا ولكن الشيطان قد استهواكم فخرجا من عنده يحكمان أمرهما، وفشى فيهم ذلك وجاهروا به الناس ، وتعرضوا لعلي في خطبه ، وأسمعوه السب والشتم والتعريض بآيات من القرآن ، وذلك أن عليا قام خطيبا في بعض الجمع فذكر أمر الخوارج فذمه وعابه ، فقام إليه جماعة منهم كل يقول:لا حكم إلا لله ، وقام رجل منهم وهو واضع أصبعه في أذنيه يقول : ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى

﴿ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾[1]فجعل علي يقلب يديه هكذا وهكذا وهو على المنبر يقول : حكم الله ننتظر فيكم ثم قال : إن لكم علينا أن لا نمنعكم مساجدنا ما لم تخرجوا علينا ولا نمنعكم نصيبكم في هذا الفيء ما دامت أيديكم مع أيدينا ، ولا نقاتلكم حتى تقاتلونا))[2]. وكان هذا الأمر قبل قتال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه للخوارج .

(١) سورة الزمر الآية ٦٥

(٢) البداية والنهاية لابن كثير جـ٥ ، صـ ٣٨٧ تحقيق يوسف البقاعي . دار الفكر ط٣ ، ١٤١٩ هـ

المبحث الثالث

رد ابن عبد البر على الخوارج في تكفيرهم لبعض الصحابة

إن عدالة الصحابة رضي الله عنهم عند أهل السنة والجماعة من مسائل الدين القطعيــة ، وذلك لتعديل الله لهم وثنائه عليهم ، ووصفه لهم بالإيمان والهدى والبر والتقوى ، وتزكية الرسول ﷺ لهم في صريح السنة وذكره الكثير من فضائلهم ونهيه التعرض لهم وسبهم ، والأمثلة في ذلك أكثر من أن تحصى .

وابن عبد البر - رحمه الله - لم يخرج عن منهج السلف في ذلك ، من الثناء على الصحابة بما هم أهله والذب عنهم ونصرتهم . بل لقد ألف مؤلفا[1] مستقلا عن الصحابة ذكر فيه ترجمة أكثر من ثلاثة آلاف صحابي أورد فيه مناقبهم وأخبارهم والأحداث التي وقعــت لهم ، وجهادهم في سبيل الله ، ونصرتهم لدين الله وتبليغه للناس في أصقاع الأرض .

يقول رحمه الله في رده على الخوارج والطاعنين في عدالة الصحابة :

((إن الصلاة والزكاة والحج والصيام وسائر الأحكام ، إنما جاء ذكرهــا وفرضــها في القرآن مجملا ، ثم بين النبي ﷺ أحكامها ، فمن لم يقبل أخبار العدول عن النبي ﷺ بذلك ضل وصار في عمياء ، فلما لم يقبل القوم أخبار الأمة عن نبيها و لم يكن عندهم بنبــيهم عدل ولا مؤمن ، وكفروا عليا وأصحابه فمن دونهم ، ضلوا وأضلوا ومرقوا من الــدين وخالفوا سبيل المؤمنين[2]))

---

(١) وهو كتاب الاستيعاب في معرفة الأصحاب .

(٢)التمهيد صــ٣٢٣-٣٢٤.

ويورد أثرا عن ابن مسعود ﷺ قال : ((من كان منكم متأسيا فليتأس بأصحاب محمد ﷺ ، فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوبا ، وأعمقها علما ، وأقلها تكلفا ، وأقومها هديا وأحسنها حالا ، قوم أختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم في أثارهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم(١))) .

ويقول – رحمه الله – ((إنما وضع الله ﷻ أصحاب رسوله الموضع الذي وضعهم فيه بثنائه عليهم في العدالة والدين والأمانة ، لتقوم الحجة على جميع أهل الملة بما أدوه عن نبيهم من فريضة وسنة ، فصلى الله عليه وسلم ورضي عنهم أجمعين ، فنعم العون كانوا له على الدين في تبليغهم عنه إلى من بعدهم من المسلمين(٢))) .

ويذكر – رحمه الله – الحديث المشهور عن ابن مسعود في خير القرون وهو حديث : ((خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم(٣))) .

ويذكر روايات عدة في هذا الحديث يقول في شرحها : ((إن قرنه إنما فضل لأنهم كانوا غرباء في إيمانهم لكثرة الكفار وصبرهم على أذاهم وتمسكهم بدينهم(٤))) .

---

(١) الجامع لبيان العلم وفضله جـ٢ صـ ٩٤٧، ويقول محقق الكتاب إسناده ضعيف والأثر لا بأس به .

(٢) ابن عبد البر ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب جـ١ صـ١٥ تحقيق علي محمد البجاوي ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ دار الجيل .

(٣)أخرجه البخاري / كتاب الشهادات حديث رقم ٢٦٥٢ ومسلم كتاب فضائل الصحابة حديث رقم ٢٥٣٣.

(٤) التمهيد جـ٢٠ صـ٢٥٢ .

ويقول – رحمه الله – :

((ولا أعدل ممن ارتضاه الله لصحبة نبيه ونصرته ولا تزكية أفضل من ذلك ولا تعديل أكمل منه –قال الله تعالى ذكره : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴿٢٩﴾ ﴾[١]فهذه صفة من بادر إلى تصديقه والإيمان به وآزاره ونصره ولصق به وصحبه[٢])) .

وقال أيضا – رحمه الله – :

((قال الله سبحانه :﴿ لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾[٣]ومن رضي الله عنه لم يسخط عليه أبدا إن شاء الله .

---

(١)سورة الفتح الآية ٢٩.

(٢)ابن عبد البر . الاستيعاب جـ١ صـ٢ .

(٣) سورة الفتح الآية ١٨.

وقال رسول الله ﷺ " لن يلج النار أحد شهد بدرا أو الحديبية[1][2]" .

وينقل – رحمه الله – أقوال بعض العلماء وبعض الصحابة رضوان الله عليهم في تفسيره للآية الكريمة " ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾[3].

فيقول : ((قال بعض العلماء (كنتم) بمعنى أنتم خير أمة ، وقيل : (كنتم) في علم الله ، ومعلوم أن مواجهة رسول الله ﷺلأصحابه بقوله : أنتم خيرها ،إشـــارة بالتقدمـــة في الفضل إليهم على من بعدهم والله أعلم ويدل على ما قلنا ما روي عن ابن عباس أنه قال : هم الذين هاجروا من مكة إلى المدينة[4])).

ثم يقول في السياق نفسه :

((وإنما أشار إليهم ابن عباس بالذكر لأنهم الذين قاتلوا من خالفهم على الدين حتى

(١) لم أقف على هذا الحديث بلفظ " أو" وإنما ورد الجمع بين الحديبية وبدر ، أخرج الإمام مســـلم عن جابر ﷺ: ((أن عبدا لحاطب جاء رسول الله ﷺيشكو حاطبا فقال : يا رســـول الله ليـــدخلن حاطب النار ، فقال رسول الله ﷺ: كذبت لا يدخلها فإنه شهد بدرا والحديبية " كتـــاب فضـــائل الصحابة حديث رقم ٢٤٩٥ .

(٢)ابن عبد البر : الاستيعاب جـــ١ صـــ٤ .

(٣)سورة آل عمران الآية ١١٠.

(٤) الاستيعاب جـــ١ صـــ ٩ .

دخلوا فيه وكذلك قال أبوهريرة ومجاهد والحسن وعكرمة :

خير الناس للناس الذين يقاتلونهم حتى يدخلونهم في الدين طوعا أو كرها ، وإذا كان ذلك كذلك فمعلوم أن المهاجرين الأولين والأنصار في ذلك سواء[1])).

" وقال بعض أهل العلم : (كنتم) بمعنى أنتم ، والكاف صلة ، وقال آخرون (كنتم)في اللوح المحفوظ ، وهو الذكر وأم الكتاب ، واستدلوا بقوله تعالى : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ ﴾

إلى قوله : ﴿ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾[2][3])) .

---

(١)المصدر السابق ١ /١٠

(٢)سورة الأعراف الآيتان ١٥٦ ، ١٥٧ والآيتان هما قوله تعالى : ﴿ وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾

(٣) الاستيعاب ١ / ١١

ويذهب ابن عبد البر في رده على الخوارج ومن شاكلهم من الذين يطعنون في الصحابة مذهبا أبعد من ذلك وهو احتجاجه بالإجماع ، فيحتج عليهم بانعقاد إجماع الصحابة رضوان الله عليهم وأنه حجة على من بعدهم ويورد في ذلك الأدلة من الكتاب والسنة ، وهذه لفتة جميله منه رحمه الله ، فكيف يسوغ للخوارج الذين كانوا يسمون بالقراء في جيش علي ﷺ– بأن يطعنوا في عثمان ، وهو الذي جمع القرآن الجمع الأخير حتى إنه سمي المصحف الذي كتبه بمصحف عثمان وأجمعت الصحابة على هذا الجمع فكيف يسوغ لهم هذا العمل وهؤلاء الصحابة هم الذين أوصلوا إليهم القرآن والسنة النبوية ، فكيف يأخذون القرآن عن الصحابة ثم يكفروهم ؟!

وكيف ينكرون إجماع الصحابة وينكرون سنة الخلفاء الراشدين التي أمرنا الرسول ﷺ بإتباعها .

يقول رحمه الله :

((انعقد إجماع الصحابة رضوان الله عليهم في زمن عمر ﷺ ، على الثمانين في حد الخمر ، ولا مخالف لهم منهم ، وعلى ذلك جماعة التابعين ، وجمهور فقهاء المسلمين ، والخلاف في ذلك كالشذوذ المحجوج بالجمهور.

وقد أجمع الصحابة ومن بعدهم على حرف واحد في السبعة الأحرف التي قال رسول الله ﷺ أنزل القرآن عليها ، ومنعوا ما عدا مصحف عثمان منها ، وانعقد الإجماع

على ذلك فلزمت الحجة به ، لقول الله ﷻ :﴿ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[1] وقال ابن مسعود ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله ﷻ حسن .

وقال رسول الله ﷺ: ((عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي[2][3]))

أما منزلة الصحابة من الدين ومكانتهم عند المسلمين فيرى – رحمه الله – أن هناك ارتباطا شديدا بين السنة المبينة لمراد الله وبين من رواها ونقلها إلى الناس كافة من صحابة رسول الله ﷺ، ولذلك يعتبر أن معرفة الصحابة رضوان الله عليهم من أوكد السنن المعينة على فهم السنة والمحافظة عليها ، لأنهم هم المخاطبون بها وهم الذين نقلوها عن نبيهم ﷺ، فكيف يطعن فيهم أو ينتقص منهم .

يقول – رحمه الله – : ((فإن أولى ما نظر فيه الطالب وعني به العالم بعد كتاب الله ﷻ سنن رسول الله ﷺ ، فهي المبينة لمراد الله ﷻ من مجملات كتابه ، والدالة على حدوده والمفسرة له والهادية إلى الصراط المستقيم ، صراط الله ، من اتبعها اهتدى ومن سلك غير سبيلها ضل وغوى ، وولاه الله ما تولى .

(١) سورة النساء الآية ١١٥

(٢) رواه أحمد ج٤ صـ١٢٦-١٢٧ ، وأبو داود في كتاب السنة باب لزوم السنة ج٤ صـ٢٠٠-٢٠١ والترمذي من كتاب العلم باب الأخذ بالسنة ٤/٥٠ وقال حديث حسن صحيح

(٣) ابن عبد البر . الاستذكار جـ٢٤ صـ ٢٧٧-٢٧٨ .

ومن أوكد آلات السنن المعينة عليها والمودية إلى حفظها ، معرفة الذين نقلوها عن نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم إلى الناس كافة ، وحفظوها عليه ، وبلغوها عنه ، وهم صحابته الحواريون ، الذين وعوها وأدوها ناصحين محسنين حتى كمل بما نقلوه الدين ، وثبتت بهم حجة الله تعالى على المسلمين فهم خير القرون وخير أمة أخرجت للناس[1])) .

ويؤكد – رحمه الله – على أهمية دراسة الصحابة وسيرهم لأنهم هم المبلغون عن نبيهم وهم الواسطة بين الناس وبين نبيهم وأن هذا من علم الخاصة ، فيقول :

((ولا خلاف علمته بين العلماء أن الوقوف على معرفة أصحاب رسول الله ﷺ من أوكد علم الخاصة وأرفع علم أهل الخبر ، وبه ساد أهل السير ، وما أظن أهل دين من الأديان إلا وعلماؤهم معنيون بمعرفة أصحاب أنبيائهم لأنهم الواسطة بين النبي وبين أمته[2])) .

ويروي – رحمه الله – أثرا لأحد علماء أهل الكتاب في صفة الصحابة لما رآهم في الشام وقوله إن أصحاب عيسى ابن مريم عليه السلام ليسوا بأفضل من صحابة رسول الله ﷺ فيقول:

((وروى ابن القاسم عن مالك أنه سمعه يقول : لما دخل أصحاب رسول الله ﷺ بالشام

(١)ابن عبد البر ، الاستيعاب جـ١ صـ١ .

(٢) السابق ج ١ صـ١٩ .

نظر إليهم رجل من أهل الكتاب فقال:ما كان أصحاب عيسى بن مريم الـــذين قطعـــوا بالمناشير وصلبوا على الخشب بأشد اجتهادا من هؤلاء[١])) .

وقد وافق ابن عبد البر رحمه الله علماء سلف الأمة قاطبة في نصرة الصحابة والذب عنهم لم يخرج عن هذه المعاني أحد على الإطلاق وذلك لما ثبت في الكتاب والسنة من الثنـــاء عليهم بالخير والفضل والشهادة لهم بالإيمان والصدق وما تواتر بالنقل الصحيح من عظيم جهادهم في سبيل الله وحسن بلائهم في الدين. وذكر الحميدي[٢]- رحمه الله - أن مـــن السنة ((الترحم على أصحاب محمد ﷺ كلهم فإن الله ﷻ قال : ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾[٣] .

فلم نؤمر إلا بالاستغفار لهم ، فمن سبهم أو انتقصهم ، أو أحدا منهم فليس على السنة وليس له في الفيء حق ، أخبر بذلك غير واحد عن مالك بن أنس[٤])) .

---

(١)الاستيعاب جـــ١ صـــ١١ .

(٢) الحميدي هو : عبد الله بن الزبير بن عيسى القرشي الحميدي المكي الإمام الفقيه الحافظ المحدث صاحب المسند توفي سنة ٢١٩هـــ انظر التاريخ الكبير ٩٦/٥ ، الجـــرح والتعـــديل ٩٦/٥ الســـير ٦١٦/١٠.

(٣) سورة الحشر الآية ١٠.

(٤)أصول السنة للحميدي بذيل مسنده جـــ٥ صـــ٥٤٦ تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي ، عـــالم الكتب ، بيروت .

يقول الإمام أحمد – رحمه الله – : ((إذا رأيت رجلا يذكر أحدا من أصحاب رسول الله ﷺ بسوء فاتهمه على الإسلام[1])) . وذكر الطحاوي [2]في كتاب العقيدة الطحاوية: ((ونحب أصحاب رسول الله ﷺ ولا نفرط في حب أحد منهم ولا نتبرأ من أحد منهم ، ونبغض من يبغضهم ، وبغير الخير يذكرهم ، ولا نذكرهم إلا بالخير ، وحبهم دين وإيمان وإحسان ، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان [3])) .

يقول ابن بطة[4] – رحمه الله – في تقرير هذه العقيدة : ((ويشهد لجميع المهاجرين والأنصار بالجنة والرضوان والتوبة والرحمة من الله ،ويستقر علمك وتوقن بقلبك أن رجلا رأى النبي ﷺوشاهده وآمن به واتبعه ولو ساعة من نهار أفضل ممن لم يره ولم يشاهده ولو أتى بأعمال الجنة أجمعها ثم الترحم على جميع أصحاب رسول اللهﷺ صغيرهم وكبيرهم وأولهم وآخرهم وذكر محاسنهم ونشر فضائلهم ،والاقتداء بهديهم ،والاقتفاء لآثارهم[5]))

---

(١)ذكره ابن الجوزي في مناقب الإمام أحمد صـ٢٠٩تحقيق د. عبد الله التركي ط١ عام ١٣٩٩هـ .

(٢) هو الإمام أبوجعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي المصري الطحاوي ، محدث الديار المصرية وفقيهها وكان ثقة ثبتا فقيها عالما له تصانيف مفيده ولد سنة ٢٣٩هـ ، وتوفي سنة ٣٢١هـ ، انظر المنتظم لابن الجوزي ٢٥٠/٦ والسير ٢٧/١٥ ، والوافي بالوفيات ٩/٨

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ج٢صـ٦٨٩ بتحقيق د. التركي وشعيب الأرناؤط ط٣ عام ١٤١٨هـ

(٤) هو أبوعبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العكبري الحنبلي الإمام العابد الفقيه المحدث شيخ العراق صاحب كتاب الإبانة توفي سنة ٣٨٧هـ ، انظر ترجمته في طبقات الحنابلة ١١٤/٢ ، السير ٥٢٩/١٦ ، شذرات الذهب ١٢٢/٣ -١٢٤ .

(٥) الإبانة الصغرى جـ١ صـ ٢٦٣-٢٦٥ تحقيق رضا نعسان معطي ط١ ١٤٠٩دار الراية الرياض

ويقـــول في ذلك أبونعيم[1]- رحمه الله - : ((فالواجب على المســـلمين في أصـــحاب رسول الله ﷺ إظهار ما مدحهم الله تعالى به وشكرهم عليه من جميل أفعـــالهم وجميـــل سوابقهم[2])) .

ومما ذكره شيخ الإسلام أبو عثمان الصابوني[3] في رسالته عقيدة أصحاب الحديث قوله : ((ويرون الكف عما شجر بين أصحاب رسول الله ﷺ وتطهير الألسنة عن ذكـــر مـــا يتضمن عيبا لهم ونقصا فيهم ، ويرون الترحم على جميعهم ، والموالاة لكافتهم ، وكذلك يرون تعظيم قدر أزواجه رضي الله عنهن والدعاء لهن ، ومعرفة فضلهن والإقرار بأهن أمهات المؤمنين[4])).

(١)أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني ، محدث مؤرخ صاحب تصوف له مؤلفات أشهرها كتاب الحلية توفي بأصبهان سنة ٤٣٠هـ ، انظر طبقات الشافعية جـ٤ صـ١٨ تحقيق عبد الفتاح الحلو وزميله ، النجوم الزاهرة ٥ / ٣٠ .

(٢) أبو نعيم الأصبهاني ، الإمامة ت . علي الفقيهي ط ١ ١٤٠٧مكتبة العلوم والحكـــم بالمدينـــة المنورة صـ٣٤١ وما بعدها .

(٣)هو إسماعيل بن عبد الرحمن النيسابوري الصابوني الشافعي محدث فقيه مفسر واعظ لقب بشـــيخ الإسلام في خراسان توفي سنة ٤٤٩هـ ، انظر طبقات الشافعية جـ٤ صـ٢٧١ وســـير أعـــلام النبلاء ، جـ١٨ صـ٤٠ ت شعيب الأرنؤوط وآخرين .

(٤)أبو عثمان الصابوني ، عقيدة السلف وأصحاب الحديث ، ص ١٠١ تحقيق أبي اليمين المنصوري . دار المنهاج ط١ ، ١٤٢٣ هـ

وقال ابن حزم – رحمه الله – في هذه المسألة : ((فمن أخبرنا أن الله ﷻ أنه علم ما في قلوبهم ، ورضي عنهم ، وأنزل السكينة عليهم ، فلا يحل لأحد التوقف في أمرهم أو الشك فيهم البتة[1])) .

ويوضح هذا المعتقد لأهل السنة والجماعة في صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم شيخ الإسلام ابن تيمية فيقول :

((ومن أصول أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله ﷺ كما وصفهم الله في قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ۝١٠﴾[2].

وطاعة النبي ﷺ في قوله : { لا تسبوا أصحابي فو الذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه[3] } ويقبلون ما جاء به الكتاب والسنة والإجماع في فضائلهم ومراتبهم[4])) .

---

(١)ابن حزم ، الفصل في الملل والنحل ١ / ٢٦٤ ، تحقيق أبي عبد الرحمن عادل بن سعد ط١ . دار ابن الهيثم بالقاهرة ١٤٢٦ هـ

(٢)سورة الحشر الآية ١٠

(٣)أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة حديث رقم ٣٦٧٣، ومسلم حديث رقم ٢٥٤٠.

(٤) العقيدة الواسطية بشرح محمد خليل هراس ص١٥٧-١٥٨ ، طبعة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام ١٣٩٦هـ .

المبحث الرابع

رد ابن عبد البر على قول الخوارج في الإيمان ومرتكب الكبيرة

إن الإيمان عند أهل السنة والجماعة هو تصديق بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالجوارح ، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية أما الإيمان عند الخوارج والمعتزلة فهو : قول واعتقاد وعمل لكن الإيمان عندهم كل واحد لا يتجزأ ولا يتبعض إذا ذهب بعضه ذهب كله ، فمن أخل بشيء من الأعمال ذهب إيمانه بإتفاق الطائفتين ، وهو كافر عند الخوارج ، وفي مترلة بين المترلتين عند المعتزلة(١).

وقد ذكر ابن عبد البر – رحمه الله – أن الخوارج كفروا المذنب وأهم في ذلك طائفتان :

طائفة تجعل المذنب كافرا كالمشرك ، وتجعل داره دار حرب وهم الصفرية ومن وافقهم .

وطائفة تجعله كافرا كفر نعمة ، إلا أهم لا يستحلون ماله كالطائفة السابقة وإن كانوا يوافقونهم في أنه يخلد في النار وهؤلاء هم الاباضية .

وهذا الذي ذكره ابن عبد البر عن الصفرية من الخوارج هو مذهب عامة الخوارج وهو ما ذكره علماء المقالات عنهم(٢) .

يقول ابن عبد البر رحمه الله : ((ومنهم من قال في ذلك بقول الخوارج المذنب كافر غير مؤمن إلا أن الصفرية تجعله كالمشرك وتجعل دار المذنب المخالف لهم دار حرب

---

(١)انظر الشريعة للأجري صـ١١١ وانظر شرح اعتقاد أهل السنة للالكائي جـ٤ صـ٩١١ وانظر : مجموع الفتاوي لابن تيمية ج١٣ صـ٤٨ .

(٢) انظر مقالات الإسلاميين صـ ٥٩ وانظر الفرق بين الفرق صـ٦١ وما بعدها والملل والنحل ١ / ١٤٦ .

وأما الإباضية فتجعله كافر نعمة ، ولكنهم يخلدونه في النار إن لم يتب من الكبيرة ولا يستحلون ماله كما يستحله الصفرية ، ولهم ظواهر آيات يبرهنون بها قد فسرتها السنة ، وقد مضى عل ما فسرت السنة في ذلك علماء الأمة[1])) .

ويورد رحمه الله في معرض رده على الخوارج أثرا عن أحد صحابة رسول الله ﷺ يبين فيه موقف الصحابة رضوان الله عليهم من مرتكبي الكبائر وهذا الأثر عن جابر بن عبد الله ﷺ عندما سئل : ((أكنتم تعدون شيئا من الذنوب كفرا أو شركا أو نفاقا ، قال : معاذ الله ولكنا نقول مؤمنين مذنبين))[2][3] .

ويذكر في تعليقه على حديث الإمام مالك في الغلول ، فقد روى بسنده عن زيد بن خالد الجهني قال : ((توفي رجل يوم خيبر وأنهم ذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فزعم أنه قال : صلوا على صاحبكم فتغيرت وجوه الناس لذلك ، فزعم زيد أن رسول الله ﷺ قال : إن صاحبكم قد غل في سبيل الله ، قال ففتحنا متاعه فوجدنا خرزات من خرز يهود ما تساوي درهمين[4]))[5] .

---

(١)التمهيد جـ٩ صـ٢٥١.

(٢) المصدر السابق صـ ٢٥١ .

(٣) لم أقف على تخريجه .

(٤) أخرجه أبو داود في سننه رقم ٢٧١٠ وسكت عنه وقد أشار إلى أن ما سكت عنه فهو صالح ، والنسائي في الجنائز باب الصلاة على من يغل ٢٦٤/٤ ، وابن ماجة في الجهاد باب الغلول ٢٨٤٨، والبغوي في شرح السنة كتاب السير والجهاد باب الغلول . ١١٧/١١.

(٥)التمهيد جـ٢٣ صـ٢٨٥ .

ثم يقول – رحمه الله – : ((وفي قوله صلوا على صاحبكم دليل على أن الذنوب لا تخرج المذنب عن الإيمان ، لأنه لو كفر بغلوله – كما زعمت الخوارج – لم يكن ليأمر بالصلاة عليه ، فإن الكافر والمشرك لا يصلي عليه المسلمون))[1].

ويعلل عدم صلاة الرسول ﷺ على من غل وعلى أصحاب الكبائر وأنهم مؤمنون وليسوا كافرين ، و لم تخرجهم ذنوبهم عن الإيمان فيقول :

((وإنما قوله عليه السلام (صلوا على صاحبكم) بأن ذلك كان للتشديد لغير الميت من أجل أن الميت قد غل لينتهي الناس عن الغلول لما رأوا من ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه وكانت صلاته على من صلى عليه رحمه فلهذا لم يصل عليه ، والله أعلم .

وفي قوله : صلوا على صاحبكم ، دليل على أن الذنوب لا تخرج المذنب عن الإيمان ، لأنه لو كفر بغلوله كما زعمت الخوارج لم يكن ليأمر بالصلاة عليه لأن الكافر لا يصلى عليه المسلمون لا أهل الفضل ولا غيرهم .

وأما ترك رسول الله ﷺ الصلاة عليه وأمر غيره بالصلاة عليه ، لأنه كان لا يصلي على من ظهرت فيه كبيرة ليرتدع الناس عن المعاصي وإرتكاب الكبائر .

ألا ترى أنه لم يصل على ماعز الأسلمي وأمر غيره بالصلاة عليه و لم يصل على الذي قتل نفسه ، ولا على كثير ممن أقام عليهم الحدود ليكون ذلك زاجرا لمن خلفهم ونحو ذلك .

---

(١) المصدر السابق صـ ٢٨٧ .

وهذا أصل في أنه لا يصلي الإمام وأئمة الدين على المحدثين ولكنهم لا يمنعون الصلاة عليهم ، بل يأمر بذلك غيره كما قال صلى الله عليه وسلم صلوا على صاحبكم))[1] .

ويذكر – رحمه الله – أحاديث وردت في أن مرتكب الكبيرة ليس بكافر ولا مشرك كما تدعيه الخوارج ، وأنه إن تاب تاب الله عليه ، وأنه إن لم يتب فأمره إلى الله إن شاء غفر له وإن شاء عذبه وهذه الأحاديث التي ذكرها، قوله ﷺ :((من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة ومن مات وهو يشرك بالله شيئا فهو في النار))[2][3].

ويروي حديثا بسنده عن عبادة [4]بن الصامت رضي الله عنه أنه قال : ((كنا عند النبي ﷺفي مجلس فقال : تبايعوني على ألا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا – قرأ عليهم الآية – فمن وفى منكم فأجره على الله ومن أصاب من ذلك شيئا فستره الله عز وجل فهو إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له))[5].

---

(١) الاستذكار جـ١٤ صـ ١٩٤ .

(٢)أخرجه مسلم : كتاب الإيمان حديث رقم ١٥١.

(٣)انظر التمهيد ج١٧ صـ ١٩ . .

(٤) هو عبادة بن الصامت الأنصاري الصحابي الجليل ، شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وهو ممن شهد بيعة العقبة الأولى ، توفي سنة ٣٤ هـ رضي الله عنه ، انظر طبقات ابن سعد ٣ / ٥٤٦ ، أسد الغابة ٣ / ١٦٠ ، والإصابة ٥ / ٣٢٢

(٥) أخرجه البخاري كتاب الإيمان حديث رقم ١٨ ومسلم واللفظ له بزيادة (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله) كتاب الحدود حديث رقم ١٧٠٩ ، والآية الكريمة التي قرأها الرسول ﷺ هي آية ١٢ من سورة الممتحنة كما وردت في الأحاديث الأخرى من صحيح مسلم وهي قوله تعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾.

ثم يقول – رحمه الله – عن الحديث السابق:

((قال أبو عمر من أصح حديث يروى عن النبي ﷺ وعليه أهل السنة والجماعة ، وهو يضاهي قول الله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾[1][2].

ويدحض – رحمه الله – أقوال الخوارج بردود قوية يذكر فيها أن مرتكب الكبيرة مؤمن ناقص الإيمان وليس بكافر ويدلل على ذلك بأن الله فرض حدودا على بعض الكبائر ، جعلها طهرة لمرتكبها ، كحد القذف وحد الزنى وجعل عقوبات على بعض الذنوب كفارات لها ، وذلك مثل كفارة الظهار ، وكفارة الإيمان وكفارة الفطر في رمضان ، وأن الشريعة المطهرة لم تسم أحدا من مرتكبي هذه الذنوب كافرا ، وانه لو كان كافرا لم يصل عليه و لم يدفن في مقابر المسلمين فيقول :

((وجعل الله في بعض الكبائر حدودا جعلها طهرة وفرض كفارات في كتابه للذنوب من التقرب إليه بما يرضيه ، فجعل على القاذف جلد ثمانين إن لم يأت بأربعة شهداء ، و لم يجعله بقذفه كافرا .

---

(١) سورة النساء الآية٤٨.

(٢)التمهيد ١٧ / ٢٦

وجعل على الزاني مئة وذلك طهرة له كما قال ﷺفي التي رجمها { لقد خرجت من ذنوبها كيوم ولدتها أمها }[1].

وقال ﷺ : { من أقيم عليه الحد فهو له كفارة ومن لم يقم عليه حده فأمره إلى الله إن شاء غفر له وإن شاء عذبه }[2]. وما لم يجعل فيه حدا فرض فيه التوبة منه والخروج عنه إن كان ظلما لعباده ، وليس في شيء من السنن المجتمع عليها ما يدل على تكفير أحد بذنب .

وقد أحاط العلم بأن العقوبات على الذنوب كفارات ، وجاءت بذلك السنن الثابتة عن رسول الله ﷺكما جاءت بكفارة الإيمان والظهار والفطر في رمضان ، وأجمع علماء المسلمين أن الكافر لا يرث المسلم ، وأجمعوا أن المذنب وإن مات مصرا يرثه ورثته ويصلى عليه ويدفن في مقابر المسلمين ، وقال ﷺ : { من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا ونسك نسكنا فهو المسلم له ما للمسلم وعليه ما على المسلم[3] }. وقال ﷺ : { الندم توبة[4] } . رواه عبد الله ابن مسعود عن النبي ﷺ، وقال ﷺ :{ ليس أحد من

(١) أخرجه مسلم بنحوه كتاب الحدود ، ١٦٩٥.

(٢) لم أعثر على هذا الحديث بلفظه ولكن معناه صحيح ، وقد صححه الألباني بلفظ قريب من هذا في السلسلة الحديثة حديث رقم ١٧٥٥

(٣)رواه البخاري في كتاب الصلاة باب فضل استقبال القبلة ١٠٢/١ .

(٤) رواه أحمد ٣٧٦/١ وصححه الألباني في صحيح ابن ماجة حديث رقم ٤٢٥٢.

خلق الله إلا وقد أخطأ أو هم بخطيئة إلا يحيى بن زكريا }[1]، وقال ﷺ : { لولا أنكم تذنبون وتستغفرون لذهب الله بكم وجاء بقوم يذنبون ويستغفرون فيغفر لهم }[2]إن الله يحب أن يغفر لعباده وفي هذا قول الأول :

إن تغفر اللهم تغفر جما وأي عبد لك لا ألما[3]

فهذه الأصول كلها تشهد على أن الذنوب لا يكفر بها)[4]

ويؤكد – رحمه الله – أن ما قرره في هذه المسألة هو نفسه ما قرره علماء المسلمين من أهل السنة وذكر منهم مالك بن أنس والليث[5]بن سعد وسفيان [6]الثوري والأوزاعي [7]

(١) رواه أحمد بلفظ مقارب ٢٩٢/١ وقال أحمد شاكر في تحقيقه للمسند إسناده صحيح .

(٢)أخرجه مسلم بنحوه في كتاب التوبة حديث رقم ٢١٠٥ .

(٣)البيت لأمية بن الصلت ، الأغاني ١٢٨/٤ .

(٤) التمهيد جـ١٧ – صـ١٩ وما بعدها .

(٥) هو عالم الديار المصرية الليث بن سعد بن عبد الرحمن الإمام الحافظ الفقيه ، سمع من عطاء بن رباح وابن أبي مليكة والزهري وكان معاصرا للإمام مالك توفي سنة ١٧٥ هـ رحمه الله . انظر طبقات ابن سعد ٧ / ٥١٧ ، مشاهير علماء الأمصار ١٩١ ، العبر ١ / ٢٦٦

(٦)هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي من أئمة المسلمين وأعلام الدين مع الحفظ والضبط والورع والزهد توفي سنة ١٦١هـ ، انظر ترجمته في التاريخ الكبير ٩٢/٤ ، ووفيات الأعيان٢/ ٢٨٦ ، وتذكرة الحفاظ ٢٠٣/١ ، و تهذيب التهذيب ١١١/٤ .

(٧)هو عبد الرحمن بن عمرو بن محمد الأوزاعي الدمشقي الفقيه الزاهد عالم أهل الشام كان صاحب سنة واتباع توفي سنة ١٥٧هـ . انظر ترجمته في الجرح والتعديل ٦ /٨٥ ، وتذكرة الحفاظ ١٧٨/١ ، والسير ١٠٧/٧ -١٣٤ .

والشافعي وأحمد بن حنبل وإسحاق [1]بن راهوية وأبوعبيد [2]القاسم بن سـلام وداود[3] بن علي وأبوجعفر[4]الطبري كلهم يقول بأن أهل الذنوب مؤمنون إلا أهم غير مستكملي الإيمان بسبب ذنوبهم لا كما تقول الخوارج ، فيقول :

((وأهل الذنوب عندهم مؤمنون غير مستكملي الإيمان من أجل ذنوبهم وإنما صـاروا ناقصي الإيمان بإرتكابهم الكبائر ، ألا ترى إلى قول الرسول ﷺ : { لا يزني الزاني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشـربها وهـو مؤمن }[5]. يريد مستكمل الإيمان ، ولم يرد به نفي جميع الإيمان عن فاعل ذلك بـدليل

---

(١)هو إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلي المعروف بابن راهوية ، إمام من أئمة الإسلام محدث فقيه ورع توفي سنة ٢٣٨هـ انظر ترجمته في التاريخ الكبير١/٣٧٩ ، وطبقات الشافعية ٢/٨٣ ، و تهذيب التهذيب ١/٢١٦ .

(٢)هو أبوعبيد القاسم ابن سلام صاحب تصانيف كثيرة في القراءات واللغة والفقه والشعر وكان ذا سيرة حميدة ، توفي سنة ٢٤٤هـ ، انظر ترجمته في وفيات الأعيان ٣/٢٢٥، وطبقات الحنابلة لأبي يعلى ١/٢٥٩، والسير ١٠/٤٩٠ ، وطبقات الشافعية ٢ /١٥٣ .

(٣) هو دواد بن علي بن خلف الأصبهاني أبو سليمان الظاهري كان شافعيا ، ثم صار إلى مذهب مستقل توفي سنة ٢٧٠هـ . انظر ترجمته في تاريخ بغداد ٨/٣٦٩، والسير ١٣/٩٧-١٠٨ ، وطبقات الشافعية ٢/٢٨٤ .

(٤) هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري الإمام المجتهد عالم العصر صاحب التفسير والتاريخ كان في أفراد الدهر علما وذكاء وكثرة تصانيف ولد سنة ٢٢٤ هـ وتوفي سنة ٣١٠ هـ انظر تاريخ بغداد ٢ / ١٦٨ ، السير ١٤ / ٢٦٧ طبقات المفسرين للداودي ٢ / ١٠٦

(٥)أخرجه مسلم بنحوه من كتاب التوبة حديث رقم ٢١٠٥ .

الإجماع على توريث الزاني والسارق وشارب الخمر إذا صلوا للقبلة وانتحلوا دعوة الإسلام في قرابتهم المؤمنين الذين أمنوا بتلك الأحوال .

وفي إجماعهم على ذلك مع إجماعهم على أن الكافر لا يرث المسلم أوضح الدلائل على صحة قولنا ، أن مرتكب الذنوب ناقص الإيمان بفعله ذلك وليس بكافر كما زعمت الخوارج في تكفيرهم المذنبين))[1].

وقد صدق ابن عبد البر - رحمه الله - في نقله إجماع علماء أهل السنة والجماعة في أن مرتكب الكبيرة ليس بكافر كما تزعم الخوارج وأنهم لا يرون في مرتكب الكبيرة ما يخرجه من الإيمان سوى الشرك بالله فهو مؤمن عاص أو مؤمن فاسق أو يقال هو مؤمن بإيمانه ، فاسق بكبيرته ، ولا يزيلون عنه اسم الإيمان بالكلية بذهاب بعضه ، كما لا يعطونه اسم الإيمان المطلق ، ويرون أنه إذا مات ولم يتب فهو تحت مشيئة الله إن شاء غفر له وإن شاء أدخله النار، وعذبه بقدر ذنبه ، وأنه لا يخلد في النار كالكفار بل لابد أن يخرج منها ويدخل الجنة .

وفيما يلي طائفة من أقوال أئمة أهل السنة والجماعة :

يقول إمام أهل السنة والجماعة أحمد بن حنبل : ((ولا يشهد على أحد من أهل القبلة بعمل يعمله بجنة ولا نار ، يرجو للصالح ويخاف عليه ، ويخاف على المسيء المذنب

---

(١)التمهيد جـ ٩ ، صـ ٢٤٤ .

ويرجو له رحمة الله ... ومن لقي الله بذنب يجب له به النار تائبا غير مصر عليه ، فإن الله عز وجل يتوب عليه ويقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ومن لقيه وقد أقيم عليه حد ذلك في الدنيا ، فهو كفارة ، كما جاء الخبر عن رسول الله ﷺ(١).

ومن لقيه مصرا غير تائب من الذنوب التي استوجب بها العقوبة فأمره إلى الله ﷻ إن شاء عذبه وإن شاء غفر له ، ومن لقيه كافرا عذبه و لم يغفر له))(٢).

ويقول الإمام أبو عثمان الصابوني في ذلك : ((ويعتقد أهل السنة أن المؤمن وإن أذنب ذنوبا كثيرة ، صغائر كانت أو كبائر ، فإنه لا يكفر بها وإن خرج من الدنيا غير تائب منها ومات على التوحيد والإخلاص فإن أمره إلى لله إن شاء عفا عنه وأدخله الجنة يوم القيامة سالما غانما غير مبتلى في النار ، ولا معاقب على ما ارتكبه من الذنوب واكتسبه ثم استصحبه إلى يوم القيامة من الأثام والأوزار ، وإن شاء عاقبه ، وعذبه مدة بعذاب النار وإذا عذبه لم يخلده فيها ، بل أعتقه وأخرجه منها إلى دار القرار)) (٣).

وقال الإمام ابن أبي العزالحنفي في تعليقه على كلام الإمام الطحاوي:

((إن أهل السنة متفقون كلهم على أن مرتكب الكبيرة لا يكفر كفرا ينقل عن الملة بالكلية كما قالت الخوارج ، إذ لو كفر كفرا ينقل عن الملة لكان مرتدا يقتل على كل

---

(١) وهو حديث عبادة بن الصامت سبق تخريجه.

(٢)ذكره اللالكائي شرح أصول اعتقاد أهل السنة جـ١ صـ ١٨٢ .

(٣)عقيدة السلف أصحاب الحديث صـ ٨٢ .

حال ، ولا يقبل عفو ولي القصاص ، ولا تجري الحدود في الزنا والسرقة وشرب الخمر ، وهذا القول معلوم بطلانه وفساده بالضرورة من دين الإسلام ومتفقون على أنه لا يخرج من الإيمان والإسلام ، ولا يدخل في الكفر ولا يستحق الخلود مع الكافرين))[1] .

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٤٢

المبحث الخامس

رد ابن عبد البر على الخوارج في إنكارهم لصلاة الجماعة

يذكر الإمام ابن عبد البر - رحمه الله - مقولة الخوارج في عدم وجوب صلاة الجماعة ويصفهم بأنهم أصحاب بدع وضلال وأنهم مخالفون لجماعة المسلمين ، وأن صلاة الجماعة قد وردت فيها أحاديث أجمع العلماء على صحتها ، كما يورد بعض أحكام الفقهاء في حكمها فيقول :

((وفي فضل الجماعة أحاديث متواترة عن النبي ﷺ أجمع العلماء على صحة مجيئها واعتقادها والقول بها ، وفي ذلك ما يوضح بدعة الخوارج ، ومخالفتهم لجماعة المسلمين في إنكارهم الصلاة في جماعة ، وكراهتهم أن يأتم أحد بأحد في صلاته إلا أن يكون نبيا أو صديقا ، أجارنا الله الضلال برحمته وعصمنا بفضله لا إله إلا هو))[١]

ويورد بسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال :

((صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة))[٢][٣]

وروى بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :

((صلاة الجماعة أفضل من صلاة أحدكم وحده بخمسة وعشرين جزءا))[٤][٥]

---

(١) التمهيد جـ ٤ صـ ١٤٠ .

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم ٦٥٠ .

(٣) التمهيد جـ ١٤ صـ ١٨٧ .

(٤) أخرجه البخاري كتاب الأذان حديث رقم ٦٤٨، ومسلم كتاب المساجد حديث ٦٤٩ .

(٥) التمهيد جـ ٦ صـ ٣١٦ .

ويورد أقوالا لبعض الفقهاء حول فرضية صلاة الجماعة ، وأنهم مختلفون في حكم وجوبها على المسلم أهي فرض عين أم فرض كفاية أم هي سنة مؤكدة ، وما ذلك إلا لأهمية صلاة الجماعة عند أهل السنة والجماعة ، فيقول :

((وأكثر الفقهاء بالحجاز والعراق والشام يقولون :

إن حضور صلاة الجماعة فضيلة وفضل وسنة مؤكدة ، لا ينبغي تركها وليست بفرض .

ومنهم من قال إنها فرض على الكفاية .

وأختلف أصحاب الشافعي في هذه المسألة فمنهم من قال شهود الجماعة فرض على الكفاية ، ومنهم من قال شهودها سنة مؤكدة لا رخصة في تركها للقادر عليها إلا في عذر ، ولهم في ذلك دلائل يطول ذكرها للقولين جميعا .

وقال أهل الظاهر – منهم داود – إن حضور صلاة الجماعة فرض متعين كالجماعة سواء ، وأنه لا يجزيء الفذ صلاة إلا بعد صلاة الناس في المسجد وإن صلاها قبلهم أعاد))[1] .

وقد وافق ابن عبد البر علماء مقالات الإسلاميين فيما نقلوه من إنكار الخوارج لصلاة الجماعة وأنها ليست بواجبه وأنهم بذلك خالفوا جماعة المسلمين.

---

(١) المصدر السابق صـ ٣١٨.

يقول الإمام أبو الحسن[1] الأشعري : ((وقال بعضهم : ليس على النـــاس المشـــي إلى الصلاة والركوب إلى الحج ولا شيء من أسباب الطاعات التي يتوصل بها إليهـــا وإنمـــا عليهم فعلها بعينها فقط))[2].

ويذكر ابن حزم الظاهري قولا قريبا من قول الإمام ابن عبد البر في رده على الخوارج ، مضيفا إلى ذلك إجماع الصحابة والتابعين وأهل الحديث بجواز صلاة الفاضل خلف الإمام الفاسق موردا الأدلة في ذلك فيقول رحمه الله :

((ذهبت طائفة إلى أنه لا يجوز الصلاة إلا خلف الفاضل وهو قول الخوارج والزيديـــة والروافض وجمهور المعتزلة وبعض أهل السنة ، وقال آخرون إلا الجمعة والعيدين وهـــو قول بعض أهل السنة وذهب طائفة الصحابة كلهم دون خلاف في أحد منهم وجميـــع فقهاء التابعين كلهم دون خلاف من أحد منهم وأكثر من بعدهم وجمهور أصحاب

---

(١) هو الإمام علي بن إسماعيل ينتهي نسبه إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ولد سنة ٢٦٠هـــ وتوفي سنة ٣٢٤هـــ ببغداد على أصح الأقوال ، إليه ينسب الأشاعرة ، وقد كان معتزليا أكثر عمره ثم رجع عن الاعتزال وصرح بانتسابه إلى إمام أهل السنة أحمد بن حنبل ، وبين ضلال المعتزلة وفساد أقوالهم إلا أنه لم يكن عنده الخبرة الكافية بالسنة ، انظر تاريخ بغداد ٣٤٦/١١، تبين كذب المفترى صـــ٣٤ ، اللباب ٦٤/١ ، شرح الأصبهانية لابن تيمية صـــ ٣٧٤ .

(٢) أبو الحسن الأشعري مقالات الإسلاميين ص ٦٨ ، وانظر الفرق بين الفرق ص ٧٧

الحديث وهو قول أحمد والشافعي وأبي حنيفة وداود وغيرهم إلى جواز الصلاة خلف الفاسق الجمع وغيرها وبهذا نقول ، وخلاف هذا القول بدعة محدثة ، فما تأخر قط أحد من الصحابة الذين أدركوا المختار[1] بن عبيد ، والحجاج [2]، وعبيد الله [3]بن زياد ، وحبيش بن دلجة[4] وغيرهم عن الصلاة خلفهم ، وهؤلاء أفسق الفساق ، وأما المختار فكان متهما في دينه مظنونا به الكفر[5])) .

---

(١)هو المختار بن أبي عبيد بن مسعود بن عمرو الثقفي ، من أهل الطائف أرسله عبد الله بن الزبير إلى الكوفة فغلب عليها ، وتتبع قتلة الحسين فقتل عددا من رؤسائهم ، وأرسل جيشا إلى عبيد الله بن زياد وقتلة سنة ٦٥هـ ، ثم خلع ابن الزبير ، فتوجه إليه مصعب ابن الزبير وهو أمير البصرة لأخيه عبد الله فقتله وأصحابه سنة ٦٧هـ ،وكان المختار كذابا يزعم أن الوحي يأتي إليه ، انظر كتب التاريخ حوادث سنة ٦٥- ٦٧ جمهرة أنساب العرب ص ٣١٨ ، تهذيب التهذيب ٤ / ٣٦١

(٢)هو الحجاج بن يوسف الثقفي أبو محمد ولد سنة ٤٠هـ بالطائف ونشأ بها ثم انتقل إلى الشام حيث عينه عبد الملك قائدا لعسكره وبعثه لقتال عبدالله بن الزبير فقتله ثم ولاه العراق ومكث فيها عشرين سنة وفتح فتوحات كثيرة حتى وصلت جيوشه إلى الهند والسند ، كان جبارا سفاكا للدماء ، توفي بواسط سنة ٩٥هـ انظر الكامل لابن الأثير ٥٨٣/٤، تاريخ الإسلام٣/ ٣٤٩ ، العبر ١ / ٢١١ ، لسان الميزان ٢ / ١٨٠ .

(٣)هو عبيد الله بن زياد بن أبيه أمير العراق افتتح بلادا كثيرة إلى أن وصل جيحون ، وكان أميرا سفاكا للدماء ، وأبغضه الناس لما فعل بالحسين ﷺ ، توفي مقتولا سنة ٦٧ هـ . انظر التاريخ الكبير ٥ / ٣٨١ ، السير ٣ / ٥٤٥ ، شذرات الذهب ١ / ٧٤

(٤)هو حبيش بن دلجة العتيبي أحد قواد الجيش عند مروان بن الحكم قتل سنة ٦٥ هـ . انظر : تاريخ الطبري أحداث سنة ٦٥ هـ وتاريخ ابن كثير أحداث سنة ٦٥ هـ ٦ / ١٨ وما بعدها

(٥)ابن حزم . الفصل ٢ / ٢٩٤

المبحث السادس

رد ابن عبد البر على الخوارج في إنكارهم لبعض أشراط الساعة ومواقف القيامة

معنى أشراط الساعة أي علامات الساعة،والأشراط واحدها شرط، بالتحريك ، وبه سميت شرط السلطان،لأنهم جعلوا لأنفسهم علامات يعرفون بها[1]، والمراد بالأشراط هنا العلامات التي يعقبها قيام الساعة .

ومعنى الساعة هنا هو يوم القيامة وليس المقصود به جزء من الوقت أو جزء من أربعة وعشرين جزء هي مجموع اليوم والليلة .

قال الزجاج : معنى الساعة في كل القرآن الوقت الذي تقوم فيه القيامة [2] وقد تكرر ذكرها في القرآن الكريم وفي الحديث النبوي الشريف ، منها قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ ﴾[3] وقوله تعالى : ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ﴾[4].

ومن الأحاديث النبوية حديث حذيفة[5] بن أسيد الغفاري رضي الله عنه قال :

---

(١)انظر النهاية لابن الأثير جـ٢ صـ٤٦٠ مادة شرط ، ولسان العرب ٣٧٢/٧ مادة شرط .

(٢)انظر المفردات للأصفهاني مادة ساعة ص ٢٢٤ ، وابن الأثير مادة سوع ٤٢٢/٢ ولسان العرب ، مادة سوع ٨/ ٢٠١.

(٣)سورة الرومالآية ٥٥.

(٤)سورة محمد الآية ١٨.

(٥)حذيفة ابن أسيد بن خالد الغفاري رضي الله عنه ممن بايع تحت الشجرة توفي بالكوفة سنة ٣٤هـ وصلى عليه زيد بن أرقم. انظر الإصابة ٢ / ٢٢٢

((إطلع النبي ﷺ ونحن نتذاكر فقال : ما تذاكرون ؟ قالوا نذكر الساعة قال إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات : فذكر الدخان ، والدجال ، والدابة ، وطلوع الشمس من مغربها ، ونزول عيسى بن مريم ، ويأجوج ومأجوج ، وثلاثة خسوف، خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب ، وخسف بجزيرة العرب ،وأخر ذلك نار تخرج من اليمن تحشر الناس إلى محشرهم[1])) وغيرها كثير جدا .

أما ما يتعلق بمواقف يوم القيامة ومنها عذاب القبر ونعيمه باعتبار أن القبر أول منازل يوم القيامة والحوض والشفاعة وبخروج أناس من النار فالآيات فيها كثيرة نكتفي بما أورده الإمام ابن عبد البر في رده على الخوارج ، ولقد أنكر ابن عبد البر – رحمه الله – على الخوارج إنكارهم لبعض الغيبيات التي جاء النقل الصحيح بثبوتها ، وهذه الغيبيات التي أنكروها ورد عليهم هي :

١- الحوض .

٢- عذاب القبر .

٣- المسيح الدجال .

٤- طلوع الشمس من مغربها .

٥- خروج أناس من النار بعد عذابهم فيها .

---

(١) أخرجه مسلم كتاب الفتن وأشراط الساعة رقم ٢٩٠١.

وكان رده عليهم هو بإثبات النقول الصحيحة والآثار الثابتة عن الرسول ﷺ بوقوع هذه الغيبيات .

روى بسنده عن عمر بن الخطاب ﷺ أثرا شاملا لهذه الغيبيات أنه قال : ((أيها الناس إلى الرجم حق فلا تخدعن عنه ، فإن رسول الله ﷺ قد رجم وكذلك أبو بكر ، ورجمنا بعدهما ، وسيكون قوم في هذه الأمة يكذبون بالرجم والدجال وبطلوع الشمس من مغربها وبعذاب القبر وبالشفاعة وبقوم يخرجون من النار بعدما امتحشوا[1] فيها .

قال أبو عمر : الخوارج والمعتزلة يكذبون بهذا كله عصمنا الله من الضلال برحمته))[2][3]

ويشير – رحمه الله – أن الأحاديث والآثار التي وردت في الحوض والشفاعة والدجال وعذاب القبر متواترة ، وأن الإيمان بها واجب عند المسلمين ، لأنها مسائل غيبية جاءتنا عن طرق صحيحة إلا من نفاها من أهل البدع الذين لا يعتد بقولهم قائلا :

((توافر الآثار عن النبي ﷺ في الحوض حمل أهل السنة والحق وهم الجماعة على الإيمان

---

(١) امتحشوا من المحش وهو احتراق الجلد وظهور العظم ، انظر لسان العرب مادة محش جـ٦ ص ٤١٤ .

(٢) المصنف لعبد الرزاق حديث رقم ٢٠٨٦٠ ، ورواه بنحوه الإمام أحمد في المسند وقال الشيخ أحمد شاكر صحيح ، المسند جـ١ رقم ١٥٦ .

(٣) الاستذكار جـ٢٤ صـ٢٥، وانظر صـ٧٢ ، وانظر التمهيد جـ٩ صـ ٨٣ ، ٨٤ .

به وتصديقه ، وكذلك الأثر في الشفاعة وعذاب القبر))[1] ويقول أيضا :((على هذا جماعة المسلمين إلا من ذكرنا [2]فإنهم لا يصدقون بالشفاعة ولا بالحوض ولا بالدجال))[3].

وأوضح أن هذه المسائل جاءت عن طريق الخبر الصحيح الذي لا مجال لاجتهاد العقل فيها وإن من أنكرها لا يعتد بقوله فقال : ((لأنها مسألة مأخوذة من جهة الآثر لا ينكرها من يرضى قوله ويحمد مذهبه))[4] .

أما الأحاديث التي وردت في الحوض فيقول عنها – رحمه الله – :

((الأحاديث التي وردت في حوضه ﷺمتواترة صحيحة ثابتة كثيرة، والإيمان بالحوض عن جماعة المسلمينواجب ، والإقرار به عند الجماعة لازم فقد نفاه أهل البدع من الخوارج والمعتزلة [5]، وأهل الحق على التصديق بما جاء عنه في ذلك ﷺ" [6].

(١) التمهيد جـ٢ صـ ٣٠٩ .

(٢) يقصد بذلك الخوارج والمعتزلة .

(٣) المصدر السابق صـ ٢٩١ .

(٤) المصدر السابق صـ ٢٩١ .

(٥) المعتزلة : سمو بهذا الاسم لاعتزال واصل بن عطاء مجلس الحسن البصري بقوله بأن مرتكب الكبيرة لا مؤمن ولا كافر وهو بمنزلة بين المنزلتين وإنضم إلى واصل بن عطاء في بدعته عمرو بن عبيد . ويقول المعتزلة بنفي الصفات عن الله تعالى وأن الله ليس خالقا لأفعال العباد ويسمون أيضا القدرية والعدلية وتصل فرقهم إلى عشرين فرقة .

انظر مقالات الإسلاميين صـ ١٣٥ ، ٤٦ ، ١٥٤، الفرق بين الفرق صـ ٨٣- ٨٤ ، الملل والنحل جـ١ صـ ٦٥-٦٦ / اعتقاد فرق المسلمين والمشركين صـ ٣٨، تلبيس إبليس صـ ٨٣ ، التبصر في المدني وتمييز الفرقة الناجية من الفرقة الهالكة للأسفراييني صـ٦٣ .

(٦) التمهيد جـ ٢ صـ٣٠٩ .

وأورد حديثا بسنده عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال :

((ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على حوضي))[1][2] .

كما أورد حديثا في الحوض عن أبي هريرة ﷺ قال :

إن رسول الله ﷺ خرج إلى المقبرة فقال : ((السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون وددت أني قد رأيت إخواننا ، فقالوا يا رسول الله ؟ ألسنا بإخوانك قال : بلى أنتم أصحابي ، وإخواننا الذين لم يأتوا من بعد ، وأنا فرطهم على الحوض ، فقالوا يا رسول الله كيف تعرف من يأتي بعدك من أمتك ، قال : أرأيت لو كان لرجل خيل غير محجلة في خيل دهم بهم ألا يعرف خيله قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : فإنهم يأتون يوم القيامة غرا محجلين من الوضوء وأنا فرطهم على الحوض فليذادن رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال ، أناديهم ألا هلم ألا هلم ألا هلم فيقال إنهم بدلوا بعدك ، فأقول فسحقا فسحقا فسحقا))[3][4] .

ثم يعلق – رحمه الله – على هذا الحديث بأن أهل البدع مبعدون عن الحوض وخاصة من خالف جماعة المسلمين وفارق سبيلهم فيقول :

---

(١) أخرجه البخاري كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة حديث رقم ١١٩٦ ، ومسلم كتاب الحج حديث رقم ١٣٩١.

(٢) التمهيد جـ ٢ صـ ٢٨٥ .

(٣) أخرجه مسلم كتاب الطهارة حديث رقم ٢٤٩ .

(٤) الاستذكار جـ٢صـ١٥٩ .

((وكل من أحدث في الدين ما لا يرضاه الله و لم يأذن به فهو من المطرودين عن الحوض والمبعدين وأشدهم طردا من خالف جماعة المسلمين وفارق سبيلهم مثل الخوارج على اختلاف فرقها ، والروافض[1] على تباين ضلالها والمعتزلة على أصناف أهوائها وجميع أهل الزيغ والبدع فهؤلاء كلهم مبدلون[2])).

وهذا ما يؤكده ابن عبد البر في كثير من كتبه في ذمه لأهل البدع وأهل الكلام والذين أحدثوا في دين الله وذلك مثل قوله رحمه الله :

((وقال مالك بن أنس : الكلام في الدين أكرهه و لم يزل أهل بلدنا يكرهونه ، وينهون عنه ، نحو الكلام في رأي جهم [3] والقدر وكل ما أشبه ذلك ، ولا أحب الكلام

---

(١) الروافض سموا بهذا الاسم لأن عسكر زيد بن علي بن الحسين ابن أبي طالب طعن في أبي بكر فمنعهم من ذلك فرفضوه ، ولم يبق معه إلا مئتا فارس فقال لهم زيد رفضتموني ؟ قالوا نعم ، وقيل سموا بذلك لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر .

وقيل لأنهم طالبوا زيد بن علي بالتبري ممن خالف عليا في إمامته فامتنع عن ذلك فرفضوه فسموا رافضه ، والراجح هو الثاني .

انظر مقالات الإسلاميين جـ صـ ٦٥، الملل والنحل جـ ١ صـ١٤٦، اعتقاد فرق المسلمين والمشركين للرازي صـ٥٢ ، وتلبيس إبليس لابن الجوزي صـ٩٧وانظر فرق معاصرة د. غالب عواجي جـ ١صـ ٣٤٤.

(٢) الاستذكار جـ ٢ صـ ١٨٤ .

(٣) هو أبو محرز جهم بن صفوان السمرقندي ، تلميذ الجعد بن درهم ، قال بخلق القرآن وبفناء الجنة والنار وأن الإيمان هو المعرفة ، والكفر هو الجهل فقط ، وقال بالجبر المحض قتل سنة ١٢٧هـ وقيل ١٢٨هـ . وإليه تنسب فرقة الجهمية ، انظر مقالات الإسلاميين صـ ١٦٤والملل والنحل جـ١ صـ٩٩ والفرق بين الفرق صـ ١٦١ ولسان الميزان لابن حجر ت ٦٢٤هـ .

إلا فيما تحته عمله ، فأما الكلام في دين الله وفي الله ﷻ ، فالسكوت أحب إلي ، لأني رأيت أهل بلدنا ينهون عن الكلام في دين الله إلا فيما تحته عمل ... والذي قاله مالك رحمه الله عليه جماعة العلماء قديما وحديثا ، في أهل الحديث والفتوى وإنما خالف ذلك أهل البدع ، المعتزلة وسائر الفرق ، وأما الجماعة فعلى ما قال مالك))[١].

وذلك لأن الدين مبناه على الإتباع لا الاختراع ، والرأي في الغالب مذموم لأن كثيرا من أمور الدين لا يهتدي إليها العقل بمفرده ، لا سيما وأن العقول تتفاوت في إدراكها وفي المؤثرات فيها[٢].

أما عذاب القبر والمسيح الدجال فيورد بسنده الأحاديث الآتية :

روى بسنده عن البراء[٣] بن عازب قال : ((خرجنا مع رسول الله ﷺ فجلس على القبر وجلسنا حوله كأن على رؤوسنا الطير فقال : أعوذ بالله من عذاب القبر — ثلاث مرات — ثم قال :

---

(١)ابن عبد البر ، جامع بيان العلم وفضله جـ٢ صـ ١١٦ .

(٢) انظر أعلام الموقعين لابن القيم جـ١صـ ٦٣ .

(٣) البراء بن عازب بن الحارث بن عدي الأنصاري أبوعمارة أو أبو عمرو هو وأبوه صحابيان استصغره الرسول ﷺيوم بدر فرده ، غزا مع رسول الله صلى الله عليه خمس عشرة غزوة وقيل أربع عشرة غزوة توفي سنة ٧٢هـ . انظر الاستيعاب لابن عبد البر ترجمة ١٧٣ وأسد الغابة ١ / ١٧١ ، والإصابة ١ / ١٤٢

إن المؤمن إذا كان في إقبال من الآخرة وانقطاع من الدنيا نزلت إليه الملائكة الحديث ... وفيه : إذا عرج بروحه قالوا : أي ربي عبدك ، فيقال أرجعوه ، فإني عهدت إليهم أن منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى وذكر الحديث ، وساق في الكافر مثل ذلك أيضا .

وفي هذا الحديث الإقرار بالموت والبعث بعده والإقرار بالجنة والنار))(١)(٢)

وأورد بسنده عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال :

((إذا مات أحدكم عرض عليه مقعده بالغداة والعشي ، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة ، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار ، يقال له هذا مقعدك حتى يبعثك الله إلى يوم القيامة))(٣)(٤).

وروى حديثا بسنده عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان يعلمهم الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن يقول :

---

(١) هذا حديث طويل ورد فيه أحوال الميت وسؤاله في قبره ، أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٢٨٧/٣،وأبو داود حديث رقم ٣٢١٢، وقال الحاكم صحيح على شرط الشيخين جـ١ص ٤٠ ووافقه الذهبي .

(٢)التمهيد جـ١٤ صـ١٠٩ .

(٣)أخرجه البخاري كتاب الجنائز حديث رقم ١٣٧٩، ومسلم كتاب الجنة حديث رقم ٢٨٦٦.

(٤)التمهيد جـ ١٤صـ ١٠٣ .

((اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم وأعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال))[1][2]

وروى بسنده عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال :

((أراني الليلة عند الكعبة فرأيت رجلا آدم كأحسن ما أنت براء من آدم الرجال ، له لمة كأحسن ما أنت راء من اللمم ، قد رجلها فهي تقطر ماء ، متكئا على رجلين ، أو على عواتق رجلين يطوف بالبيت فسألت من هذا ؟ فقيل المسيح ابن مريم ، ثم إذا أنا برجل جعد[3] قطط [4]أعور العين اليمنى كأنها عنبة طافية ، فسألت من هذا ؟ فقيل المسيح الدجال))[5] [6]

وروى بسنده عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال :

((ليس بيني وبين عيسى نبي ، وأنه نازل فإذا رأيتموه فأعرفوه : رجل مربوع إلى الحمرة والبياض ، كأن رأسه يقطر وأنه لم يصبه البلل ، فيقاتل الناس على الإسلام ، فيدق الصليب ، ويقتل الخنزير ويضع الجزية وتهلك في زمانه الملل كلها إلا الإسلام ، ويهلك

---

(١) أخرجه مسلم كتاب المساجد حديث رقم ٥٩٠ بزيادة عند مسلم [وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات] .

(٢) التمهيد ١٤ / ١٠٧

(٣) الجعد ضد الصد ، انظر النهاية في غريب الحديث ١/٢٧٥

(٤) قطط قيل الحسن الجعودة وقيل الشديد الجعودة ، انظر المرجع السابق ٤/٨١ .

(٥) أخرجه البخاري ، كتاب التعبير حديث رقم ٦٩٩٩ ومسلم كتاب الإيمان حديث رقم ١٦٩.

(٦) التمهيد ج ١٤ صـ ١٨٧ .

المسيح الدجال ...))[1][2] .

أما الشفاعة فيورد بأسانيده أحاديث كثيرة تثبت الشفاعة لنبينا محمد ﷺ ، ويقول أن في الأحاديث التي وردت في الشفاعة أحاديث صحيحة وثابتة عن الرسول ﷺ ومتواترة[3]، وأن هذه الأحاديث يصدق بها أهل السنة والجماعة ويؤمنون بها ، وينكرها أهل البدع والضلال فيقول رحمه الله :

((كل هذا يكذب به جميع طوائف أهل البدع : الخوارج ، والمعتزلة ، والجهمية وسائر الفرق المبتدعة ، وأما أهل السنة : أئمة الفقه والأثر في جميع الأمصار فيؤمنون بذلك كله ، ويصدقونه وهم أهل الحق والله المستعان[4])).

وأورد بسنده عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : ((لكل نبي دعوة يدعو بها ، فأريد أن أختبئ دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة))[5][6].

وبسنده عن أنس بن مالك ﷺ قال : حدثنا رسول الله ﷺقال :

---

(١)أخرجه عبد الرزاق في المصنف حديث رقم ٢٠٨٤٠ وأخرج بعضه البخاري كتاب البيوع رقم ٢٢٢٢ .

(٢) التمهيد جـ١٤صـ٢٠١.

(٣) انظر الاستذكار جـ٨ صـ١٣٦.

(٤) التمهيد جـ١٩ صـ٧٠.

(٥) أخرجه مسلم كتاب الإيمان ، ٢٠٠ .

(٦)التمهيد جـ ١٩ صـ ٦٢ .

((إذا كان يوم القيامة ماج بعضهم في بعض ، فيؤتى آدم عليه السلام فيقولون يا آدم أشفع لنا إلى ربك فيقول لست لها ، ولكن عليكم بإبراهيم عليه السلام — فإنه خليل الله عز وجل ، فيؤتي إبراهيم فيقول : لست لها ولكن عليكم بموسى فإنه كليم الله ، فيؤتى موسى عليه السلام فيقول لست لها ولكن عليكم بعيسى بن مريم ، فإنه روح الله وكلمته ، فيؤتى- عليه السلام — فيقول لست لها ولكن عليكم بمحمد ، فأوتى فأقول : أنا لها فأنطلق فأستأذن على ربي عز وجل فيؤذن لي ، فأقوم بين يديه مقاما فيلهمني محامد لا أقدر عليها الآن ، فأحمده بتلك المحامد ،ثم أخر له ساجدا فيقول لي :

يا محمد ، ارفع رأسك ، وقل نسمع ، وسل تعط ، واشفع تشفع ، فأقول أي رب أمتي أمتي ، فيقال لي : انطلق ، فمن كان في قلبه مثقال ذرة أو مثقال شعيرة فأخرجه فأنطلق فأفعل ، ثم أرجع فأحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجدا ، فيقال : يا محمد أرفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعط واشفع تشفع فأقول : أي رب أمتي أمتي ، فيقال انطلق فمن كان في قلبه أدنى مثقال حبة خردل من إيمان فأخرجه من النار))[(١)(٢)]

وروى بسنده عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

((أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من قبلي :

---

(١) أخرجه بنحوه البخاري كتاب الرقاق حديث رقم ٦٥٦٥ .

(٢) التمهيد جـ١٩ صـ ٦٥ .

بعثت إلى الأحمر والأسود ، وأحلت لي الغنائم و لم تحل لأحد قبل ، ونصرت بالرعب شهرا ، فيرهب العدو من مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض طهورا ومسجدا وقيل لي سل تعط ، فأختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة ، وهي نائلة منكم — إن شاء الله — من لم يشرك بالله شيئا))(١)(٢)

وروى بسنده عن ابن عمر أنه قال " ما زلنا نمسك عن الاستغفار لأهل الكبائر حتى سمعنا من نبينا ﷺ يقول:

((إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، وقال إني إدخرت دعوتي شفاعة لأهل الكبائر من أمتي))(٣)(٤)

وروى بسنده عن قتادة (٥)في قوله ﷻ :

---

(١) أخرجه بنحوه البخاري في كتاب الصلاة حديث رقم ٤٣٨ ومسلم كتاب المساجد حديث رقم ٥٣١.

(٢)التمهيد جـ ١٩ صـ ٦٨ .

(٣)أخرجه أبو يعلى ٥٨١٣/١٨٥/١٠ ، وابن أبي عاصم في السنة ٨٣٠ و٩٧٣ وصححه السيوطي في الدر المنثور جـ٢ صـ ٣٠٢.

(٤) التمهيد جـ ١٩ صـ ٦٨ .

(٥)هو قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز الدوسي البصري ، أبو الخطاب الحافظ ، كان ضريرا وكان من أوعية العلم توفي سنة ١١٧هـ انظر : التاريخ الكبير للبخاري ١٨٥/٧-١٨٧ ، تهذيبالأسماء واللغات النووي ٥٧/٢-٨٥، السير ٢٦٩/٥ — ٢٨٣ ، تهذيب التهذيب ٣٥١/٨-٣٥٦ ، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ١٥٣/١ .

﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴾[1]

قال : ((ذكر لنا أن نبي الله ﷺخير بين أن يكون عبدا نبيا ، أو ملكا نبيا ، فأومأ إليه جبريل – أن تواضع – فاختار نبي الله ﷺأن يكون عبدا نبيا ، فأعطي بها اثنتين : أول من تنشق الأرض عنه وأول من يشفع.

قال قتادة وكان أهل العلم يرون أن المقام المحمود الذي قال الله ﷻ:

﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴾شفاعته يوم القيامة[2][3]

ويقول – رحمه الله – إن أهل العلم يجمعون على تفسير آية ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴾بالشفاعة ومن هؤلاء العلماء الحسن البصري[4]،

(١)سورة الإسراءالآية ٧٩

(٢) رواه الهيثمي في المجمع ٥٨٢/٨ وقال رواه أحمد والبزار وأبو يعلي ورجال الأولين رجال الصحيح ، وانظر كذلك حديث رقم ١٣٩٢٣ و ١٤٢١٠ .

(٣) التمهيد جـ ١٩ صـ ٦٥ .

(٤) هو الحسن بن أبي الحسن يسار البصري مولاهم ، من سادة التابعين ثقة فقيه فاضل ، كان يرسل كثيرا ويدلس مات سنة ١١٠هـ انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ٧/ ١٥٦، الجرح والتعديل للرازي ١/٤٠ ، تذكرة الحفاظ ١/٧١-٧٢. ١ / ٦٦

وإبراهيم النخعي [(١)]وعلي بن الحسين بن علي[(٢)]،وابن شهاب[(٣)]،وسعيد بن أبي هلال [(٤)]وغيرهم[(٥)] .

وذكر بسنده عن حذيفة بن اليمان ﷺ أنه قال :

((يجتمع الناس في صعيد واحد ينفذهم الصبر ويسمعهم الداعي، زاد سفيان في حديثه — حفاة عراة سكوتا- كما خلقوا ، قياما لا تكلم نفس إلا بإذنه ثم اجتمعا:

فينادي مناد:يا محمد على رؤوس الأولين والآخرين فيقول:لبيك وسعديك والخير في يديك ، زاد سفيان — والشر ليس إليك — ثم اجتمعا والمهدي من هديت تباركت وتعاليت ، ومنك وإليك لا ملجأ ولا منجى إلا إليك قال حذيفة :

---

(١)هو إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود النخعي ، الإمام الحافظ فقيه أهل العراق ، كان واسع الرواية إلا أنه يرسل كثيرا مات سنة ٩٦هـ انظر طبقات ابن سعد ٢٧٠/٦ ، التاريخ الكبير ٣٣٣/١- ٣٣٤ ، حلية الأولياء ٢١٩/٤، تقريب صـ٢٤ .

(٢)هو علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب المشهور بزين العابدين ولد بالمدينة المنورة سنة ٣٨هـ وتوفي فيها سنة ٩٤هـ من سادات التابعين علما ودينا ثقة صاحب حلم وورع . انظر طبقات ابن سعد ٢١١/٥ -٢٢٢، الجرح والتعديل ١٧٨/٦-١٧٩، تذكرة الحفاظ ٧٠/١ .

(٣)هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهري أبو بكر ، الإمام العلم حافظ زمانه ، كان فقيها محدثا توفي سنة ١٢٤هـ انظر الحلية ٣٦٠/٣-٣٨١ ، تهذيب الأسماء واللغات ٩٠/١-٩٢ وفيات الأعيان ١٧٧/٤ السير ٣٢٦/٥ .

(٤) هو سعيد ابن أبي هلال ، أبو العلاء الليثي مولاهم كان إماما حافظا فقيها أحد الثقات توفي سنة ١٣٥هـ انظر التاريخ الكبير ٥١٩/٣ الجرح والتعديل ٧١/٤ ، ميزان الاعتدال ١٦٢/٢، السير٣٠٣/٦.

(٥) التمهيد جـ١٩ صـ٦٤ .

فذلك المقام المحمود))[1][2].

وقد وافق ابن عبد البر أئمة الإسلام في إثبات الغيبيات وأشراط الساعة التي وردت عن الرسول ﷺ وفيما نقلوه عن الخوارج في بعض مقولاتهم وتكذيبهم للأحاديث الصريحة الصحيحة المتواترة في ذلك وفي تقرير ذلك:-

يقول الإمام أبو الحسن الأشعري ((والخوارج لا يقولون بعذاب القبر ولا ترى أن أحدا يعذب في قبره))[3]

ويقول الإمام الطحاوي[4] في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة في عذاب القبر ونعيمه :

" وبعذاب القبر لمن كان له أهلا ، وسؤال منكر ونكير في قبره عن ربه ودينه ونبيه على ما جاءت به الأخبار عن رسول الله ﷺ وعن الصحابة رضوان الله عليهم . والقبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار))[5].

---

(١) رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي جـ٢ / صـ٣٦٣.

(٢) التمهيد جـ١٩ صـ ٦٤.

(٣) أبو الحسن الأشعري : مقالات الإسلاميين صـ ٧٨.

(٤)انظر المنتظم الجوزي ٦/٢٥٠ والسير ١٥/٢٧ ، والوافي بالوفيات ٨/٩ .

(٥) شرح العقيدة الطحاوية جـ٢ صـ٥٧٢ .

ويقول ابن أبي العز[1] في شرحه للفقرة السابقة :

((وقد تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلا ، وسؤال الملكين ، فيجب اعتقاد ثبوت ذلك ، والإيمان به ، ولا نتكلم عن كيفيته ، إذ ليس للعقل وقوف على كيفيته ، لكونه لا عهد له به في هذه الدار ، والمشرع لا يأتي بما تحار فيه العقول ، فإن عودة الروح إلى الجسد ليس على الوجه المعهود في الدنيا ، بل تعاد الروح إليه إعادة غير الإعادة المألوفة في الدنيا))[2]

وقد أقر أئمة الإسلام الشفاعة لسيدنا محمد ﷺ وخروج أناس من النار بشفاعته ﷺ وبشفاعة غيره .

فقد روى اللالكائي[3] بسنده عن حنبل[4] قال : قلت لأبي عبد الله – يعني أحمد بن حنبل – ما يروى عن النبي ﷺ في الشفاعة فقال :

---

(١) هو العلامة صدر الدين أبو الحسن علي بن علاء الدين المعروف بابن أبي العز ولد سنة ٧٣١هـ له مؤلفات مفيدة وهو صاحب أشهر شرح للعقيدة الطحاوية تعليما واقراء ودرسا وتأليفا ، توفي سنة ٧٩٢هـ ، انظر تاريخ ابن قاضي شهبة صـ ٢١-٨٢-٨٩ ، إنباء الغمر بأنباء العمر لابن حجر وقد أخطأه وسماه أحمد ٢ / ٩٥-٩٨ و ٣/ ٥٠.

(٢)شرح العقيدة الطحاوية صـ ٥٧٨.

(٣) هو أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي الشافعي اللالكائي الإمام المجود الحافظ المفني ، مفيد بغداد في وقته توفى سنة ٤١٨هـ انظر :تذكرة الحفاظ ٣/ ١٠٨٣- ١٠٨٥، السير ١٧/ ٤١٩، كشف الظنون ٨٣٥

(٤) هو حنبل ابن اسحق ابن حنبل أبو علي الشيباني الحافظ المحدث أبن أخ الأمام أحمد وتلميذه له مسائل كثيرة عن الإمام أحمد توفي سنة ٢٧٣هـ ، انظر الجرح والتعديل ٣/ ٣٢٠ طبقات الحنابلة ١/ ١٤٣-١٤٥، السير ١٣/ ٥١-٥٣ ، تاريخ بغداد ٨/ ٢٨٦ .

((هذه الأحاديث صحاح نؤمن بها ونقر وكل ما روي عن النبي ﷺ بأسانيد جيدة نؤمن بها ونقر ، قلت له : وقوم يخرجون من النار فقال نعم إذا لم نقر بما جاء به الرسول ﷺ ودفعناه رددنا على الله أمره قال الله ﷻ : ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾(١)قلت والشفاعة ؟ قال : كم حديث يروى عن الرسول ﷺ في الشفاعة والحوض ، فهؤلاء يكذبون بها ويتكلمون ، وهو قول صنف من الخوارج وأن الله تعالى يخرج من النار أحدا بعد إذا أدخله ، والحمد الله الذي عدل عنا ما ابتلاهم به))(٢) .

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

" وأما شفاعته لأهل الذنوب من أمته فمتفق عليها بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان وسائر أئمة المسلمين الأربعة وغيرهم ، وأنكرها كثير من أهل البدع من الخوارج والمعتزلة والزيدية(٣) ، وقال هؤلاء : من يدخل النار لا يخرج منها لا بشفاعة ولا بغيرها ، وعند هؤلاء ماثم إلا من يدخل الجنة فلا يدخل النار ، ومن يدخل النار فلا يدخل الجنة ، ولا يجتمع عندهم في الشخص الواحد ثواب وعقاب، وأما الصحابة والتابعون لهم بإحسان وسائر الأئمة كالأربعة وغيرهم فيقرون بما تواترت به الأحاديث الصحيحة عن

---

(١) سورة الحشر الآية رقم ٧

(٢)اللالكائي ١١١١/٢ .

(٣) الزيدية هم فرقة من الشيعة وهم أتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رض الله عنه وهم يفضلون عليا رضي الله عنه على بقية الصحابة إلا أنهم يجيزون ولاية المفضول مع وجود الفاضل ، ويقولون بالخروج على ائمة الجور ولا يجيزون الصلاة خلف الفاسق . انظر مقالات الإسلاميين صـــ٥٣ ، والملل والنحل ١٦٣/١ .

النبي ﷺ أن الله يخرج من النار قوما بعد أن يعذبهم الله ما شاء يعذبهم يخرجهم بشفاعة محمد ﷺ، ويخرج آخرين بشفاعة غيره ، ويخرج قوما بلا شفاعة))[1]

أما فيما يتعلق بطلوع الشمس من مغربها فقد أورد بن جرير الطبري بسنده أكثر من أربعين حديثا[2] عن الرسول ﷺ في تفسيره للآية الكريمة ﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ﴾[3]

مرجحا رحمه الله أن تأويل الآية هو طلوع الشمس من مغربها وذلك لما تواترت به الأخبار عن رسول الله ﷺ حيث يقول رحمه الله :

((قال أبو جعفر : وأولى الأقوال بالصواب في ذلك ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه قال : (ذلك حين تطلع الشمس من مغربها))[4]

---

(١) ابن تيمية . التوسل والوسيلة ص ١٢ . تحقيق د. ربيع المدخلي ، مكتبة لينه ، ط ١ ، ١٤٠٩ هـ .

(٢)انظر تفسير الطبري جـ١٢ صـ ٢٤٧- ٢٦٦ تحقيق محمود وأحمد محمد شاكر طبعة دار المعارف بمصر .

(٣)سورة الأنعام آية ١٥٨.

(٤)تفسير الطبري جـ١٢ صـ٢٦٦ .

وورد في الدجال أحاديث كثيرة صحيحة متواترة سواء في دواوين الحديث عند أهل السنة والجماعة [(١)] أو في كتب علماء العقائد[(٢)]، ومما ورد في ذلك ما رواه الإمام البخاري في صحيحه عن أبي هريرة ﷺقال : ((كان رسول الله ﷺيدعو : اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ومن عذاب النار ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال))[(٣)]

وروى مسلم في صحيحه عن حذيفة قال : ((الدجال أعور العين اليسرى ، جفال الشعر ، معه جنة ونار ، فناره جنة وجنته نار))[(٤)]

---

(١)انظر البخاري حديث رقم ٨٣٣ ، ١٣٧٧ ، ١٥٥٥، ١٨٧٩ ، ١٨٨١ ، ١٨٨٢ ، ٢٥٤٣، ٦٣٦٥، ٣٤٣٩، ٤٤٠٢، وغيرها ومسلم حديث رقم ١٦٩، ٢٩٣٤ ، ١٥٨، ٥٩٠، ٨٠٩، ٢٨٦٧، وغيرها ، وأبا داود حديث رقم ٤٢٤٤ ، ٤٣١٠، ٤٢١٩ وغيرها والترمذي حديث رقم ٣٤٩٠، ٢٢٣٨، ٢٢٤٩، وغيرها والنسائي حديث رقم ٥٤٥٧ ، ٥٤٩٠، وابن ماجة حديث رقم ١٧٤، ٤٠٧٧، ٤٢٠٤، ومسند الإمام أحمد ٤٥٧/٢ ، ٣٢٤/٥ ، ٣٨٩/٥ وغيرها .

(٢) انظر في ذلك على سبيل المثال لا الحصر : السنة لعبد الله بن أحمد بن حنبل جـ ٢ صـ٤٤٣ وما بعدها تحقيق د.محمد سعيد القحطاني ،دار رمادي والمؤمن الطبعة الثالثة ١٤١٦هـ والسنة للإمام أبي بكر ابن أبي عاصم جـ١ صـ٢٧٨ تحقيق د.باسم الجوابرة ط٣ دار الصميعي ، والحجة في بيان المحجة للإمام قوام السنة الأصبهاني جـ٢ صـ٤٦٤ تحقيق محمد بن محمود أبو رحيم ط٢ دار الراية وغيرها كثير .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز حديث رقم ١٣٧٧ .

(٤) أخرجه مسلم كتاب الفتن حديث رقم ٢٩٣٤ .

ويقول الإمام البربهاري[1] رحمـه الله في تقرير عقيدة أهل السنة والجماعة : ((والإيمان بالمسيح الدجال والإيمان بنزول عيسى ابن مريم عليه السلام ينزل فيقتل الدجال[2]))

وقال الإمام أبوالحسن الأشعري في ذلك ((ونقر بخروج الدجال كما جاءت به الرواية عن رسول الله ﷺ))[3]

ويقول النووي[4] في شرحه لمسلم عن الدجال :

((ويقتله عيسى ﷺ، ويثبت الله الذين آمنوا ، هذا مذهب أهل السنة وجميع المحدثين والفقهاء والنظار ، خلافا لما أنكره وأبطل أمره من الخوارج والجهمية وبعض المعتزلة))[5]

---

(١)هو الإمام القدوة شيخ الحنابلة في عصره أبو محمد الحسن بن علي بن خلف البربهاري ، وبربهار هي الأدوية التي تجلب من الهند ، عرف بالعلم والفقه وكان شديدا على أهل البدع والأهواء ولد سنة ٢٥٣هـ وتوفي ٣٢٩هـ انظر طبقات الحنابلة لأبي يعلي ٢/١٨ ، والسير ١٥/٩٠، شذرات الذهب ٢ / ٣١٩

(٢) إتحاف القارئ بالتعليقات على شرح السنة للبربهاري للشيخ صالح الفوزان وتحقيق محمد بن فهد الحصين صـ ١٨٩-١٩٢جـ ١. مكتبة الرشد ط١ ، ١٤٢٨ هـ

(٣)أبو الحسن الأشعري ، الإبانة عن أصول الديانة صـ ٥٢ تحقيق بشير محمد عيون ط٤ ، مكتبة دار البيان والمؤيد .

(٤) هو الإمام أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري بن حسن بن حسين النووي ولد سنة ٦٣١ بنوى بلدة من أعمال حوران قرب دمشق شافعي أحد الأعلام في الفقه والحديث صاحب المصنفات المشهورة توفي سنة ٦٧٦هـ انظر تذكر الحفاظ ٤/١٤٧٠، طبقات الشافعية الكبرى ٨/٣٩٥ البداية والنهاية ٩/١٦٤ .

(٥)شرح النووي على مسلم ١٨/ ٥

الفصل الثاني

موقف ابن عبد البر من الرافضة

المبحث الأول

ذكر ابن عبد البر لفرق الرافضة

ذكر ابن عبد البر رحمه الله ثلاث فرق من فرق الرافضة وهي :

١- السبئية [1] .

٢- الإمامية [2] .

---

(١) السبئية فرقة تنتسب إلى عبد الله بن سبأ وهو من غلاة الرافضة ، وأصله من اليمن في أرجح الأقوال ، كان يهوديا فأظهر الإسلام ، وكان يقول بألوهية علي ، وكان يقول برجعة محمد ﷺ وأنه أحق بالرجعة من عيسى عليه السلام ، ثم قال إن لكل نبي وصي فمحمد خاتم الأنبياء وعلي خاتم الأوصياء ، ويقال إن عليا قتله وأحرقه بالنار . انظر مقالات الإسلاميين ص ١٩ والملل والنحل ١ / ١٨١ وتاريخ دمشق ٧ / ٤٣١ ، ميزان الاعتدال ٢ / ٤٢٦ ، لسان الميزان ٣ / ٢٨٩ ، وانظر كتاب عبد الله بن سبأ وأثره في إحداث الفتنة في صدر الإسلام لسليمان العودة .

(٢) الإمامية هي أشهر فرق الرافضة وأوسعها انتشارا ، سموا بذلك لقولهم إن الإمامة منصوص عليها في القرآن وفي أمر الرسول ﷺ وهي في علي بن أبي طالب وأحد عشر من ذريته وهم : الحسن بن علي بن أبي طالب ثم في الحسين بن علي بن أبي طالب ثم في تسعة من ذرية الحسين وهم : علي زين العابدين بن الحسين ثم في ولده محمد الباقر بن علي ، ثم في ولده جعفر الصادق بن محمد ، ثم في ولده موسى الكاظم بن جعفر ثم في ولده علي الرضا بن موسى ، ثم في ولده محمد الجواد بن علي ثم في ولده علي الهادي بن محمد ثم في ولده الحسن العسكري بن علي ثم في ولده محمد المهدي بن حسن . وهذا الأخير هو المهدي المنتظر عندهم وهو الإمام الثاني عشر الذي دخل سردابا في دار أبيه بسامراء عام ٢٥٦ أو بعده بقليل ولم يخرج حتى الآن ويسمون أيضا الجعفرية نسبة إلى جعفر بن محمد الملقب بالصادق أو الصدووق وهو الإمام السادس عندهم .

ومن أصولهم : الإمامة والعصمة والوصية والمهدية والغيبة والرجعة والتقية والبداء ، مع تكفيرهم لجماهير الصحابة وقولهم بتحريف القرآن . انظر مقالات الإسلاميين ص ٢٠ ، والفرق بين الفرق ص٤٢ وما بعدها والملل والنحل ١ / ١٥٥ والبرهان للسكسكي ص٦٨ ، وعقائد الثلاث وسبعين فرقة ١ / ٨٤ ، ومنهاج السنة لابن تيمية ١ / ٣٩ ، ورسالة في الرد على الرافضة للإمام محمد بن عبد الوهاب ص٦-٧ ، والوشيعة في نقد عقائد الشيعة لموسى جار الله ج م-م ط ، والشيعة في الميزان للنجرامي ص٥٧-٥٨ والشيعة والسنة الهي ظهير ص والشيعة نشأتها وتطورها د. محمد=

٣- الكيسانية [1] .

أما ما يشير إلى فرقة السبئية فقد ذكر بسنده فقال :

((جاءنا ناس من الشيعة إلى علي فقالوا :

يا أمير المؤمنين أنت هو ؟ قال : من أنا ؟ قالوا : أنت هو ؟ قال : ويلكم من أنا ؟ قالوا : أنت ربنا !!؟ قال : ويلكم ارجعوا فتوبوا ، فأبوا ؛ فضرب أعناقهم ، ثم قال : يا قنبر [2] ائتني بحزم الحطب ، فحفر لهم في الرض أخدودا ؛ فأحرقهم بالنار ، ثم قال :

=أرشيد العقيلي ص٢٩٠ -٢٩٢ والشيعة وتحريف القرآن لمحمد مال الله صـ٢٠-٢٦ ـ، وانظر كتاب موقف الرافضة من القرآن الكريم لماما دوكار امبيري .

(١) الكيسانية هي فرقة تتبع كيسان مولى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ وقد تتلمذ على يد محمد بن علي بن أبي طالب المعروف بابن الحنفية ، وقيل إن كيسان هو اسم للمختار الثقفي ، والكيسانية تعتقد بإمامة ابن الحنفية وأنه مقيم في جبل رضوى – وهو جبل قريب من ينبع – وأنه لم يمت وأنه هو المهدي المنتظر ، ولا ترى الكيسانية الإمامة في الحسن والحسين ، وتقول بأن الدين طاعة رجل ، حتى حملهم ذلك على تأويل الأركان الشرعية من الصلاة والصيام والزكاة والحج وتقول كذلك بتناسخ الأرواح ولهم في ذلك أقوال عجيبة ، إلا أن بعض مؤرخي الفرق يرى أن الكيسانية ليست من الرافضة لأنهم يخالفون إجماع الرافضة في إمامة الحسن والحسين رضي الله عنهما . انظر مقالات الإسلاميين ص٢١ ، والفرق بين الفرق ص٢٦ والملل والنحل ١ / ١٥٦ ، وعقيدة الثلاث وسبعين فرقة ١ / ٤٨١ ، ومنهاج السنة لابن تيمية ٣ / ٤٧٤، وفرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام ١ / ٣٢٨-٣٣٢ وبذل المجهود في إثبات مشابهة الرافضة لليهود ١ / ٩٢ ، ٩٤

(٢) قنبر هو مولى لعلي بن أبي طالب ﷺ ، انظر ميزان الاعتدال ٣ / ٣٩٢

لما رأيت الأمر أمرا منكرا　　　　أججت ناري ودعوت قنبرا[1]))[2] [3]

ويقول عن الإمامية رحمه الله :

((جعفر[4] بن محمد[5] بن علي[1] بن الحسين بن أبي طالب ﷺ ، يكنى أبا عبد الله ، وأمه خروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ، وهو جعفر المعروف بالصادق ، وكان ثقة مأمونا عاقلا حكيما ورعا فاضلا ، وإليه تنتسب الجعفرية وتدعيه من الشيعة

---

(١) ورد هذا البيت في منهاج السنة ١ / ٣٠ و ٣٠٧ ، وفتح الباري ١٢ / ٢٧٠

(٢) مما يؤكد صحة هذا الأثر مقولة ابن عباس رضي الله عنهما عند سماعه أن عليا ﷺ أحرق أولئك النفر فقال : ((لو كنت أنا لم أحرقهم لأن النبي ﷺقال : لا تعذبوا بعذاب الله . ولقتلتهم كما قال النبي ﷺ من بدل دينه فاقتلوه)) أخرجه البخاري كتاب الجهاد والسير حديث رقم ٣٠١٧ والذي يظهر والله أعلم أن ابن عباس كان يظن أن عليا ﷺ حرقهم بالنار قبل قتلهم ، وهذا ما يؤكده ابن عبد البر . انظر التمهيد ٥ / ٣١٧ .

(٣) التمهيد ٥ / ٣١٧

(٤) هو الإمام أبو عبد الله جعفر بن محمد بن علي بن أبي طالب ﷺوأمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهم يلقب بجعفر الصادق لصدقه في أقواله وأفعاله ، ولد سنة ٨٠هـ بالمدينة وعاش بها وتوفي سنة ١٤٨هـ وثقه الشافعي وابن معين وأبو حاتم انظر التاريخ الكبير ٢ / ١٩٨ ، الجرح والتعديل ٢ / ٤٨٧ ، السير ٦ / ٢٥٥ ، تذكرة الحفاظ ١ / ١٦٦ ، تهذيب التهذيب ٢ / ١٠٣ الأعلام ٢ / ١٢٦

(٥) هو محمد الباقر وكنيته أبو جعفر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، ثقة فاضل مات بالمدينة سنة ١١٤هـ وقيل سنة ١١٨هـ . انظر التاريخ الكبير ١ / ١٨٣ ، الثقات لابن حيان ٥ / ٣٤٨ ، حلية الأولياء ٣ / ١٨٠ ، السير ٤ / ٤٠١ ، ٤٠٩ ، التقريب .

(١) هو علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب يلقب بزين العابدين ثقة ثبت عابد فقيه فاضل ، قال الزهري : ما رأيت قرشيا أفضل منه مات سنة ٩٢هـ وله ثمان وخمسون سنة . انظر التاريخ الكبير ٦ / ٢٦٦ الجرح والتعديل ٦ / ٩٧٧ ، الحلية ٣ / ١٣٣ ، سير الأعلام ٤ / ٣٨٦ ، التقريب ص ٦٣٩

الإمامية وتكذب عليه الشيعة كثيرا))[1] .

أما الفرقة الثالثة التي ذكرها فهي الكيسانية حيث قال عنها :

((وقال مصعب[2] الزبيري : عبد الله[3] بن محمد يكني أبا هاشم ، وكان صاحب الشيعة فأوصى إلى محمد[4] بن علي بن عبد الله بن عباس ، ودفع إليه كتبه ، ومات عنده وقد انقرض ولده إلا من قبل النساء .

وذكر الطبري[5] قال : كان أبو هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية أوصى إلى محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، ودفع إليه كتبه ، وكان محمد بن علي وصي أبي هاشم ؛ فقال له أبو هاشم : إن هذا الأمر إنما هو في ولدك ، وكانت الشيعة الذين يأتون أبا هاشم ويختلفون إليه قد صاروا بعد ذلك إلى محمد بن علي ، قال : وكان أبو هاشم عالما

---

(١) التمهيد ٢ / ٦٦

(٢) هو مصعب بن عبد الله الزبيري ، صدوق عالم بالأنساب ، روي عن الداروردي وعنه عبد الله بن أحمد توفي سنة ٢٣٦هـ . انظر التقريب ٢ / ٢٥٢ ، والتهذيب ١٠ / ١٦٢ . أما نقل الإمام ابن عبد البر فهو من كتاب نسب قريش لمصعب الزبيري ص ٧٥

(٣) هو عبد الله بن محمد بن علي بن أبي طالب ثقة قرنه الزهري بأخيه الحسن ، يعد من أهل المدينة مات سنة ٩٩هـ ، وقال عنه البخاري كان يتبع السبأية ، انظر التاريخ الكبير ٥ / ١٨٧ ، وسير أعلام النبلاء ٤ /١٢٩ ، والتقريب ١ / ٤٤٨

(٤) هو محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ثقة لم يسمع من جدة عبد الله بن عباس توفي سنة ١٢٤هـ أو ١٢٥هـ ، انظر التقريب ٢ / ١٩٣ ، التهذيب ٩ / ٣٥٥ .

(٥) انظر تاريخ الطبري ٧ / ٤٢١

قد سمع وقرأ الكتب))[1].

وبهذا التقسيم الذي ذكره ابن عبد البر لفرق الرافضة التي ذكرناها فإنه بذلك قد وافق علماء الإسلام الذين تحدثوا عن فرق الشيعة ومن كتب عن مقالات الفرق جميعهم إلا الشهرستاني[2] صاحب الملل والنحل فقد قسم الشيعة إلى خمسة أقسام وهي:

١- الكيسانية

٢- الزيدية

٣- الإمامية

٤- الغالية

٥- الإسماعيلية

ثم ذكر أقسام كل فرقة منفصلة[1] .

---

(١) التمهيد ١٠ / ٩٠-٩١

(٢) هو محمد بن عبد الكريم الشهرستاني من فلاسفة الإسلام ، كان إماما في علم الكلام على مذهب الأشعري ، ولد في شهرستان سنة ٤٦٧تقريبا ، وتوفي سنة ٥٤٨هـ . انظر وفيات الأعيان ١ / ٤٨٢ ، سير أعلام النبلاء ٢٠ / ٢٨٦

(١) انظر الملل والنحل للشهرستاني جـ١ من ١٥٦ – إلى ١٩٦

المبحث الثاني

قول ابن عبد البر بتبديع الرافضة

وكراهة التشبه بهم وعدم الصلاة خلفهم

يقول ابن عبد البر : إن الروافض هم الذين تركوا المسح على الخفين وهم من أهل البدع الذين لا يعتد بأقوالهم وإن المسح هو الفرق بين أهل السنة وأهل البدع وهم في ذلك مخالفون للقرآن ومخالفون لأهل الأثر ، وهم يزعمون أن عمل القرآن نسخ الحكم ، وهذا في تعليقه على حديث المسح على الخفين ؛ حيث قال :

((وفيه الحكم الجليل الذي فرق بين أهل السنة وأهل البدع ، وهو المسح على الخفين ، لا ينكره إلا مبتدع خارج عن جماعة المسلمين ؛ فأهل الفقه والأثر لا خلاف بينهم في ذلك بالحجاز والعراق والشام وسائر البلدان ، إلا قوما ابتدعوا فأنكروا المسح على الخفين ، وقالوا : إنه خلاف القرآن ، وعمل القرآن نسخه ومعاذ الله أن يخالف رسول الله كتاب الله الذي جاء به ، قال تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾[1] وقال : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾[2] والقائلون

(١) سورة النحل الآية ٤٤.

(٢) سورة النساء الآية ٦٥.

بالمسح على الخفين هم الجم الغفير والعدد الكثير الذي لا يجوز عليهم الغلط ولا التشاغر ولا التواطؤ ، وهم جمهور الصحابة والتابعين وهم فقهاء المسلمين))(١) .

ويروى أثرا عن الإمام أحمد ﷺ في الصلاة خلف من لا يرى سنية المسح على الخفين من أهل السنة ومن يرى عدم جواز المسح على الخفين من أهل البدع ، وأنه لا يصلى خلف صاحب بدعة من هذا النوع ، فيقول :

((قيل لأبي عبد الله : فإن قال رجل أنا ذاهب إلى حديث أبي أيوب – حبب إلي الغسل – قال : نحن لا نذهب إلى قول أبي أيوب ولكن لو ذهب إليه ذاهب صلينا خلفه ، قال : إلا أن يترك رجل المسح من أهل البدع من الرافضة الذين لا يمسحون وما أشبهه ؛ فهذا لا يصلى خلفه))(٢) .

أما التشبه بالرافضة فيرى ابن عبد البر أنه إذا كان هذا العمل الذي يعملونه مباحا أو حسنا ، وأصبح صفة غالبة عليهم تميزهم عن غيرهم ، فإن الأولى أن نخالفهم فيه كراهة التشبه بهم لا أن هذا العمل من المكروهات أو المحرمات فيقول :

((وقد كان التختم في اليمين مباحا حسنا ؛ لأنه قد تختم به جماعة في السلف في اليمين ، كما تختم جماعة في الشمال ، وقد روي عن النبي ﷺ الوجهان جميعا ، فلما غلبت

---

(١) الاستذكار ٢ / ٢٣٦ وانظر التمهيد ١١ / ١٣٤

(٢) التمهيد ١١ / ١٤٠

الروافض على التختم في اليمين ولم يخلطوا به غيره ، كرهه العلماء منابذة لهم ، وكراهية للتشبه بهم لا لأنه حرام ولا لأنه مكروه .))[١]

أما أقوال السلف رضوان الله عليهم في تبديعهم للرافضة ووصمهم بالزندقة والخروج عن الإسلام ؛ فإن كتبهم تطفح بذلك على اختلاف أزمنتهم وأمصارهم ، وهو ما وافقهم ابن عبد البر في ذلك ، وهذه نماذج من أقوالهم :

يقول إمام السنة الإمام أحمد بن حنبل – رحمه الله – :

((وفي السنة ذكر محاسن أصحاب رسول الله ﷺ كلهم أجمعين والكف عن الذي شجر بينهم ، فمن سب أصحاب رسول الله ﷺ أو واحدا ؛ فهو مبتدع رافضي .

حبهم سنة ، والدعاء لهم قربة ، والاقتداء بهم وسيلة ، والأخذ بآرائهم فضيلة وخير هذه الأمة بعد نبيها ﷺ : أبو بكر ، وخيرهم بعد أبي بكر عمر ، وخيرهم بعد عمر عثمان ، وخيرهم بعد عثمان علي رضي الله عنهم خلفاء راشدون مهديون .

ثم أصحاب محمد ﷺ بعد هؤلاء الأربعة ، لا يجوز لأحد منهم أن يذكر شيئا من مساويهم ، ولا يطعن على أحد منهم .))[٢]

---

(١) المصدر السابق ٦ / ٨٠

(٢) السنة للإمام أحمد ص٣٨ ضمن مجموع مع كتاب الرد على الجهمية . مطبعة عيسى البابي الحلبي . مصر .

ويقول ابن قتيبة[1] :

((ولا نعلم في أهل البدع والأهواء أحدا ادعى الربوبية لبشر غيرهم ، فإن عبد الله بن سبأ ادعى الربوبية لعلي ؛ فأحرق علي أصحابه بالنار وقال في ذلك :

لما رأيت الأمر أمرا منكرا أججت ناري ودعوت قنبرا

ولا نعلم أحدا ادعى النبوة لنفسه غيرهم ، فإن المختار بن أبي عبيد ادعى النبوة لنفسه ، وقال : إن جبريل وميكائيل يأتيان إلى جهته ؛ فصدقه قومه واتبعوه وهم الكيسانية))[1]

وقال ابن بطة رحمه الله :

((وأما الرافضة فأشد الناس اختلافا وتباينا وتطاعنا ؛ فكل واحد منهم يختار مذهبا لنفسه

---

(١) هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، ينحدر من أسرة فارسية ، كان ثقة دينا فاضلا ، إمام في اللغة والنحو والشعر والأخبار ، صنف في فنون كثيرة ، وكان ينصر السنة ويرد على أهل البدع حتى قال عنه ابن تيمية خطيب أهل السنة ، من أهم مؤلفاته : تأويل مشكل القرآن . تأويل مختلف الحديث ، ولد سنة ٢١٣ وتوفي سنة ٢٧٦هـ . انظر الفهرست ص٧٧ ، تاريخ بغداد ١٠ / ١٧٠ ، نزهة الألباء ص١٦٠ ، السير ١٣ / ٢٩٦

(١) ابن قتيبة . تأويل مختلف الحديث ص١٥٨ ت. سليم الهلالي . دار ابن القيم وابن عفنان . ط١

يلعن من خالفه عليه ويكفر من لم يتبعه ، وكلهم يقول : إنه لا صلاة ولا صيام ولا جهاد ولا جمعة ولا عيدين ولا نكاح ولا طلاق ولا بيع ولا شراء إلا بإمام ، وإنه من لا إمام له فلا دين له، ومن لم يعرف إمامه فلا دين له[1]))

وقال الإمام الشوكاني[2]– رحمه الله – :

((واعلم أن لهذه الشنعة الرافضية ، والبدعة الخبيثة ذيلا هو أشر ذيل ، وويلا هو أقبح ويل ، وهو أنهم لما علموا أن الكتاب والسنة يناديان عليهم بالخسارة والبوار بأعلى صوت ، عادوا السنة المطهرة وقدحوا فيها وفي أهلها بعد قدحهم في الصحابة ﷺ وجعلوا المتمسك بها من أعداء أهل البيت ، وفي المخالفين للشيعة لأهل البيت ؛ فأبطلوا السنة بأسرها وتمسكوا في مقابلها ، وتعوضوا عنها بأكاذيب مفتراة ، مشتملة على القدح المكذوب المفترى في الصحابة ، وفي جميع الحاملين للسنة المهتدين بهديها ، العاملين بمافيها ، الناشرين لها في الناس من التابعين وتابعيهم إلى هذه الغاية وسموهم بالنصب ، والبغض لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ وأولاده ؛ فأبعد الله الرافضة وأقمأهم[1]))

---

(١) ابن بطة ، الإبانة الكبرى ٢ / ٥٥٦ تحقيق . رضا نعسان . دار الراية ط١ ، ١٤٠٩هـ

(٢) هو محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني ، الفقيه ، الأصولي ، المفسر ، المحدث من كبار علماء اليمن من أهل صنعاء ، له كتب مشهورة انتشرت في الآفاق ، منها فتح القدير في التفسير ، ونيل الأوطار في الفقه ، والدر النضيد في إخلاص أهل التوحيد . ولد سنة ١١٧٣ وتوفي سنة ١٢٥٠هـ . انظر الأعلام ٦ / ٢٩٨ ، معجم المطبوعات لزكين ١١٦٠ ، معجم المؤلفين ٣ / ٥٤١ ، ومنهج الإمام الشوكاني في العقيدة د. عبد الله نومسوك . الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والأقراء والنحو واللغة ٣ / ٢٢٨٩

(١) الشوكاني : قطر الولي على حديث الولي ص٣٠٥ ت. إبراهيم هلال دار إحياء التراث العربي . بيروت

المبحث الثالث

رد ابن عبد البر على الرافضة في قولهم بالبداء

يصرح ابن عبد البر إلى أن الروافض والخوارج أنكروا النسخ في القرآن والسنة وما ذلك إلا لئلا يقعوا في القول بالبداء على زعمهم، وأن قولهم هذاتشبه بقول اليهود و لم يعلموا أن ذلك من حكمة الله سبحانه وهو من باب الموت بعد الحياة والكبر بعد الصغر والغنى بعد الفقر وأن من أنكر ذلك فهو من أهل الزيغ والإلحاد وأن ذلك يدخل في بابالبداء[1]الذي هو عند اليهود[2].

يقول – رحمه الله – :

((وقد أنكر قوم من الروافض والخوارج النسخ في القرآن والسنة وضاهوا في ذلك قول اليهود ، ولو أمعنوا النظر لعلموا أن ذلك ليس في باب البداء كما زعموا ، ولكنه في باب الموت بعد الحياة والكبر بعد الصغر والغنى بعد الفقر إلى أشباه ذلك من حكمة الله تعالى ، ولكن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء [1]))

ويوضح أن النسخ لا يكون إلا في الأوامر والنواهي من الكتاب والسنة ولا يكون النسخ في الأخبار لأن المخبر إذا رجع عن شيء مما أخبر عنه فإنه فإنه لا يخلو من السهو أو الكذب ، وذلك محال على الله ﷻولا يجوز نسبته إلى رسوله ﷺ فيما أخبر به عن ربه .

---

(١) البداء : هو الظهور بعد الخفاء ، وهو عقيدة رافضية ، يزعمون فيها أن الله سبحانه وتعالى قد يفعل فعلا ثم يبدو له خلافه ؛ فيغيره الله ، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ، وأول من قال بالبداء المختار كذاب ثقيف . انظر الفرق بين الفرق ص٣٤ ، والملل والنحل ١ / ١٥٧ ، وشرح مسلم ١ / ١٥٦ .

(٢) انظر الاستذكار ١٥ / ١٦٩

(١) التمهيد ٣ / ٢١٥

يقول في ذلك :

((وفيه أن حديث رسول الله ﷺ فيه الناسخ والمنسوخ ، كما في كتاب الله عز وجل ، وهذا إنما يكون في الأوامر والنواهي من الكتاب والسنة ، وأما في الخبر عن الله – عز وجل – أو عن رسوله ﷺ فلا يجوز النسخ في الأخبار البتة بحال ؛ لأن المخبر عن اللشيء أنه كان أو يكون إذا رجع عن ذلك لم يخل في السهو أو الكذب ، وذلك لا يعزى إلى الله ولا إلى رسوله فيما يخبر به عن ربه في دينه ، وأما الأمر والنهي فجاز عليهما النسخ للتخفيف ، ولما شاء الله من مصالح عباده وذلك من حكمته لا إله إلا هو[1])) .

ويفصل – رحمه الله – القول في النسخ ويذكر أنه على ثلاثة أوجه ، وهي :

الوجه الأول : ما نسخ خطه وحكمه وحفظه .

الوجه الثاني : ما نسخ خطه وبقي حكمه .

الوجه الثالث : ما نسخ حكمه وبقي خطه .

ويقول عن الوجه الأول :

((ومن هذا الباب قول من قال إن سورة الأحزاب كانت نحو سورة البقرة أو

---

(١) المصدر السابق ٣ / ٢١٥

الأعراف [1]))

((ومنها قول عائشة رضي الله عنها : كان فيما أنزل الله من القرآن عشر رضعات ، ثم نسخن بخمس معلومات ، فتوفي رسول الله ﷺ وهن مما يقرأ[2]))[3] .

ويورد مثلا آخر وهو قوله :

((ومنها قوله : { لو أن لابن آدم واديا من ذهب لابتغى إليه ثانيا ، ولو أن له ثانيا لابتغى إليه ثالثا ، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ، ويتوب الله على من تاب [4]} قيل إن هذا كان في سورة ص)) [5]

ويروي بسنده أن عمر بن الخطاب ﷺ أنه قال لأبي ﷺ:

((أوليس كنا نقرأ فيما نقرأ من كتاب الله : إن انتفاءكم من آبائكم كفر بكم ، فقال : بلى ، ثم قال : أوليس كنا نقرأ : الولد للفراش وللعاهر الحجر فيما فقدنا من كتاب الله ،

---

(١) التمهيد ٤ / ٢٧٥
(٢) أخرجه مسلم . كتاب الرضاع ١٤٥٢
(٣) التمهيد ٤ / ٢٧٤
(٤) أخرجه البخاري كتاب الرقاق ٦٤٣٦
(٥) التمهيد ٤ / ٢٧٦

فقال أبي : بلى .[1]))[2]

وروى بسنده عن زر بن حبيش قال : ((قال لي أبي بن كعب : كائن تقرأ سورة الأحزاب أو كائن تعدها ، قلت : ثلاثا وسبعين آية ، قال : قط ، لقد رأيتها وإنها لتعادل سورة البقرة ، ولقد كنا فيما قرأنا فيها : الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة ؛ نكالا من الله والله عزيز حكيم [3]))[4] .

ويقول عن الوجه الثاني :

((نحو قول عمر بن الخطاب : { لولا أن يقول زاد عمر في كتاب الله لكتبتها بيدي : الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة بما قضيا من اللذة ؛ نكالا من الله والله عزيز حكيم ؛ فقد قرأناها على عهد رسول الله ﷺ[5]} فهذا ما نسخ ورفع خطه في المصحف،وحكمه باق في الثيب من الزناة إلى يوم القيامة إن شاء الله عند أهل السنة [6]))

---

(١) هو أبي بن كعب بن قيس بن عبيد الأنصاري الخزرجي ، سيد القراء ومن فضلاء الصحابة شهد بدرا والمشاهد كلها توفي سنة ١٩ وقيل ٣٢ . انظر ترجمته في التاريخ الكبير ٢ / ٣٩ ، ٤٠ ، حلية الأولياء ١ / ٢٥٠ والاستيعاب ١ / ١٢٦

(٢) هو زر بن حبيش الأسدي الكوفي أبو مريم ، ثقة جليل مخضرم ، مات سنة ٨١ أو ٨٢ أو ٨٣ هـ .انظر التاريخ الكبير ٣ / ٤٤٧ ، وتهذيب الكمال ص ٤٢٩ ، الكامل في التاريخ ٤ / ٤٩٧ ، وتاريخ الإسلام ٣ / ٢٤٩

(٣) أخرجه أحمد في المسند ٥ / ١٣٢ وقال الإمام الطبري إسناده صحيح . مسند عمر ٢ / ٨٧٣

(٤) التمهيد ٤ / ٢٧٥

(٥) أخرجه البخاري بنحوه . كتاب الأحكام ٧١٦٩

(٦) التمهيد ٤ / ٢٧٧

أما عن الوجه الثالث فيقول عنه :

((أن ينسخ حكمه ويبقى خطه يتلى في المصحف وهذا كثير نحو قوله -عز وجل- : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ ﴾[1] نسختها ﴿ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾[2] وهذا من الناسخ والمنسوخ المجتمع عليه[3]))

وقد وافق ابن البر رحمه الله علماء المسلمين في ردودهم على الرافضة في مسألتي البداء والنسخ وأنهم في ذلك يقولون بأقوال اليهود الذين منعوا النسخ في حق الله تعالى ، وجوزوا البداء عليه ؛ لاعتقادهم جواز النسخ على ﷺ مع عدم تفريقهم بين النسخ والبداء معتمدين في ذلك على رواياتهم المزعومة عن أئمتهم المعصومين[4] .

يقول أبو جعفر [5] النحاس في ذلك :

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٤٠

(٢) سورة البقرة الآية ٢٣٤

(٣) التمهيد ٤ / ٢٧٧

(٤) من تلك الروايات ما رواه الكليني في كتابه الكافي ١ / ١١٣ نقلا بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام ((ما عبد الله بشيء مثل البداء ، وفي رواية ما عظم الله بمثل البداء)) نقلا عن كتاب الإمامة والرد على الرافضة لأبي نعيم الأصبهاني هامش ص ١١٧

(٥) هو أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس النحوي المصري المعروف بالنحاس ، كان من أهل العلم بالفقه والقرآن ، رحل إلى العراق وسمع الزجاج وله تصانيف مفيدة ، توفي سنة ٣٣٨ هـ . انظر طبقات النحويين واللغويين للزبيدي ص ٢٣٩ وإنباه الرواة على أبناء النحاة ١ / ١٠١ ، ١٠٤ ، وبغية الوعاة ص ١٥٧ وطبقات المفسرين للداودي ١ / ٦٧ .

((وإنما يقع الغلط على من لم يفرق بين النسخ والبداء ، والتفريق بينهما مما يحتاج المسلمون إلى الوقوف عليه لمعارضة اليهود والجهال فيه [1])) إلى أن يقول :

((الفرق بين النسخ والبداء : إن النسخ تحويل العباد من شيء قد كان حلالا فيحرم ، أو كان حراما فيحلل ، أو كان مطلقا فيحظر ، أو كان محظورا فيطلق ، أو كان مباحا فيمنع أو ممنوعا فيباح ، إرادة الصلاح للعباد ... وأما البداء فهو : ترك ما عزم عليه كقولك : امض إلى فلان اليوم ثم نقول : لا تمضي إليه فيبدو لك عن القول الأول ، وهذا يلحق البشر لنقصانهم[2]))

ويقول أبو حامد[3] الغزالي في عقيدة البداء عند الرافضة وعلاقتها باليهود :

((ولأجل قصور فهم اليهود عن هذا أنكروا النسخ ، ولأجل قصور فهم الروافض عنه ارتكبوا البداء ، ونقلوا عن علي ﷺ أنه كان لا يخبر عن الغيب مخافة أن يبدو له تعالى فيه فيغيره ، وحكوا عن جعفر بن محمد أنه قال : { ما بدا الله في شيء كما بدا له في إسماعيل ؛ أي في أمره بذبحه } .

(١) أبو جعفر النحاس ، الناسخ والمنسوخ ١ / ٤٠٨ تحقيق د . سليمان بن إبراهيم اللاحم ط ١ ١٤١٢ هـ مؤسسة الرسالة .

(٢) المصدر السابق ص ١٤٤

(٣) هو أبو حامد محمد بن محمد الطوسي الغزالي المشهور بلقب حجة الإسلام ، من رؤوس علماء الكلام والمتأثرين بالفلسفة ، كانت له عناية كبيرة بالتصوف وله في ذلك كتابه المشهور إحياء علوم الدين ، وذكر إنه أقبل آخر عمره على الحديث ومجالسة أهله ، توفي سنة ٥٠٥ هـ . انظر ترجمته في المنتظم ٩ / ١٦٨ ووفيات الأعيان ٤ / ٢١٦ ، وسير أعلام النبلاء ١٩ / ٣٣٢

هذا هو الكفر الصريح ونسبة الإله تعالى إلى الجهل والتغير تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علوا كبيرا [1]))

أما ما يقوله ابن عبد البر عن النسخ في القرآن وأنواعه فهو معروف لدى علماء الإسلام قاطبة ومبثوث في كتب علوم القرآن وذلك مثل كتاب البرهان في علوم القرآن ؛ حيث قال صاحبه :((النسخ في القرآن على ثلاثة أضرب :

الأول : ما نسخ تلاوته وبقي حكمه ...

الثاني : ما نسخ حكمه وبقي تلاوته وهو في ثلاث وستين صورة ...

الثالث : نسخها جميعا ...))[2]

---

(١) أبو حامد الغزالي ، المستصفى ٢ / ٤٤ ، ٤٥ . تحقيق حمزة زهير حافظ ، وانظر المعتمد في أصول الفقه لأبي الحسن البصري ١ / ٣٩٨ ، والأحكام في أصول الأحكام لابن حزم ٤ / ٧٠ — ٧١ ، والأحكام في أصول الأحكام للآمدي ٣ / ١٣٦ — ١٤٠ ، والنسخ في القرآن الكريم د. مصطفى زيد ٢ / ١٩ وما بعدها ، وأصول مبدأ الشيعة الإمامية د. ناصر القفاري ٣ / ٩٣٩

(٢) الزركشي . البرهان في علوم القرآن ٢ / ١٦٦ وما بعدها تحقيق يوسف المرعشلي وزملاؤه ط ٢ / ١٤١٢ هـــ . وانظر الإتقان للسيوطي ٢ / ٧٠٥ ، ومناهل العرفان ٢ / ١١٠

المبحث الرابع

رد ابن عبد البر على الرافضة في قولهم بأحقية علي ﵁ بعد النبي ﷺ

إن فضل أبي بكر معروف لدى الصحابة بما اصطفاه الله من صحبة لنبيه ﷺ وبأسبقيته بالإيمان بدعوة الإسلام والدفاع عن رسوله ﷺ ، وبتضحيته بنفسه وماله في سبيل خدمة الدين ، ولقد أوضح ﷺ مناقبه وأفضليته على بقية الصحابة ؛ ليعرفوا قدره ومنزلته ﷺ .

ويذكر ابن عبد البر – رحمه الله – أن خلافة أبي بكر ﷺ كانت بتوجيه من الرسول ﷺ تلميحا لا تصريحا و لم يأت أمر منه ﷺ بذلك .

وقد ذكر أحاديث في أفضلية أبي بكر على بقية الصحابة رضوان الله عليهم وأن هذه الأفضلية هي التي قدمته للخلافة بعد الرسول ﷺ ، كما ذكر أحاديث أخرى في تقديم الرسول ﷺ لأبي بكر في الصلاة في مرض موته ﷺ ، وهي إشارة كما يقول ابن عبد البر من النبي ﷺ لخلافة أبي بكر له إضافة إلى أحاديث أخرى في السياق نفسه .

كما استدل ابن عبد البر بآيات من القرآن الكريم يثبت فيها خلافة أبي بكر الصديق ﷺ بعد الرسول ﷺ . مضيفا – رحمه الله – إلى هذه الأدلة النقلية أدلة عقلية لا تدع مجالا للشك في أفضلية أبي بكر وأحقيته بالخلافة بعد الرسول ﷺ .

يقول – رحمه الله – في أفضلية أبي بكر وأحقيته بالخلافة :

((وكان أبو بكر أول الناس عزر رسول الله ﷺ ونصره وآمن به وصدقه وصابر على الأذى فيه ؛ فاستحق بذلك الفضل العظيم ؛ لأن كل ما صنعه غيره بعده قد شاركه فيه

وفاقم وسبقهم بما تقدم إليه فلفضله ذلك استحق الإمامة إذ شأنها أن تكون في الفاضل أبدا ما وجد إليه السبيل))[1]

ويورد – رحمه الله – هذه الأحاديث في أفضلية أبي بكر ﷺ روى بسنده عن رسول الله ﷺ أنه قال : ((دعوا لي صاحبي فإنكم قلتم كذبت ، وقال لي صدقت [2]))[3] .

وروى بسنده عن رسول الله ﷺ أنه قال : ((ما نفعني مال ما نفعني مال أبي بكر [4]))[5] .

كما روى بسنده عن رسول الله ﷺ قوله :

((إن من أمن الناس علي في صحبته وماله أبو بكر ، ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ، ولكن أخوة الإسلام ، لا تبقين في المسجد خوخة إلا خوخة أبي بكر[6]))[7]

ويورد كذلك حديثا في أفضلية أبي بكر ﷺ وهو :

أن رجلا قال : ((يا رسول الله رأيت كأن ميزانا دلي من السماء فوزنت أنت فيه وأبو

---

(١) التمهيد ٢٢ / ١٣١

(٢) رواه بنحوه البخاري كتاب فضائل الصحابة ٣٦٦١

(٣) ابن عبد البر / الاستيعاب في معرفة الأصحاب تحقيق علي محسن البجاوي ط١ جـ٣ ص٩٦٦

(٤) المسند ١٣ / ١٨٣ وصححه أحمد شاكر ، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجة ٧٧

(٥) الاستيعاب ٣ / ٩٦٦

(٦) أخرجه البخاري . كتاب فضائل الصحابة ٣٦٥٤

(٧) الاستيعاب ٣ / ٩٦٦

بكر فرجحت بأبي بكر ، ثم وزن فيه أبو بكر وعمر فرجح أبو بكر بعمر ثم رفع الميزان ، فقال رسول الله ﷺ : نبوة وخلافة ثم يؤتي الله الملك من يشاء[1]))[2] .

وأورد شهادة الرسول ﷺ بإيمان أبي بكر وعمر ويقينهما وهو حديث في كلام البقرة والذئب ؛ حيث قال ﷺ :

((آمنت بهذا وأبو بكر وعمر[3]))[4] .

أما الأحاديث التي تشير إلى خلافة أبي بكر ﷺ فقد أورد بسنده عن محمد[5] بن جبير بن مطعم عن أبيه قال :

((أتت امرأة إلى رسول الله ﷺ فسألته عن شيء ، فأمرها أن ترجع إليه فقالت يا رسول الله : أرأيت إن جئت فلم أجدك ، تعني الموت ، فقال لها رسول الله ﷺ : ((إن لم

---

(١) صححه الألباني . شرح العقيدة الطحاوية رقم ٤٧٢

(٢) التمهيد ٢٢ / ١٣١

(٣) أخرجه البخاري كتاب الحرث والمزارعة ٢٣٢٤ ، والحديث عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : ((بينما رجل راكب على بقرة التفتت إليه فقالت : لم أخلق لهذا ، خلقت للحراثة قال : آمنت به أنا وأبو بكر وعمر ، وأخذ الذئب شاة فتبعها الراعي ، فقال له الذئب من لها يوم السبع يوم لا راعي لها غيري ؟ قال : آمنت به أنا وأبو بكر وعمر)) قال أبو سلمة : وما هما يومئذ في القوم)) وانظر مسلم كتاب فضائل الصحابة ٢٣٨٨

(٤) الاستيعاب ٣ / ٩٦٦

(٥) محمد بن جبير ابن مطعم إمام فقيه ثبت ، كان أحد العلماء صاحب كتب وعناية بالعلم ، توفي سنة ١٠٠ هـ تقريبا . انظر التاريخ الكبير للبخاري ١ / ٥٢ ، تاريخ الإسلام ٤ / ٥٠ ، السير ٤ / ٥٤٣

تجديني فأت أبا بكر[1]))[2] .

ويعلق على حديث ((مروا أبا بكر فليصل بالناس))[3] تعليقا جميلا ويذكر كلاما نفيسا – وإن كان طويلا – فإنا نرى نقله كاملا لأهميته ، فيقول:

((معلوم أن الصلاة في حياة رسول الله ﷺ كانت إليه لا غيره ، وهو الإمام المقتدى به ، ولم يكن لأحد أن يتقدم بحضرته ، فلما مرض واستخلف أبا بكر عليها والصحابة متوافرون ، ووجوه قريش وسائر المهاجرين وكبار الأنصار حضور ، وقال لهم : مروا أبا بكر يصلي بالناس . استدلوا بذلك على أن أبا بكر كان أحق الناس بالخلافة بعده ﷺ ، فارتضوا لإقامة دنياهم وأمانتهم من ارتضاه رسول الله ﷺ لدينهم .

ولم يمنع رسول الله ﷺ - والله أعلم – من أن يصرح بخلافة أبي بكر ﷺ إلا أنه كان لا ينظر في دين الله بهواه ولا يشرع فيه إلا بما يوصي إليه ولم يوح إليه في الخلافة شيء .

وكان لا يتقدم بين يدي ربه في شيء إلا أنه كان يحب أن يكون أبو بكر الخليفة بعده ، فأراهم بتقديمه إياه إلى الصلاة موضع اختباره وأراد به .

فعرف المسلمون ذلك منه فبايعوا أبا بكر بعده فنفعهم الله به وبارك لهم فيه فقاتل أهل

---

(١) أخرجه مسلم كتاب فضائل الصحابة ٢٣٨٦

(٢) الاستيعاب ٣ / ٩٦٩ وانظر التمهيد ٢٢ / ١٢٦

(٣) أخرجه البخاري من حديث طويل . كتاب الأذان ٦٦٤ ومسلم كتاب الصلاة ٤١٨

الردة وقام بأمر الله وعدل في الرعية وقسم بالسوية ، وسار سيرة الرسول ﷺ حتى توفاه الله ﷻ [1]))

ويروي بسنده الحديث المعروف عند أهل السنة في إمامة أبي بكر للصلاة في مرض موته ﷺ فقد روي بسنده عن عبد الله [2] بن زمعة ابن الأسود قال :

((كنت عند رسول الله ﷺ وهو عليل ؛ فدعاه بلال إلى الصلاة فقال لنا مروا من يصلي بالناس ، قال : فخرجت فإذا عمر في الناس ، وكان أبو بكر غائبا فقلت : قم يا عمر فصل بالناس ، فقام عمر فلما كبر سمع رسول الله ﷺ صوته ، وكان مجهرا ، فقال رسول الله ﷺ فأين أبو بكر ؟ يأبى الله ذلك والمسلمون ، فبعث إلى أبي بكر فجاءه بعد أن صلى عمر تلك الصلاة ، فصلى بالناس طول علته حتى قبض رسول الله ﷺ[3]))[4] .

ويستدل — رحمه الله — على إمامة أبي بكر ﷺ بآيات من القرآن الكريم ينقل تفسيرها عن بعض أهل العلم مستشهدين بها على خلافة أبي بكر بعد رسول الله ﷺ ووجوب طاعته فيقول :

---

(١) انظر التمهيد ٢٠ / ٢٥١ و٢٢ / ١٢٥

(٢) هو عبد الله بن زمعة بن الأسود القرشي الأسدي ، أمه أخت أم سلمة أم المؤمنين ، كان من أشراف قريش وكان يأذن على النبي ﷺ قتل يوم الدار سنة ٣٥ هـ . انظر الاستيعاب ١ / ٢٧٥ ، أسد الغابة ٢ / ١١١ والإصابة ٢ / ١٢٨

(٣) صححه الألباني في صحيح أبي داود (٤٦٦٠)

(٤) الاستيعاب ٣ / ٩٦٩

((وقد استدل قوم من أهل العلم على خلافة أبي بكر بقول الله ﷻ:

﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَـٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ﴾(١) الآية ... ومعلوم أن الداعي لأولئك القوم غير النبي ﷺ ؛ لأن الله قد منع المخلفين من الأعراب من الخروج مع رسول الله ﷺ بقوله :﴿فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَـٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾(٢) وقد أرادوا معه إلى بعض ما رجوا فيه الغنيمة ؛ فأنزل الله :﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ۚ﴾(٣) يعني قوله :﴿ لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا﴾ ولا تبديل لكلمات الله .

وفي قوله ﷻ: ﴿ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَـٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا

---

(١)سورة الفتح الآية ١٦

(٢)سورة التوبة الآية ٨٣

(٣)سورة التوبة الآية ١٥

﴿أَلِيمًا﴾[1] أوضح الدلائل على وجوب طاعة أبي بكر وإمامته وعد الله المخلفين عن رسوله ﷺ إذا أطاعوا الذي يدعوهم بعده بالأجر الحسن ، وأوعدهم بالعذاب الأليم إن تولوا عنه .

وللعلماء في قوله ﷻ: ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَـٰتِلُونَهُمْ﴾ قولان لا ثالث لهما :

أنهم قالوا أرادوا بقوله : ﴿إِلَىٰ قَوْمٍ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَـٰتِلُونَهُمْ﴾ أهل اليمامة مع مسيلمة ، وقال آخرون : أراد فارس .

فإن كان كما قالوا أهل اليمامة ، فأبو بكر هو الذي دعاهم إلى قتالهم .

وإن كانوا فارس ، فعمر دعا إلى قتالهم ، وعمر إنما استخلفه أبو بكر .

فعلى أي الوجهين كان فالقرآن بما وصفنا إمامة أبي بكر وخلافته وإن كان أراد فارس فهو دليل إمامة عمر وخلافته[2].))

---

(١)سورة الفتح الآية ١٦

(٢) التمهيد ٢٢ / ١٢٩

وقد أجمع أهل السنة والجماعة سلفاً وخلفاً على أن أبا بكر ﷺ أفضل الصحابة ، وقد فهم الصحابة مراد الرسول ﷺ فقدموه في الخلافة ولم يعارض أحد في تقديمه ، وهذه بعض أقوال أهل العلم :

قال أبو الحسن الأشعري : ((وأثنى الله على المهاجرين والأنصار والسابقين إلى الإسلام ، ونطق القرآن بمدح المهاجرين والأنصار في مواضع كثيرة وأثنى على بيعة أهل الرضوان فقال ﷻ: ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾ (١) قد أجمع هؤلاء الذين أثنى عليهم ومدحهم على إمامة أبي بكر الصديق ﷺ وسموه خليفة رسول الله وبايعوه وانقادوا له وأقروا له بالفضل ، وكان أفضل الجماعة في جميع الخصال التي يستحق بها الإمامة من العلم والزهد وقوة الرأي وسياسة الأمة وغير ذلك))(٢)

وقال ابن قدامة(٣) رحمه الله : ((وهو – أي أبو بكر – أحق خلق الله تعالى بالخلافة بعد النبي ﷺ ؛ لفضله وسابقته وتقديم النبي ﷺ له في الصلاة على جميع الصحابة رضوان الله

---

(١) سورة الفتح الآية ١٨

(٢) أبو الحسن الأشعري . الإبانة عن أصول الديانة ، تحقيق بشير محمد عون ص ١٦٨ ط ٤ / ١٤١٣ هـ مكتبة دار البيان والمؤيد .

(٣) هو عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي ثم الدمشقي ، موفق الدين أبو محمد صاحب كتاب المغني في الفقه الحنبلي ، وصاحب التصانيف الكثيرة ، ولد ٥٤١ هـ وتوفي ٦٢٠ هـ ، انظر السير ٢٢ / ١٦٤ ، ذيل طبقات الحنابلة ٢ / ١٣٣

عليهم وإجماع الصحابة ﷺ على تقديمه ومتابعته ولم يكن الله ليجمعهم على ضلالة))[1].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في تقرير عقيدة أهل السنة والجماعة في أبي بكر ﷺ : ((ويقرون بما تواتر به النقل عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ وغيره من أن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ويثلثون بعثمان ويربعون بعلي ﷺ))[2].

ويذكر الإمام الشنقيطي[3]- رحمه الله - قولاً جميلاً في تفسيره أضواء البيان عن إمامة أبي بكر ﷺ وأنه من الصديقين وأن الله أمرنا باتباع الصديقين فيقول في تفسيره لآية

﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾من سورة الفاتحة .

((يؤخذ من هذه الآية الكريمة صحة إمامة أبي بكر الصديق ﷺ ؛ لأنه داخل فيمن أمرنا الله في السبع المثاني والقرآن العظيم – أعني الفاتحة – بأن نسأله أن يهدينا صراطهم ؛

---

(١)موفق الدين بن قدامة ، لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد ص ١٩ – ٢٠ السلفية بالقاهرة ط ٢ ، ١٣٩٧

(٢)مجموع الفتاوى لابن تيمية ٣ / ١٥٣

(٣)هو محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي الجكني ، العلاّمة الأصولي المفسر اللغوي صاحب كتاب أضواء البيان في تفسير القرآن ، طلب العلم وحفظ القرآن في صغره وطاف في بلاد كثيرة حتى استقر به المقام في المدينة النبوية ، كان يحظى باحترام العلماء وتقديرهم ، درس في الحرم النبوي وفي الجامعة الإسلامية بالمدينة . توفي سنة ١٣٩٣هـ . انظر : مقدمة أضواء البيان لتلميذه عطية محمد سالم ، وعلماء ومفكرون عرفتهم لمحمد المجذوب ص ١٦١

فدل ذلك على أن صراطهم هو الصراط المستقيم وذلك في قوله : ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ ﴾وقد بين الذين أنعم عليهم فعد منهم الصديقين ، وقد بين ﷺ أن أبا بكر رضي الله عنه من الصديقين ؛ فاتضح أنه داخل في الذين أنعم الله عليهم الذين أمرنا الله أن نسأله الهداية إلى صراطهم ؛ فلم يبق لبس في أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه على الصراط المستقيم وأن إمامته حق))[1].

---

(١) الإمام الشنقيطي : أضواء البيان جـ ١ ص ٤٣ .

المبحث الخامس

رد ابن عبد البر على الرافضة في قولهم عليًّا ﷺ أفضل الأمة بعد رسول الله ﷺ

يرد ابن عبد البر – رحمه الله – على الرافضة في أحقية علي ﷺ بالخلافة بعد رسول الله ﷺ من خلال حديثين يوردهما الرافضة في الاحتجاج بأحقية علي ﷺ بالخلافة شارحاً هذين الحديثين بالأدلة العقلية والأدلة اللغوية التي يحتملها النصان بفساد قول الرافضة في ذلك والذي يسميهم هنا – بأهل الزيغ – كما يشمل رده آثاراً أوردها بسنده تؤيد ما ذهب إليه وتقوي حجته .

أما الحديثان فهما :

الحديث الأول قوله ﷺ لعلي ﷺ : ((أنت مني بمترلة هارون من موسى))[1] .

والحديث الآخر : قوله ﷺ في خطاب لأصحابه في غديرخم[2] :

((من كنت مولاه فعلي مولاه))[3] .

في الحديث الأول ينقل قولاً لعلم من أعلام السنة وهو أبو إسحاق[4] المروزي في أن قول الرسول ﷺ في الحديث ليس المقصود به الإمامة لعلي من بعده ، وإنما قصده إظهار فضل علي ﷺ فيقول :

---

(١) أخرجه البخاري . كتاب فضائل الصحابة حديث رقم ٣٧٠٦

(٢) غديرخم هو موضع بين مكة والمدينة عند الجحفة / انظر معجم البلدان ١ / ٣٨٩

(٣) أخرجه أحمد في المسند ١ / ٨٤ ، والترمذي ٣٧١٣٤ وقال حديث حسن صحيح والحاكم في المستدرك ٣ / ١١٨ وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وصححه الألباني / السلسلة الصحيحة ح ١٧٥٠ .

(٤) هو إبراهيم بن أحمد المروزي ، كان إماماً جليلاً ورعاً وزاهداً ، انتهت إليه مشيخة الشافعية في بغداد ثم انتقل آخر عمره إلى مصر ومات بها سنة ٣٤٠هـ . انظر وفيات الأعيان ١ / ٢٦ ، والسير ١٥ / ٤٢٩ ، وشذرات الذهب ٢ / ٣٥٥

((وأما قول رسول الله ﷺ لعلي : ((أنت مني بمنزلة هارون من موسى)) واحتجاج أهل الزيغ به على أنه أراد بذلك استخلافه ، فقد أجاب عن ذلك أبو اسحاق المروزي رحمه الله بجواب على وجهين مجملين ، أحدهما :

إن هارون كان خليفة موسى في حياته ولم يكن علي خليفة رسول الله ﷺ في حياته ، وإذا جاز أن يتأخر علي عن خلافة رسول الله ﷺ في حياته على حسب ما كان هارون خليفة موسى في حياته ، جاز أن يتأخر بعد موته زماناً ويكون غيره مقدماً عليه ، ويكون معنى الحديث القصد إلى إثبات الخلافة له كما ثبتت لهارون لا أنه استحق تعجيلها في الوقت الذي تعجلها هارون من موسى عليه السلام.

والوجه الآخر : إن هذا الكلام إنما خرج من النبي عليه السلام في تفضيل علي ومعرفة حقه لا في الإمامة ، لأن هارون مات قبل موسى بزمان فاستخلف موسى بعده يوشع بن نون ، فهارون إنما كان خليفة لموسى في حياته ولم يكن هارون خليفة لموسى بعد موته فيكون ذلك دليلاً على أن علياً خليفة رسول الله ﷺ بعد موته))[1] .

ثم يعلق ابن عبد البر على ما سبق مما يزيد الأمر جلاءً ووضوحاً فيقول :
((كان هذا القول من النبي ﷺ لعلي حين استخلفه على المدينة في وقت خروجه غازياً غزوة تبوك[2] ، وهذا استخلاف منه في حياته وقد شركه في مثل هذا الاستخلاف غيره

---

(١) التمهيد ٢٢ / ١٣١ - ١٣٢

(٢) تبوك موضع بين الحجر وأول الشام على أربع مراحل من الحجر ، وقد توجه إليها الرسول ﷺ سنة ٩هـ وكانت آخر غزوة له ﷺ . انظر معجم البلدان ٢ / ١٥

ممن لا يدعي له أحد خلافة جماعة[1]قد ذكرهم أهل السنة وقد ذكرناهم في كتاب الصحابة[2]، وليس في استخلافه حين قال له ذلك القول دليل على أنه خليفة بعد موته))[3].

وأما الحديث الآخر فيذكر أن لفظة مولى هي لفظة مشتركة تحتمل أكثر من معنى وليست لفظة صريحة في الخلافة وأنها تحتمل التأويل قائلاً :

((وأما قوله ﷺ { من كنت مولاه فعلي مولاه } فيحتمل التأويل ؛ لأن المولى[4]يحتمل وجوهاً في اللغة أصحها : أنه الولي والناصر ، وليس في شيء منها ما يدل على أنه استخلفه بعده ، ولا ينكر فضل علي مؤمن ولا يجهل سابقته وموضعه من رسول الله ﷺ ومن دين الله عالم ، وقد ثبت عنه رضي الله عنه أنه فضَّل أبا بكر على نفسه من طرق صحاح ، وقال : خير الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر وحسبك بهذا منه رضي الله عنه))[5] .

وأورد أثراً بسنده عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه يثبت فيه خلافة أبي بكر رضي الله عنه وأنه ﷺ قدم أبا بكر للصلاة وهذه إشارة لأفضلية أبي بكر وإشارة لخلافته من بعده ، وهذا ما فهمه علي رضي الله عنه وتحدث به ونقله عنه من سمعه منه ، وفي هذا حجة على الرافضة الذين يدعون

---

(١) كابن أم مكتوم وعتاب بن أسيد رضي الله عنهما . انظر سيرة ابن هشام ٢ / ٤٤٠ ، وزاد المعاد في هدي خير العباد ١ / ١٢٢ ، ٣ / ٢٤٨

(٢)لعله يقصد كتاب الاستيعاب في معرفة الأصحاب

(٣)التمهيد ٢٢ / ١٣٢

(٤) انظر على سبيل المثال النهاية لابن الاثير ٥ / ٢٢٨ . فقد أورد لها واحداً وعشرين معنى .

(٥) التمهيد ٢٢ / ١٣٣

بأحقية علي في الخلافة من بعد رسول الله ﷺ فيذكر عن علي بن أبي طالب ﷺ أنه قال : ((إن نبيكم ﷺ نبي الرحمة لم يقتل قتلاً و لم يمت فجأة ، مرض ليالي وأياماً يأتيه بلال فيؤذنه بالصلاة ، وهو يرى مكاني فيقول : ائت أبا بكر فليصل بالناس ، فلما قبض رسول الله ﷺ نظرت في أمري فإذا الصلاة عظم الإسلام وقوام الدين فرضينا لدنيانا من رضيه رسول الله ﷺ لديننا فبايعنا أبا بكر [١]))[٢]

وينقل رحمه الله شهادتين في فضل أبي بكر وأحقيته بالخلافة ؛ إحداهما من علي ﷺ نفسه والأخرى من أحد كبار الصحابة وهو عبد الله بن مسعود ﷺ .

أما شهادة علي فهي القول المشهور عنه عندما قال : ((لا يفضلني أحد على أبي بكر وعمر إلا جلدته حد المفترى[٣]))[٤] .

والشهادة الثانية قول ابن مسعود ﷺ :

((اجعلوا إمامكم خيركم فإن رسول الله ﷺ جعل إمامنا خيرنا بعده[٥]))[٦] .

---

(١) أخرجه الآجري في الشريعة ص ٤٧٩ وقال محقق الكتاب إسناده ضعيف

(٢) التمهيد ٢٢ / ١٢٩ وانظر الاستيعاب ٣ / ٩٧١

(٣) قال ابن تيمية أسانيده جيدة . الفتاوى ٢٨ / ٤٧٤

(٤) الاستيعاب ٣ / ٩٧٣

(٥) لم أعثر على تخريجه

(٦) الاستيعاب ٣ / ٩٧١

ومما لا شك فيه أن أقوال ابن عبد البر قد وافقت أقوال أهل السنة من سلفهم وخلفهم في تقديم أبي بكر في الخلافة وأنه أفضل الصحابة بعد رسول الله ﷺ وأنه هو الأحق والأجدر بالخلافة ، وأنه لا يوجد نص ولا وصية ولا إشارة من قريب ولا من بعيد على خلافة علي رضي الله عنه من بعده ، وقد أوردوا في ذلك النقولات الكثيرة التي تصعب على الحصر وسنذكر بعض ما نقله بعض أعلام الإسلام عن بعض أئمة أهل البيت رضوان الله عليهم وهم المعنيون بالخلافة عند الرافضة ، ثم نعقب بعد ذلك بقول جميل للإمام ابن كثير رحمه الله .

روى الإمام البخاري الحوار الذي دار بين العباس وبين ابن أخيه علي بن أبي طالب رضي الله عنهما حول الولاية بعد رسول الله ﷺ وأنها ليست منصوصاً عليها من النبي ﷺ لأحد من بعده لا لعلي رضي الله عنه ولا لغيره وذلك عندما رأى العباس رضي الله عنه الموت في رسول الله ﷺ مخاطباً علياً رضي الله عنه :

((اذهب بنا إلى رسول الله فلنسأله فيمن هذا الأمر ، إن كان فينا علمنا ذلك وإن كان في غيرنا علمناه فأوصى بنا ، فقال علي : إنا والله لئن سألناها رسول الله ﷺ فمنعناها لا يعطيناها الناس من بعده ، وإني والله لا أسألها رسول الله ﷺ))[(١)] .

(١) أخرجه البخاري . كتاب المغازي ٤٤٤٧

وقال الحسن[1] بن الحسن بن علي بن أبي طالب ﷺ في رده على سائل يسأله عن حديث ((من كنت مولاه فعلي مولاه[2])) حيث أجاب قائلاً :

((أما والله لو يعني بذلك رسول الله ﷺ الإمارة والسلطان لأفصح لهم ، وما كان أحد أنصح للمسلمين من رسول الله ﷺ ، ولقال لهم : أيها الناس إن هذا ولي أمركم والقائم لكم من بعدي ؛ فاسمعوا له وأطيعوا ، والله ما كان من وراء هذا شيء ، والله إن كان الله ورسوله اختارا علياً لهذا الأمر والقيام للمسلمين به من بعده ثم ترك علي ما اختار الله ورسوله أن يقوم حتى يعذر فيه إلى المسلمين إن كان أحد أعظم ذنباً ولا خطيئة من علي إذ ترك ما اختار الله ورسوله حتى يقوم فيه كما أمره الله ورسوله [3]))

وروى الإمام أحمد أن علياً قال يوم الجمل :

((إن رسول الله لم يعهد إلينا عهداً نأخذ به في إمارة ، ولكنه شيء رأيناه من قبل أنفسنا ، ثم استخلف أبو بكر – رحمة الله على أبي بكر – فأقام واستقام ، ثم استخلف عمر – رحمة الله على عمر – فأقام واستقام حتى ضرب الدين بجرانه[4]))[5] .

---

(١) هو الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ﷺ كان فاضلاً ورعاً قليل الرواية والفتيا مع صدقه وجلالته ، له مواقف مشهورة مع الرافضة فكان يبغضهم ويتبرأ منهم توفي سنة ٩٧ هـ وقيل ٩٩ هـ . انظر طبقات ابن سعد ٥ / ٣١٩ ، التاريخ الكبير للبخاري ٢ / ٢٨٩ ، والسير ٤ / ٤٨٣

(٢) سبق تخريجه

(٣) السنة للخلال ٢ / ١١٤

(٤) بجرانه : الجران باطن العنق وقيل مقدم العنق من مذبح البعير إلى منحره فإذا أبرك البعير ومد عنقه على الأرض قيل ألقى جرانه إلى الأرض . انظر لسان العرب ١٣ / ١٠٢

(٥) أخرجهالإمام أحمد ٢ / ١٨١ ، وذكره بنحوه المباركفوري ، وقال : أخرجه أحمد والبيهقي في دلائل النبوة بسند حسن تحفة الأحوذي ٦ / ٤٧٨

ونُقل إلينا محاورة الرافضي مع جعفر الصادق عندما سئل من أفضل الناس ؟ فأجابه جعفر الصادق ودار هذا الحوار فقال :

((أبو بكر الصديق ﷺ

قال : وما الحجة في ذلك ؟

قال: قول الله ﷻ: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾(1)

فمن يكون أفضل من اثنين الله ثالثهما ؟ وهل يكون أحد أفضل من أبي بكر إلا النبي ﷺ

قال له الرافضي :

فإن علي بن أبي طالب بات على فراش رسول الله ﷺ غير جزع ولا فزع .

فقال له جعفر : وكذلك أبو بكر كان مع النبي ﷺ غير جزع ولا فزع .

---

(1) سورة التوبة الآية ٤٠

قال له الرجل : فإن الله تعالى يقول بخلاف ما تقول !

قال له جعفر : وما قال ؟

قال : قال الله : ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ فلم يكن ذلك الخوف جزعاً .

قال له جعفر : لا لأن الحزن غير الجزع والفزع ، كان حزن أبي بكر أن يقتل النبي ﷺ ، ولا يدان بدين الله ، فكان حزن على دين الله ، وعلى نبي الله ﷺ ، ولم يكن حزنه على نفسه كيف وقد ألسعته أكثر من مئة خريش[١] فما قال : حس[٢] ، ولا ناف ..[٣]))[٤]

ويقول ابن كثير في تاريخه تحت عنوان خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب :

((وأما ما يفتريه كثير من جهلة الشيعة والقصاص الأغبياء من أنه أوصى إلى علي في الخلافة فكذب وبهت وافتراء عظيم يلزم منه خطأ كبير في تخوين الصحابة وممالأتهم بعده على ترك إنفاذ وصيته وإيصالها إلى من أوصى إليه ، وصرفهم إياها إلى غيره ، لا لمعنى ولا لسبب ، وكل مؤمن بالله ورسوله يتحقق أن دين الإسلام هو الحق ، يعلم ببطلان

(١) خريش : الخرشة الذباب . انظر لسان العرب ٦ / ٣٥٢

(٢) حس : الحس : الشر . السابق ٦ / ٦٤

(٣) ناف : ناف الشيء نوفاً : ارتفع واشرف . السابقة ٩ / ٤٠٧

(٤) مناظرة جعفر الصادق مع الرافضي . ت د . علي الشبل . ط ١ — ١٤٢٥ . مكتبة الرشيد

هذا الافتراء ؛ لأن الصحابة كانوا خير الخلق بعد الأنبياء وهم خير قرون هذه الأمة التي هي أشرف الأمم بنص القرآن الكريم وإجماع السلف والخلف في الدنيا والآخرة .))[1]

(١) ابن كثير . البداية والنهاية ٥ / ٣١٩

الفصل الثالث

موقف ابن عبد البر من المرجئة

المبحث الأول

ذكر ابن عبد البر لفرق المرجئة

جاءت كلمة المرجئة من الإرجاء ، والإرجاء في اللغة على معنيين :

المعنى الأول :

هو التأخير والإمهال ، قال تعالى : ﴿ قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ ﴾[1] وفي حديث توبة كعب بن مالك[2] ((وأرجأ رسول الله أمرنا [3])) أي أخَّره .

والمعنى الآخر :

من الرجاء ضد اليأس وهو الأمل ،قال تعالى:

﴿ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[4][5]

أما في الاصطلاح فقد تعددت التعريفات بالمرجئة ؛ نظراً لتعدد أنواع الإرجاء ، فقال بعضهم :

هم الذين يقولون الإيمان قول بلا عمل ، وقال بعضهم : هم الذين يقولون لا يضر مع

---

(١)سورة الشعراء الآية ٣٦

(٢) هو كعب بن مالك بن عمرو بن القين بن كعب صحابي جليل شهد بيعة العقبة وهو شاعر رسول الله ﷺ وأحد الثلاثة الذين خلفوا فتاب الله عليهم ، توفي سنة ٥١ هـ . انظر التاريخ الكبير ٧ / ٢١٩ ، الاستيعاب ٣ / ١٣٢٣ والإصابة ٨ / ٣٠٤

(٣) أخرجه مسلم كتاب التوبة ٢٧٦٩

(٤)الآية ٢١٨ سورة البقرة

(٥) انظر لسان العرب ١ / ١٠٢ ، والقاموس المحيط ص ٤١

الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة[1] .

والإرجاء لم ينشأ نشأة واحدة كما هو الحال عند الخوارج، بل مر بأطوار بينها فترة من الزمن ؛ فأول من تكلم فيه هو الحسن بن محمد[2] بن الحنفية ، والذي اشتهر عنه بسبب كتاب كتبه ليقرأ على الناس ، فيه إرجاء أمر الصحابة الذين اختلفوا في عهد علي بن أبي طالب ﷺ إلى الله لما حصل بينهم من اختلاف و لم يتبرأ منهم ، فهو يرى عدم القطع على إحدى الطائفتين المقتتلتين بكونه مخطئاً أو مصيباً .

ثم ظهر إرجاء مرتكب الكبيرة وأول ما ظهر عند الحازمية [3] وهي فرقة من الخوراج وقد توقفوا في حكمهم بالكفر على مرتكب الكبيرة ، وهم الذين توقفوا في حكمهم على علي بن أبي طالب ﷺ ولا يصرحون بالبراءة منه ، ولا يشهدون للصحابة بإيمان ولا كفر ، وهذا القول هو أصل قول المرجئة في

---

(١) انظر الملل والنحل ١ / ١٤٩ ، وانظر التعريفات للجرجاني ص ٢٠٧

(٢) هو الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب ، أبوه يعرف بابن الحنفية فقيه ثقة ، هو أول من تكلم في الإرجاء ، مات سنة ٩٩ هـ ، انظر طبقات ابن سعد ٥ / ٣٢٨ ، وتهذيب التهذيب ٢ / ٣٢٠ ، وشذرات الذهب ١ / ١٢١

(٣) الحازمية هي : فرقة من الخوارج تنتسب إلى حازم بن علي وقد قالوا في باب القدر والاستطاعة والمشيئة بقول أهل السنة ، وخالفوا أكثر الخوارج في الولاية والعداوة وقالوا بالموافاة ، وهم لا يتبرأون من علي ﷺ صراحة ويتبرأون من عثمان وطلحة والزبير . انظر : الفرق بين الفرق ص ٦٨ والملل والنحل ١ / ١٤٢

الإيمان ، إذ أن الإرجاء قد تحول إلى موضوع الإيمان ؛ فقد سئل سفيان بن عيينة عن الإرجاء فقال :

« الإرجاء على وجهين : قوم أرجأوا أمر علي وعثمان فقد مضى أولئك فأما المرجئة اليوم فهم قوم يقولون : الإيمان قول بلا عمل » [١] .

وهذا النوع من الإرجاء أخرج العمل من مسمى الإيمان وكان هذا زمن التابعين في عهد عبد الملك بن مروان – توفي سنة ٨٦ هـ –[٢] .

والمرجئة على ثلاثة أنواع :

النوع الأول :

إرجاء العباد والفقهاء ، الذين قالوا إن الإيمان هو التصديق والإقرار فقط ، وأول من عرف عنه هذا النوع هو ذر[٣] بن عبد الله الهمذاني ، وحماد[٤] بن أبي سليمان من فقهاء الكوفة ، قال النيسابوري :

---

(١) الإمام الطبري ، تهذيب الآثار ٢ / ٦٥٩

(٢) انظر : منهاج السنة النبوية ج٣ ص ١٨٤ ، والدرء ج٥ / ٢٤٤

(٣) هو ذر بن عبد الله المرهبي الهمذاني الكوفي ، من التابعين وهو أول من تكلم في الإرجاء بالكوفة ، مات قبل المئة ، انظر طبقات ابن سعد ٦ / ٢٩٧ والسنة للخلال ٣ / ٥٦٣ ، والتقريب ١ / ٢٣٨

(٤) هو أبو إسماعيل حماد بن أبي سليمان الكوفي ، كان رأساً في المرجئة الفقهاء وأول من قال بقولهم ، توفي سنة ١٢٠هـ . انظر الضعفاء الكبير للعقيلي ١ / ٣٠٣ وفتاوى ابن تيمية ٧ / ٢٩٧

« قلت لأبي عبد الله أول من تكلم في الإيمان من هو ؟ قال : يقولون : أول من تكلم فيه ذر »[1]

النوع الثاني :

إرجاء الغلاة من المتكلمين ، الذين قالوا بأن الإيمان هو في القلب فقط ؛ كالغيلانية[2] والجهمية[3] وبعض المتكلمين .

النوع الثالث :

إرجاء الكرامية[4] : وهم جعلوا الإيمان قولاً باللسان فقط وإن اعتقد الكفر بقلبه فهو مؤمن كامل الإيمان ، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

« لم يكن حدث في زمن السلف من المرجئة من يقول : الإيمان بمجرد القول بلا تصديق ولا معرفة ، فإن هذا إنما أحدثه ابن كرام ، وهذا هو الذي انفرد به ابن كرام » [5]

---

(١) مسائل الإمام أحمد للنيسابوري ٢ / ١٦٢

(٢) الغيلانية : فرقة من المرجئة تنتسب إلى رجل اسمه غيلان وهم يزعمون أن الإيمان هو المعرفة بالله الثانية وأن المعرفة الأولى في اضطرار فلذلك لم يجعلوها من الإيمان .انظر مقالات الإسلاميين ص ٨٣

(٣) يأتي التعريف بها في الفصل الرابع

(٤) الكرامية : فرقة تنتسب إلى عبد الله بن محمد بن كرام السجستاني توفي سنة ٢٥٥هـ وهي فرقة كلامية يقولون بالتشبيه والتجسيم في الصفات ، والإيمان عندهم هو مجرد النطق باللسان وإن كان مع عدم تصديق القلب فيجعلون المنافق مؤمناً . انظر الفرق بين الفرق ص ١٦٥، والملل والنحل ١ / ١٢٢ ، أصول الدين للبغدادي ص ٥ ، ٢٩ ، ٣١ ، ٤٣ ، ٧٧ ، ٨٨ ، ٩٣ ، وشرح الأصبهانية ص ٣٧٨

(٥) الفتاوى ٧ / ٣٨٦

أما ذكر ابن عبد البر لفرق المرجئة ؛ فهو لم يسم أياً من فرق المرجئة و لم يشر إلا إشارة سريعة إلى أبي حنيفة وأصحابه ، وإنما ذكر شبه المرجئة في العموم والرد عليها ثم ذكر تقريره لعقيدة أهل السنة والجماعة في مسألة الإيمان وكأنه يرى في ذلك رداً عليهم .

يقول – رحمه الله – :

« أجمع أهل الفقه والحديث على أن الإيمان قول وعمل ولا عمل إلا بنية والإيمان عندهم يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، والطاعات كلها عندهم إيمان إلا ما ذكر عن أبي حنيفة وأصحابه ، فإنهم ذهبوا إلى أن الطاعات لا تسمى إيماناً ، قالوا : إنما الإيمان التصديق والإقرار ، ومنهم من زاد والمعرفة[1] »

ونلاحظ أنه ذكر من المرجئة أبا حنيفة رحمه الله وأصحابه وهو ما يسمى بمرجئة الفقهاء ، ثم قال : « ومنهم من زاد والمعرفة » والظاهر من كلامه أنه يقصد أصحاب أبي حنيفة ، ويوضح هذه العبارة ما قاله أبو الحسن الأشعري في كتابه مقالات الإسلاميين عند ذكره لأبي حنيفة وأصحابه في تعريفهم للإيمان ؛ حيث قال : «يزعمون أن الإيمان المعرفة بالله والإقرار بالله والمعرفة بالرسول والإقرار بما جاء من عند الله في الجملة دون التفسير[2]»

(١) التمهيد ٩ / ٢٣٨

(٢) أبو الحسن الأشعري . مقالات الإسلاميين ص ٨٤ ، تحقيق أحمد جاد . دار الحديث بالقاهرة١٤٣٠ هـ

المبحث الثاني

ذكر ابن عبد البر لأول من قال بالإرجاء

ينسب ابن عبد البر رحمه الله أول كلام في الإرجاء إلى الحسن بن محمد بن الحنفية بن علي بن أبي طالب ﷺ ، وقد نسب هذا الإقرار مرتين مرة إلى نفسه ومرة إلى غيره ؛ فيقول :

« عبد الله والحسن ابنا محمد بن الحنفية كانا جليلين عالمين ثقتين ، إلا أن عبد الله هذا تنتحله الشيعة بأسرها والحسن أول من تكلم بالإرجاء[١] »

ثم يذكر بعد ذلك بقليل :

« وقال العدوي : وأما الحسن بن محمد بن الحنفية فكان من أظراف فتيان قريش ، وكان أول من وضع الرسائل ، وكان رأس المرجئة الأولى وكان داعية إلى أبيه إذ كان أبوه في الشعب [٢] »

ثم يقول :

« وقال مصعب [٣]: والحسن أول من تكلم في الإرجاء»[٤]

ونرى هنا أن ابن عبد البر رحمه الله يوافق بعض من سبقه من العلماء والمؤرخين في أن

---

(١) التمهيد ١٠ / ٩٠

(٢) السابق ١٠ / ٩١

(٣) وهو مصعب الزبيري سبقت ترجمته — انظره في كتابه نسب قريش ص٧٥

(٤) التمهيد ١٠ / ٩٣

أول من تكلم في الإرجاء هو الحسن بن محمد بن الحنفية ، وإن وافقناه في ذلك إلا أن المقصود بالإرجاء عند الحسن هو المعنى اللغوي وهو التأخير وليس المعنى الاصطلاحي الذي عرف فيما بعد وهو إخراج الأعمال عن مسمى الإيمان بل إن ما قصده الحسن هو إرجاء أمر علي ومعاوية رضي الله عنهما إلى الله وعدم القطع بصحة أو خطأ أحد منهما مع الشهادة لهما بالإيمان والأفضلية .

والشاهد على ذلك ما ذكره الحافظ بن حجر (١) رحمه الله عن الحسن بن محمد بن الحنفية عند ذكر أقوال العلماء حول الإرجاء ؛ حيث قال :

« المراد بالإرجاء الذي تكلم الحسن بن محمد فيه غير الإرجاء الذي يعيبه أهل السنة المتعلق بالإيمان ، وذلك أني وقفت على كتاب الحسن بن محمد المذكور أخرجه ابن أبي عمر العدني في كتاب له في آخره قال : حدثنا إبراهيم بن عيينة عن عبد الواحد بن أيمن قال : كان الحسن بن محمد يأمرني أن أقرأ هذا الكتاب على الناس :

أما بعد فإنا نوصيكم بتقوى الله ... فذكر كلاماً كثيراً في الموعظة والوصية لكتاب الله واتباع ما فيه ، وذكر اعتقاده ثم قال في آخره :

---

(١) هو أحمد بن علي بن محمد الكناني ، أبو الفضل المصري الشافعي المعروف بابن حجر العسقلاني كبير الحفاظ والمحدثين في الأزمنة الأخيرة ، صاحب كتاب فتح الباري شرح صحيح البخاري ، وصاحب التصانيف البديعة في علوم الحديث وغيره ، توفي سنة ٨٥٢ . انظر الضوء اللامع ٢ / ٣٦ ، والبدر الطالع ١ / ٨٧

ونوالي أبا بكر وعمر – رضي الله عنهما – ونجاهد فيهما لأنهما لم تقتل عليهما الأمة و لم تشك في أمرهما ، ونرجئ من بعدهما فمن دخل في الفتنة فنكل أمرهم إلى الله ، إلى آخر الكلام .معنى الذي تكلم فيه الحسن أنه كان يرى عدم القطع على إحدى الطائفتين المقتتلين في الفتنة يكون مخطئاً أو مصيباً وكان يرى أنه يرجئ الأمر فيها وأما الإرجاء الذي يتعلق بالإيمان فلم يعرج عليه ، فلا يلحقه بذلك عتاب ، والله أعلم [1] .))

---

(١) ابن حجر العسقلاني . تهذيب التهذيب ٢ / ٣٢١

المبحث الثالث

رد ابن عبد البر على المرجئة في تعريفهم للإيمان

يذكر ابن عبد البر – رحمه الله – أدلة المرجئة التي استدلوا بها من الكتاب والسنة ولغة العرب وتفسيراتهم وتأويلاتهم لها ، ثم يرد عليهم في الجملة بأدلة من الكتاب والسنة ، وبأدلة عقلية ، وبما تقتضيه لغة العرب مقرراً مع ذلك عقيدة أهل السنة والجماعة في الإيمان وتعريفهم للإيمان ، فيقول رحمه الله حاكياً عنهم :

« قالوا : إنما الإيمان التصديق والإقرار ، ومنهم من زاد والمعرفة . قالوا : وهو المعروف من لسان العرب ومن السنة المجتمع عليه ، ألا ترى إلى قول الله ﷻ حاكياً عن بني يعقوب عليه السلام : ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴾[1] أي بمصدق لنا[2]))

ويذكر دليلاً آخر من القرآن الكريم وتأويلهم له فيقول :

((واحتجوا أيضاً بقول الله ﷻ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ﴾[3] قال ، ومعلوم أن امتحانهن إياهن ، إنما هو مطالبة لهن بالإقرار بالشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .))[4]

أما الأحاديث التي ذكرها في احتجاجهم بها فهي كثيرة رواها بسنده وهي :

---

(١) الآية ١٧ سورة يوسف

(٢) التمهيد ٩ / ٢٣٨ ، ٢٣٩

(٣) الآية ١٠ سورة الممتحنة

(٤) السابق ٩ / ٢٤٢

١: حديث مالك [١] بن الدخشم وفيه أن رسول الله ﷺ قال :

((وفيه أن رسول الله ﷺ قال : ألا تراه قال لا إله إلا الله يبتغي بها وجه الله ، فقالوا : الله ورسوله أعلم ، أما نحن فوالله ما نرى وجهه وحديثه إلا المنافقين ، فقال ﷺ فإن الله قد حرم النار أن تأكل من قال لا إله إلا الله يبتغي بها وجه الله[٢]))[٣] .

٢: روى بسنده عن رسول الله ﷺ أنه قال :

((لن يوافي عبد يوم القيامة وهو يقول لا إله إلا الله يبتغي بها وجه الله إلا حرمه الله على النار [٤]))[٥]

٣: حديث معاذ بن جبل أن رسول الله ﷺ قال له :

((بشر الناس أنه من قال لا إله إلا الله دخل الجنة [٦]))[٧]

---

(١) هو مالك بن الدخشم بن عوف الأنصاري صحابي شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ .
انظر أسد الغابة ٥ / ١١٦ ، الإصابة ٤ / ٢٠٣

(٢) أخرجه ابن خزيمة في كتابه التوحيد بصيغ مختلفة وهو حديث صحيح على حسب شرطه في مقدمة كتابه ، وصححه محقق الكتاب . حديث رقم ٥١١

(٣) التمهيد ٩ / ٢٣٩

(٤) أخرجه البخاري . كتاب الرقاق ٦٤٢٣ ، ومسلم

(٥) التمهيد ٩ / ٢٤٠

(٦) أخرجه ابن خزيمة في التوحيد ٥٢١

(٧) التمهيد ٩ / ٢٤١

٤: حديث أبي ذر المشهور ؛ فقد روى بسنده عن أبي ذر ﷺ أنه قال :

((قال لي رسول الله ﷺ : ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة ، قلت : وإن زنى وإن سرق ؟ قال : وإن زنى وإن سرق رغم أنف أبي ذر[(١)]))[(٢)]

٥: حديث الأمة السوداء :

روى بسنده عن رسول الله ﷺ أن أحد الصحابة جاء إلى رسول الله ﷺ فقال :

((يا رسول الله إن عليّ رقبة مؤمنة فإن كنت ترى هذه يا رسول الله مؤمنة اعتقها ، قال لها رسول الله ﷺ أتشهدين أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ، قالت : نعم ، قال : اعتقها فإنها مؤمنة[(٣)]))[(٤)]

ثم يذكر رحمه الله أن هذه الأدلة هي ما احتجت به المرجئة مع بيان عقيدتهم في الإيمان ، فقال :

((قالوا : فهذا هو الإيمان المعروف في اللغة وصريح السنة الإقرار والتصديق وأما فرائض الأعمال فلا تسمى إيماناً ، كما لا تسمى الذنوب كفراً ، قالوا : ولما لم تكن المعصية كفراً ، لم تكن الطاعة إيماناً ، هذا يحمله ما عولوا عليه فيما ذهبوا من ذلك إليه[(٥)]))

---

(١) أخرجه البخاري . كتاب اللباس ٥٨٢٧

(٢) التمهيد ٩ / ٢٤١

(٣) أخرجه مسلم كتاب المساجد ٥٣٧

(٤) التمهيد ٩ / ٢٤٢

(٥) السابق ٩ / ٢٤٣

أما ردوده على المرجئة في أن الإيمان قول وعمل فقد رد عليهم بأدلة من القرآن الكريم قائلاً :

((ومن الدلائل على أن الإيمان قول وعمل كما قالت الجماعة والجمهور قول الله ﷻ :

﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ﴾[1] لم يختلف المفسرون أنه أراد صلاتكم إلى بيت المقدس فسمى الصلاة إيماناً ، ومثل هذا قوله :

﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾الآية إلى قوله ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾[2]))[3]

وأما استدلاله من السنة ، فهو قوله ﷺ :

" بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان "[4] .

---

(١)سورة البقرةالآية ١٤٣

(٢)سورة البقرة الآية ١٧٧ والآية بتمامها هي ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾

(٣) التمهيد ٩ / ٢٤٥

(٤) متفق عليه ، أخرجه البخاري ، كتاب الإيمان ٨ ، ومسلم كتاب الإيمان ١٦

وقد كان معاذ بن جبل يقول لأصحابه : تعالوا بنا ساعة نؤمن ، أن نذكر الله ؛ فجعل ذكر الله من الإيمان[1]))[2] .

ويذكر بسنده حديثين يشملان تعريف الإيمان عند أهل السنة وأنه اعتقاد وقول وعمل ؛ ((ومثل هذا حديث طلحة[3] بن عبيد الله أن أعرابياً سأل رسول الله ﷺ عن الإسلام فقال : خمس صلوات .. الحديث[4]))[5] .

وروى بسنده أن رسول الله ﷺ قال لرجل : أسلم ، فكان هذا الحوار بين الرجل والرسول ﷺ حيث قال له الرجل :

---

(١) أخرجه البخاري تعليقاً بصيغة الجزم . كتاب الإيمان ، باب الإيمان وقول النبي ﷺ بني الإسلام على خمس . وانظر الفتح ١ / ٧٠

(٢) التمهيد ٩ / ٢٤٦

(٣) هو الصحابي الجليل طلحة بن عبيد الله التميمي القرشي أحد العشرة المبشرين بالجنة وأحد الثمانية السابقين إلى الإسلام وأحد الستة أصحاب الشورى الذين عينهم عمر ﷺ ، شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ يوم أحد ووقاه السهام بيده حتى شلت يده ، قتل ﷺ يوم الجمل سنة ٣٦ هـ . انظر الاستيعاب والإصابة ت : ٤٢٦٦

(٤) الحديث عن طلحة بن عبيد الله قال :

((جاء رجل إلى رسول الله ﷺ من أهل نجد ثائر الرأس يسمع دوي صوته ولا يفقه ما يقول حتى دنا فإذا هو يسأل عن الإسلام فقال رسول الله ﷺ : خمس صلوات في اليوم والليلة فقال عليّ : غيرها ، قال : لا إلا أن تطوع ، قال رسول الله ﷺ وصيام رمضان ، قال هل عليّ غيره . قال : لا إلا أن تطوع ، قال : وذكر له رسول الله ﷺ الزكاة ، قال هل عليّ غيرها قال : لا إلا أن تطوع ، قال : فأدبر الرجل وهو يقول : والله لا أزيد على هذا ولا أنقص ، قال رسول الله ﷺ : أفلح إن صدق)) . متفق عليه ، أخرجه البخاري ، كتاب الإيمان ٤٦ ، ومسلم كتاب الإيمان ٨

(٥) التمهيد ٩ / ٢٤٦

((وما الإسلام ، قال ﷺ : أن تسلم قلبك لله وأن يسلم المسلمون من لسانك ويدك ، قال : فأي الإسلام أفضل ؟ قال : الإيمان ، قال : وما الإيمان ؟ قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت ، قال : فأي الأعمال أفضل ؟ قال : الهجرة ، قال : وما الهجرة ؟ قال : أن تهجر السوء ، قال : فأي الهجرة أفضل ؟ قال : أن تجاهد المشركين إذا لقيتهم ثم لا تغل ولا تجبن[1].))

وكذلك يورد في معرض استشهاده بالحديث السابق أثراً عن حماد بن زيد وأبي حنيفة وهو حوار بينهما حول مفهوم الإيمان ، فروى بسنده عن حماد بن زيد[2] أنه قال :

((كلمت أبا حنيفة في الأرجاء فجعل يقول وأقول ، فقلت له:حدثنا أيوب عن أبي قلابة ، قال : حدثني رجل من أهل الشام عن أبيه ثم ذكر الحديث سواء إلى آخره ، قال حماد : فقلت لأبي حنيفة ألا تراه يقول : أي الإسلام أفضل قال والإيمان ؟ ثم جعل الهجرة والجهاد من الإيمان . قال فسكت أبو حنيفة ، فقال بعض أصحابه : ألا تجيبه يا أبا حنيفة ، قال : لا أجيبه وهو يحدثني بهذا عن رسول الله ﷺ))[3].

ويقرر ابن عبد البر عقيدة أهل السنة والجماعة في بيان واضح وجلي في أن الإيمان قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح وأن كل أعمال البر من صلاة وزكاة وصيام

---

(١) السابق ٩ / ٢٤٦ ، ٢٤٧

(٢) انظر ترجمته صـــ١٩٣ .

(٣) أخرجه مسلم . كتاب الإيمان ٥٨ .

وبر للوالدين وإطعام للطعام وإفشاء للسلام ، كل ذلك داخل تحت مسمى الإيمان ، وذلك بعد ذكره لحديث الرسول ﷺ :

((الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان[1]))[2] .

يقول رحمه الله :

((وللإيمان أصول وفروع ، فمن أصوله الإقرار باللسان مع اعتقاد القلب بما نطق اللسان من الشهادة بأن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وإن كان كل ما جاء به عن ربه حق من البعث بعد الموت والإيمان بملائكة الله وكتبه ورسله ، وكل ما أحكمه الله في كتابه ونقلته الكافة عن النبي ﷺ من الصلاة والزكاة والصيام والحج وسائر الفرائض بعد هذا .

فكل عمل صالح هو من فروع الإيمان ؛ فبر الوالدين من الإيمان ، وأداء الأمانة من الإيمان ، وحسن العهد من الإيمان ، وحسن الجوار من الإيمان ، وتوقير الكبير من الإيمان ، ورحمة الصغير حتى إطعام الطعام وإفشاء السلام من الإيمان ... وهذا كله يدل على أن الإيمان قول وعمل ، كما قال جمهور أهل العلم بالفقه والحديث[3]))

---

(١) أخرجه مسلم ، كتاب الإيمان ٥٨

(٢) الاستذكار ، ٢٦ / ١٣٢

(٣) السابق ٢٦ / ١٣٢ ، ١٣٣

وينقل بسنده أثراً عن عبد الرازق[1] مستشهداً به في أن الإيمان قول وعمل وأن هذا قول أئمة السلف ، فيقول عن عبد الرازق أنه يقول :

((سمعت من أدركت من شيوخنا وأصحابنا ، سفيان الثوري ، ومعمر بن راشد[2] ومالك بن أنس ، وابن جريح[3] ، وسفيان بن عيينه ، وعبيد الله[4] بن عمر والأوزاعي[5] يقولون :

الإيمان قول وعمل يزيد وينقص ، فقلنا لعبد الرازق : فماذا تقول أنت ؟ قال : أقول كما قالوا وإن لم أقل ذلك فقد ضللت إذاً وما أنا من المهتدين))[6]

---

(١) هو عبد الرازق بن همام بن نافع ، أبو بكر الحميري ، مولاهم الصنعاني ، أحد الأئمة الإثبات صاحب الكتاب المشهور { المصنف } قال عنه الذهبي : الحافظ الكبير عالم اليمن ، ولد سنة ١٢٦هـ ، وتوفي سنة ٢١١هـ . انظر : تهذيب الكمال ١٨ / ٥٢ ، السير ٩ / ٥٦٣ ، التهذيب ٦ / ٣١٠ ، طبقات الحفاظ ص ١٥٤

(٢) هو معمر بن راشد الأزدي البصري ، ثقة ثبت فاضل ، روى عن الزهري ، مات سنة ١٥٤هـ ، انظر الجرح والتعديل ٨ / ٢٥٥ ، السير ٧ / ٥ ، والتهذيب ١٠ / ٢٤٣

(٣) هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريح الأموي مولاهم ، ثقة فقيه فاضل وكان يدلس ويرسل ، قال الذهبي : يدلس وهو في نفسه مجمع على ثقته توفي سنة ١٥٠ هـ ، انظر طبقات ابن سعده ٥ / ٣٩٢ ، تهذيب الكمال ٨ / ٣٣٨ ، الميزان ٢ / ٦٥٩

(٤) هو عبيد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب ، ثقة ثبت ، مات سنة بضع وأربعين ومئة . انظر التهذيب ٧ / ٣٨ ، التقريب ١ / ٥٣٧

(٥) هو الإمام عبد الرحمن بن عمرو بن أبي عمرو الشامي الأوزاعي ، المحدث الفقيه الحافظ ، كان ثقة فاضلاً خيراً كثير الحديث والعلم والفقه ، ولد سنة ٨٨ هـ ، سكن بيروت ومات بها سنة ١٥٧هـ . انظر طبقات بن سعد ٧ / ٤٨٨ ، تهذيب التهذيب ٦ / ٢٣٨، طبقات الحفاظ ص ٧٩

(٦) الاستذكار ٢٦ / ١٣٤

وقد وافق ابن عبد البر رحمه الله أئمة المسلمين من سلفهم وخلفهم في أن الإيمان : اعتقاد وقول وعمل ، اعتقاد بالجنان ، وقول باللسان وعمل بالأركان ؛ فهذا الإمام الشافعي رحمه الله يقول :

((وكان الإجماع من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ومن أدركناهم يقولون :

الإيمان قول وعمل ونية ، لا يجزئ واحد من الثلاث إلا بآخر[1]))

ويقول الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام :

((اعلم رحمك الله أن أهل العلم والعناية بالدين افترقوا في هذا الأمر فرقتين فقالت إحداهما : الإيمان بالإخلاص لله بالقلوب ، وشهادة الألسنة ، وعمل الجوارح .

وقالت الفرقة الأخرى : بل الإيمان بالقلوب والألسنة فأما الأعمال فإنما هي تقوى وبر وليست من الإيمان .

وإذا نظرنا في اختلاف الطائفتين فوجدنا الكتاب والسنة يصدقان الطائفة التي جعلت الإيمان بالنية والقول والعمل جميعاً ، وينفيان ما قالت الأخرى[2]))

---

(١) مجموع الفتاوى ٧ / ٢٠٩ ، اعتقاد أهل السنة للألكائي رقم ١٥٩٣

(٢) أبو عبيد القاسم بن سلام . كتاب الإيمان صـ ٥٣ – ٥٤ ، شرح وتعليق الشيخ الألباني ط / ٢ ، المكتب الإسلامي

ويورد ابن الحنبلي[1] الأدلة من القرآن على أن الإيمان قول وعمل وإن أحدهما لا ينفك عن الآخر فيقول :

((والدلالة أيضاً على أن الإيمان قول وعمل ، قوله تعالى : ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ﴾[2] فأخبر الله أن القول لا يرفع إلا بالعمل ، إذ العمل يرفعه فدل على أن قولاً لا يقترن بالعمل لا يرفع .

وقد قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ﴾[3]
فأخبر أن كل من لا يقترن عمله بقوله بعمله { كذا } فلا حظ له في الجنة .....
وقد قال تعالى : ﴿ وَتِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾[4] وقال أيضاً :﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ (١٤) ﴾[5] فهذه الآيات تدل على أنه لا ينفع أحدهما دون الآخر ؛ فهذه براءة من قول المرجئة وما يتشعب من مذاهبهم وأقاويلهم))[6] .

---

(١) هو عبد الله بن عبد الواحد الأنصاري الشيرازي ويذكر في نسبه الحنبلي نسبة إلى المذهب كان عالماً ديناً زاهداً صاحب عبادة ناصراً لمذهب أهل السنة في البلدان التي نزل فيها كبيت المقدس ودمشق،توفي سنة ٥٣٦هـ رحمه الله انظر طبقات الحنابلة ١٤٢/٩ .

(٢) سورة فاطر الآية ١٠

(٣) سورة الكهف الآية ١٠٧

(٤) سورة الزخرف الآية ٧٢

(٥) سورة الأحقاف الآية ١٤

(٦) ابن الحنبلي . الرسالة الواضحة في الرد على الأشاعرة . تحقيق د. علي الشبل ، مجموعة التحف والنفائس الدولية .

ويؤكد هذا المعنى ابن القيم رحمه الله فيقول في تعريفه للإيمان :

((وهو حقيقة مركبة من معرفة ما جاء به الرسول ﷺ والتصديق به عقداً والإقرار به نطقاً والانقياد له محبة وخضوعاً ، والعمل به باطناً وظاهراً))[١] .

ويقول في موضع آخر :

((وها هنا أصل آخر وهو أن حقيقة الإيمان مركبة في قول وعمل والقول قسمان : قول القلب وهو الاعتقاد ، وقول اللسان وهو التكلم بكلمة الإسلام ، والعمل قسمان : عمل القلب وهو نيته وإخلاصه ، وعمل الجوارح [٢]))

وقد سار على هذا النهج ؛ نهج السلف الصالح علماء الدعوة في الجزيرة العربية وفي مقدمتهم شيخ الإسلام محمد[٣] بن عبد الوهاب رحمه الله حيث قال في الإيمان وتعريفه راداً على من قرر { أن الإيمان محله القلب وأن التقوى ثمرته } .

---

(١) ابن القيم . الفوائد صـ ١١٢ ،تحقيق محمد خليف يوسف،دار التوزيع والنشر الإسلامية ١٤١٩ هـ

(٢) ابن القيم . الصلاة وحكم تاركها صـ ٤٤ ، تحقيق سيد إبراهيم . دار الحديث المصرية ١٤٢٥هـ

(٣) هو الإمام العلامة والداعي إلى الله على بصيرة ومجدد القرن الثاني عشر الهجري الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي ، ولد في العيينة سنة ١١١٥ هـ ونشأ في بيت علم ورئاسة وشرف ؛فأبوه كان فقيهاً قاضياً وجده سليمان كان مفتي بلاد نجد ورئيس علمائها، حفظ الشيخ القرآن صغيراً ، وقرأ الفقه والتفسير والحديث على أبيه وعلماء بلده ، ثم علت به همته فسافر إلى علماء الحرمين وعلماء الإحساء وعلماء البصرة في العراق وأخذ عن كل تمكن من الالتقاء به من علماء عصره وقد عكف الشيخ على دراسة كتب المحققين من أهل العلم وخاصة كتب الشيخين ابن تيمية وابن القيم ، مما زاد في ارتباطه بالسلف ومنهجهم العقدي ، ولما رأى حال مجتمعه من انتشار=

((قولك : إن الإيمان محله القلب ؛ فالإيمان بإجماع السلف محله القلب والجوارح جميعاً كما ذكر الله في سورة الأنفال وغيرها))[1]

ويقول في موضع آخر :

((لا خلاف بين الأمة أن التوحيد لا بد وأن يكون بالقلب الذي هو العلم ، واللسان الذي هو القول ، والعمل الذي هو تنفيذ الأوامر والنواهي ، فإن أخل بشيء من هذا لم يكن الرجل مسلماً ، فإن أقر بالتوحيد ولم يعمل به فهو كافر معاند كفرعون وإبليس وأمثالهما))[2]

ويؤكد ذلك العلامة ابن عثيمين – رحمه الله – في شرحه لتعريف ابن تيمية للإيمان في الشرع وهو (قول وعمل ، قول القلب واللسان وعمل القلب واللسان والجوارح فيقول:

=البدع والخرافات والشرك في العبادة ، باشر الدعوة إلى الله في محاربة الشركيات والدعوة إلى التوحيد الخالص كما أمر به الله ورسوله ﷺ وراسل علماء البلدان وأمراءها وبين لهم ما هم واقعون فيه من مخالفات ، وألف الكتب فاستجاب له الإمام محمد بن سعود رحمه الله ونصر دعوته بالسيف والسنان وكتب الله لهما النصر وللدعوة الانتشار والامتداد والانتشار ، وكان من ثمارها قيام دولة التوحيد وتحكيم الشريعة الغراء ، والتي توالت ولا تزال إلى يومنا هذا ولله الحمد والمنة . توفي الإمام رحمه الله سنة ١٢٠٦هـ . انظر عنوان المجد في تاريخ نجد ١ / ١٣٨ وعلماء نجد خلال ستة قرون للشيخ عبد الله البسام ١ / وما بعدها ، والشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته وفكره للعثيمين صـ ٢٥ وما بعدها وعقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية للشيخ صالح العبود ١ / ١٠٧ وما بعدها

(١) الدرر السنية ١ / ١٨٧

(٢) المصدر السابق ٢ / ١٢٤

((واما قول اللسان فالأمر فيه واضح وهو النطق ، وأما عمله فحركاته وليست هي النطق بل النطق ناشئ عنها غن سلمت من الخرس ، وأما قول القلب فهو اعترافه وتصديقه واما عمله فهو عبارة عن تحركه وإرادته مثل الإخلاص في العمل ، فهذا عمل قلب وكذلك التوكل والرجاء والخوف ، .... وأما عمل الجوارح فواضح ، ركوع وسجود وقيام وقعود ؛ فيكونعمل الجوارح إيماناً شرعاً لأن الحامل لهذا العمل هو الإيمان))[1]

---

(١) ابن عثيمين . شرح العقيدة الواسطية ٢ / ٢٠٥ ، دار ابن الجوزي ط ٢

المبحث الرابع

موقف ابن عبد البر من قول المرجئة في العلاقة بين الإسلام والإيمان

هناك رأيان لأئمة أهل السنة والجماعة في مسألة علاقة الإسلام بالإيمان ؛ فمنهم من قال إن الإسلام هو مرادف للإيمان ، ومنهم من فرّق بين الإسلام والإيمان .

وقد انتصر ابن عبد البر لرأي الفريق الأول ، ووجّه الآيات والأحاديث التي استدل بها إلى الوجهة التي توافق رأيه ، وقد نسب هذا الرأي إلى الإمام مالك ومجاهد[1] وقتادة .

ورأى أن في هذا التوجه رد قوي على غلاة المرجئة الذين يعتبرون أن الإيمان هو مجرد النطق بالشهادتين .

يقول رحمه الله :

((أكثر أصحاب مالك على أن الإسلام والإيمان شيء واحد ، ذكر ذلك ابن بكير في الأحكام ، واحتج بقول الله ﷻ : ﴿ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾[2] أي غير بيت منهم .

قالوا : وأما قوله ﷻ :

(١) هو الإمام شيخ القراء والمفسرين مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكي مولى أبي السائب ، أخذ القرآن والتفسير والفقه عن ابن عباس زأكثر عنه توفي سنة ١٠٢هـ . انظر تهذيب الكمال ١٣٠٦ ، تذهيب التهذيب ٤ / ٢٢ ، طبقات الحفاظ للسيوطي ص ٣٥

(٢) سورة الذاريات الآيتان ٣٥ ، ٣٦

﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا ﴾[1] فأسلمنا هنا بمعنى استسلمنا مخافة السنان والقتل كذلك قال مجاهد وغيره ، قال إسماعيل : والدليل على ذلك في الآية قوله : ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ قال قتادة : ليس كل الأعراب كذلك ؛ لأن الله تعالى قال : ﴿ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ ﴾[2][3]

وروى بسنده حديثين صحيحين مشهورين عند أهل السنة والجماعة يستدلون بهما على التفريق بين الإسلام والإيمان إذا اجتمعا وهما حديثا جبريل وسعد ابن أبي وقاص .

الحديث الأول عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : ((بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبته إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه ثم قال :

---

(١) سورة الحجرات الآية ١٤ والآية كاملة هي ﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ ﴾

(٢) الآية ٩٩ سورة التوبة

(٣) التمهيد ٩ / ٢٤٨

يا محمد أخبرني عن الإسلام ؟ قال : الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً . قال : صدقت ، فعجبنا أن يسأله ويصدقه ، قال فأخبرني عن الإيمان قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره . قال : صدقت ، فعجبنا أنه يسأله ويصدقه . وذكر تمام الحديث(١)))(٢) .

والحديث الثاني عن سعد(٣) بن أبي وقاص ﷺ :

((أن رسول الله ﷺ قسم قسماً ؛ فأعطى قوماً ومنع بعضهم ، قال : فقلت : يارسول الله أعطيت فلاناً وفلاناً ومنعت فلاناً ، والله إني لأراه مؤمناً ، فقال : لا تقل مؤمناً ولكن قل مسلماً(٤)))(٥) .

---

(١) أخرجه مسلم . كتاب الإيمان ٨ وتمام الحديث هو :

((قال فأخبرني عن الإحسان ، قال : أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، قال فأخبرني عن الساعة ، قال : ما المسؤول عنها بأعلم من السائل ، قال : فأخبرني عن أمارتها قال : أن تلد الأَمَة ربتها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان . قال : ثم انطلق . فلبثت ملياً ، ثم قال لي يا عمر : أتدري من السائل ، قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم))

(٢) التمهيد ٩ / ٢٤٨

(٣) هو الصحابي الجليل سعد بن مالك بن أهيب بن عبد مناف القرشي الزهري من المسلمين الأوائل وأحد العشرة المبشرين بالجنة ، ومن فرسان الصحابة وأول من رمي بسهم في سبيل الله ، وأحد الستة أهل الشورى الذين عينهم عمر ، ومن كبار قادة الفتح الإسلامي في عهد الخلفاء الراشدين توفي سنة ٥٦هـ ، انظر : أسد الغابة ٢ / ٣٦٦ ، تهذيب الأسماء واللغات ١ / ٢١٣ ، والإصابة ٤ / ١٦٠

(٤) أخرجه أبو داود في سننه وسكت عنه وقد قال في رسالته لأهل مكة كل ما سكت عنه فهو صالح .

(٥) التمهيد ٩ / ٢٤٩

ولكن ابن عبد البر لم يعلق على الحديثين السابقين بشيء .

وإذا سلمنا لابن عبد البر رحمه الله في رده على المرجئة - وخاصة المغالين منهم — في عدم التفريق بين الإسلام والإيمان وأنهما بمعنى واحد فإننا لا نسلم له في إصراره على أن هذا هو رأي الجمهور حيث يقول :

((وعلى القول بأن الإيمان هو الإسلام جمهور أصحابنا وغيرهم من الشافعيين والمالكين ، وهو قول داود وأصحابه وأكثر أهل السنة والنظر المتبعين للسلف والأثر))[1]

وعند النظر في أقوال السلف رضوان الله عليهم نجد أن من قال بأن معنى الإسلام والإيمان مترادفين هم قليل من أئمة المسلمين منهم سفيان الثوري ذكر ذلك عنه ابن رجب[2] [3] ، والإمام البخاري في صحيحه فقد بوب باباً فقال :

((باب إذا لم يكن الإسلام على الحقيقة وكان على الاستسلام أو الخوف من القتل لقوله تعالى : ﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا ﴾[4] فإذا كان على الحقيقة فهو على قوله جل ذكره :

---

(١) التمهيد ٩ / ٢٥٠

(٢) هو عبد الرحمن بن أحمد بن رجب العلامة المحدث الفقيه صاحب التصانيف النافعة ، قرأ القرآن بالروايات وأكثر عن الشيوخ ، توفي سنة ٧٩٥ هـ . انظر الدرر الكامنة ٢ / ٤٢٨ ، شذرات الذهب ٦ / ٣٣٩ ، الرسالة المستطرفة صـ ١١١

(٣) ابن رجب . جامع العلوم والحكم صـ ٣١ ، مراجعة يوسف الشيخ ، أحمد أبو الشباب ط١ / ١٤٢٢ هـ

(٤) الآية ١٤ سورة الحجرات

﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلاَمُ[1] ﴾[2]

والإمام محمد[3] بن نصر المروزي حيث قال :

((فمدح الله الإسلام بمثل ما مدح به الإيمان ، وجعله اسم ثناء وتزكية ، فأخبر أن من أسلم فهو على نور من ربه وهدى ، وأخبر أنه دينه الذي ارتضاه فقد أحبه وامتدحه ، ألا ترى أن أنبياء الله ورسله رغبوا فيه إليه وسألوه إياه ، فقال إبراهيم خليل الرحمن وإسماعيل ذبيحه : ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ﴾[4] وقال يوسف : ﴿ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾[5] وقال تعالى : ﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ اهْتَدَواْ ﴾[6] وقال في موضع آخر : ﴿ قُولُواْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ ﴾ إلى قوله :

---

(١) الآية ١٩ سورة آل عمران .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الإيمان باب ١٩ .

(٣) هو محمد بن نصر الحجاج المروزي ، أبو عبد الله الحافظ ، قال الحاكم إمام عصره بلا مدافعة ، وقال الذهبي : يقال إنه كان أعلم الأئمة باختلاف العلماء على الإطلاق ، من كتبه (تعظيم قدر الصلاة) و (اختلاف العلماء) توفي سنة ٢٩٤ هـ . انظر تاريخ بغداد ٣ / ٣١٥ ، السير ١٤ / ٣٣ ، النجوم الزاهرة ٣ / ١٦١

(٤) سورة البقرة الآية ١٢٨

(٥) سورة يوسف الآية ١٠١ .

(٦) سورة آل عمران الآية ٢٠ .

﴿ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ آمَنُواْ بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَواْ ﴾ (١)

فحكم الله بأن من أسلم فقد اهتدى،ومن آمن فقد اهتدى؛فسوى بينهما(٢)))وعنون الحافظ بن منده في كتابه الإيمان باباً فقال :((ذكر الأخبار الدالة والبيان الواضح من الكتاب أن الإيمان والإسلام اسمان لمعنى واحد))(٣) ثم ذكر أدلته تحت هذا العنوان .أما القائلون بالفرق بين الإسلام والإيمان فهم جمهور أهل العلم ، بل عامة أهل السنة فممن قال بذلك :

ابن عباس (٤) ، والحسن البصري ، ومحمد بن سيرين(٥) ، الزهري ، وقتاده ، وداود (٦) بن

---

(١) سورة البقرة الآيتان ١٣٦ ، ١٣٧

(٢) المروزي . تعظيم قدر الصلاة ٢ / ٥٢٩ ، ت د . عبد الرحمن الفريوائي ، مكتبة الدار بالمدينة ط١ / ١٤٠٦ هـ

(٣) ابن منده . الإيمان ١ / ٣٢١

(٤) هو الصحابي الجليل ابن عم رسول الله ﷺ عبد الله بن عباس ، حبر الأمة وترجمان القرآن وإمام المسلمين في التفسير ؛ فقد دعا له الرسول ﷺ بأن يعلمه التأويل ويفقهه في الدين ، كانت ولادته قبل الهجرة بثلاث سنين ، وكان مقدماً عند الخلفاء الراشدين ، شهد قتال الخوارج مع علي بن أبي طالب وناظرهم وألزمهم الحجة ، توفي في الطائف سنة ٦٨ هـ ﷺ . انظر الطبقات ٣ / ٦٣٥ ، والاستيعاب ٢ / ٩٣٣ ، والإصابة ٢ / ٣٣٠

(٥) هو محمد بن سيرين أبو بكر الأنصاري ، إمام في العلم والتقوى والورع وكان ذا عبادة توفي سنة ١١٠ هـ رحمه الله . انظر التاريخ الكبير ١ / ٩٠ ، السير ٤ / ٦٠٦ ، تهذيب التهذيب ٩ / ٢١٤

(٦) هو داود بن أبي هند القشيري عالم ثقة متقن ، روى عنه حماد بن زيد وغيره ، توفي سنة ١٤٠هـ ، انظر تاريخ البخاري ٣ / ٢٣١ ، الجرح والتعديل ٣ / ٤١١ ، مشاهير علماء الأمصار ١٥١

أبي هند وحماد بن زيد ومحمد بن عبد الرحمن بن أبي ذئب[1] ، وأحمد بن حنبل ، وأبو جعفر الباقر وعبد الرحمن بن مهدي ، وابن معين [2] ، وأبو خثيمة [3] ، والخطابي [4] ، واللالكائي ، وابن الصلاح [5]،وابن تيمية ، وابن رجب ، وغيرهم [6] .

---

(١) هو محمد بن عبد الرحمن بن أبي ذئب القرشي العامري ، ثقة فقيه فاضل ، كان من عباد المدينة وقرائهم وفقهائهم ، روى عن الزهري وغيره ، توفي سنة ١٥٩ هـ رحمه الله ، انظر الجرح والتعديل ٧ / ٣١٣ ، مشاهير علماء الأمصار صـ ١٤٠ ، طبقات الحفاظ ص ٨٢

(٢) هو يحيى بن معين بن عون الغطفاني ، أبو زكريا البغدادي ، شيخ المحدثين كان من أكثر الأئمة كتابة للحديث ، قال ابن المدني ما أعلم أحداً كتب ما كتب يحيى بن معين ، توفي سنة ٢٣٣ هـ . انظر : التاريخ الكبير ٨ / ٣٠٧ ، الجرح والتعديل ١ / ٣١٤ ، طبقات الحنابلة ١ / ٤٠٢ ، السير ١١ / ٧١ .

(٣) هو أبو خيثمة زهير بن حرب النسائي نزيل بغداد ، ثقة ثبت روى عن وكيع توفي سنة ٢٣٤ هـ . انظر تهذيب الكمال ١ / ٤٣٧ ، العبر ١ / ٤١٦ ، تذهيب التهذيب ١ / ٢٤٠

(٤)هو حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البستي ، أبو سليمان الخطابي الشافعي ، كان إماماً في الحديث واللغة له التأليفات المشتهرة ، من فضلاء الأشاعرة توفي سنة ٣٨٨ هـ . انظر : يتيمة الدهر ٣ / ٣٣٤ ، والمنتظم ٦ / ٣٩٧ ، طبقات الشافعية ٣ / ٢٨٢ ، النجوم الزاهرة ٤ / ١٩٩

(٥) هو تقي الدين أبو عمر عثمان بن المفتي صلاح الدين عبد الرحمن بن عثمان الكردي الشافعي الإمام الحافظ العلامة من كبار الأئمة ، كان بارعاً في الفقه الشافعي وفي الحديث وعلومه . توفي سنة ٦٤٣ هـ . انظر وفيات الأعيان ٣ / ٢٤٣ ، طبقات الشافعية ٨ / ٣٢٦ ، الأعلام ٤ / ٢٠٧

(٦)انظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٤ / ٨٨٩ ، جامع العلوم والحكم صـ ٣١ والإيمان لابن منده صـ ٣١١

ويقول ابن رجب في تعلقيه على قول المروزي وابن عبد البر بعدم التفريق بين الإسلام والإيمان وأنه قول الجمهور :

((فحكاية ابن نصر وابن عبد البر عن الأكثرية التسوية بينهما غير جيد ، بل قد قيل إن السلف لم يرو عنهم غير التفريق[(١)]))

وخلاصة القول في تقرير هذه المسألة ما ذكره ابن رجب في تقرير قاعدة في الأسماء وهي قوله :

((أن من الأسماء ما يكون شاملاً لمسميات متعددة عند إفراده وإطلاقه فإذا قرن ذلك الاسم بغيره صار دالاً على بعض تلك المسميات ، والاسم المقرون به دال على باقيها ، وهذا كاسم الفقير والمسكين ؛ فإذا أفرد أحدهما دخل فيه كل من هو محتاج ، فإذا قرن أحدهما بالآخر دل أحد الاسمين على بعض أنواع ذوي الحاجات والآخر على باقيها ، هكذا اسم الإسلام والإيمان إذا أفرد أحدهما دخل فيه الآخر ، ودل بانفراده على ما يدل عليه الآخر بانفراده ، فإذا قورن بينهما دل أحدهما على بعض ما يدل عليه بانفراه ودل الآخر على الباقي [(١)])) .

(١) ابن رجب . فتح الباري ١ / ١٣٠ ، مكتبة الغرباء الأثرية . المدينة المنورة

(١) ابن رجب . جامع العلوم والحكم صـــ ٣٠ . وانظر الإيمان لابن تيمية ١٥٢ – ١٦١

المبحث الخامس

موقف ابن عبد البر من المرجئة في زيادة الإيمان ونقصانه

لقد استدل ابن عبد البر على زيادة الإيمان ونقصانه بأدلة من الكتاب والسنة ومقولات من أقوال السلف ، ثم يعلق عليها تعليقات جميلة يرد بها على المرجئة الذين يقولون بأنه لا ينفع مع الكفر طاعة كما لا يضر مع الإيمان معصية ؛ فيقول رحمه الله مستدلاً بالقرآن الكريم :

((وأما الآيات التي نزع بها العلماء في أن الإيمان يزيد وينقص فمنها قول الله ﷻ :
﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ [(١)] وقوله : ﴿ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ [(٢)] وقوله:

﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْواهُمْ ﴾ [(٣)] ﴿وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾ [(٤)] ومثل هذا كثير))[(٥)]

ثم يعقب قائلاً :

((وعلى أن الإيمان يزيد وينقص ، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية جماعة أهل الآثار والفقهاء أهل الفتوى بالأمصار))[(٦)]

---

(١) الآية ١٢٤ سورة التوبة
(٢) الآية ١٧٣ سورة آل عمران
(٣) الآية ١٧ سورة محمد
(٤) الآية ١٣ سورة الكهف
(٥) التمهيد ٩ / ٢٥٢
(٦) المصدر السابق ٩ / ٢٥٢

ويذكر رحمه الله أن الإيمان مراتب وأن هذه المراتب تتفاضل فمنها الناقص ومنها الكامل ؛ فيقول معلقاً على الآيات الكريمات في سورة الأنفال :

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾[1]

((والإيمان مراتب بعضها فوق بعض ؛ فليس الناقص فيها كالكامل ، قال الله ﷻ :

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ... الآية﴾أي إنما المؤمنون حق الإيمان من كانت هذه صفته ولذلك قال ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾))[2]

ويورد رحمه الله مجموعة من أحاديث بعد ذكره لآيات الأنفال السابقة معلقاً عليها تعليقات جميلة فيقول :((ومثل هذه الآية في القرآن كثير ، وكذلك قوله ﷺ :

{ المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم }[3] أن هو المؤمن المسلم حقاً . ومن هذا قوله ﷺ :

---

(١) الآيات ٢ ، ٣ ، ٤ من سورة الأنفال

(٢) التمهيد ٩ / ٢٤٤

(٣) أخرجه البخاري بلفظ ((المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه)) كتاب الإيمان / ١٠ ، ولم أقف على الجملة الثانية في الحديث التي رواها ابن عبد البر وهي ((والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم))

{ أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً }(١) ومعلوم معمول ألا يكون هذا أكمل حتى يكون غيره أنقص.وكذلك قوله ﷺ :{أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله }(٢) وقوله :{ لا إيمان لمن لا صلاة له ولا من لا أمانة له }(٣)كل ذلك يدل على أنه ليس بإيمان كامل وأن بعض الإيمان أوثق عروة وأكمل من بعض ، كما قال : { ليس المسكين بالطواف عليكم الحديث }(٤) يريد ليس الطواف بالمسكين حقاً ؛ لأن ثمة من هو أشد مسكنة منه وهو الذي يسأل الناس ويتعفف))(٥) .

---

(١) أخرجه أبو داود باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه رقم ٤٦٨٢، وأحمد في مسنده ٢/٢٥٠ ، والبغوي في شرح السنة ٣٩/١، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير ١ / ٢٦٦

(٢) جزء من حديث أخرجه أحمد ٤ / ٢٨٦ ، وصححه الألباني في صحيح الجامع ١ / ٤٤٧

(٣) لم أقف على جملة(لا إيمان لمن لا صلاة له)خلال بحثي في تخريج هذا الحديث والذي وقفت عليه بلفظ((لا إيمان لمن لا أمانة له،ولا دين لمن لا عهد له)) رواه ابن أبي شيبه في الإيمان رقم (٧) وأحمد ٣ / ١٣٥ وقال الألباني :حديث صحيح وإسناده حسن. انظر الإيمان لابن أبي شيبه صـــ ٥

(٤) أخرجه البخاري بنحوه . كتاب الزكاة ١٤٧٦ ، ومسلم كتاب الزكاة ١٠٣٩ ، والحديث بلفظ مسلم هو ((ليس المسكين بهذا الطواف الذي يطوف على الناس فترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان ، قالوا : فما المسكين يا رسول الله ؟ قال : الذي لا يجد غني يغنيه ولا يفطن له فيتصدق عليه ولا يسأل الناس))

(٥) التمهيد ٩ / ٢٤٤

ويقول – رحمه الله – إن من قال بزيادة الإيمان ونقصانه سائر الفقهاء من أهل الرأي والآثار في مصر والحجاز والعراق والشام ثم يعدد مجموعة من أبرز علماء الإسلام قرروا ذلك .

((وأما سائر الفقهاء من أهل الرأي والآثار بالحجاز والعراق والشام ومصر ؛ منهم مالك بن أنس والليث بن سعد وسفيان الثوري والأوزاعي والشافعي وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وأبو عبيد القاسم بن سلام وداود بن علي وأبو جعفر الطبري ومن سلك سبيلهم فقالوا ... والإيمان يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي)) (١)

وما قرره ابن عبد البر في زيادة الإيمان ونقصانه هو ما قرره علماء الإسلام من أهل السنة والجماعة من القرون الأولى إلى عصرنا الحاضر على مختلف أزمنتهم وأمكنتهم .

يقول الإمام أحمد رحمه الله في ذلك :

---

(١) التمهيد ٢٤٣/٩ .

((أجمع سبعون رجلاً من التابعين وأئمة المسلمين وفقهاء الأمصار على أن السنة التي توفي عليها رسول الله ﷺ .... الإيمان قول وعمل يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية))[1]

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية : ((وأجمع السلف أن الإيمان قول وعمل ، يزيد وينقص[2])) ويقول الشيخ السفاريني[3] :

((والذي اعتمده أئمة الأثر وعلماء السلف أن الإيمان : تصديق بالجنان وإقرار باللسان وعمل بالأركان ، يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان[1])) .

كما يقرر ذلك علماء السنة والمتأخرين والمعاصرين منهم على سبيل المثال العلامة صديق[2] حسن خان ؛ حيث يقول في هذه المسألة بعد ذكر حديث الشعب :

---

(١) ابن الجوزي . مناقب الإمام الإمام أحمد صـــ ٢٢٨

(٢) مجموع الفتاوى ٧ / ٦٧٢

(٣) هو محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي ، محدث فقيه أصولي مؤرخ ، له تصانيف كثيرة توفي سنة ١١٨٨ هـــ . انظر هدية العارفين ٢ / ٣٤٠ ، الأعلام ٦ / ٢٤٠ ، معجم المؤلفين ٨ / ٢٦٢

(١) الإسفراييني . شرح ثلاثيات مسند الإمام أحمد ٢ / ٢١٨ المكتب الإسلامي . بيروت ط٢ / ١٣٩١ هـــ

(٢) هو محمد صديق خان البخاري القنوجي الهندي أبو الطيب ، عالم أمير ، مشارك في أنواع كثيرة من العلوم ، ولد سنة ١٢٤٨ هـــ ، توفي سنة ١٣٠٧ هـــ ، من تصانيفه : فتح البيان في مقاصد القرآن ، والتاج المكلل والإقليد لأدلة الاجتهاد والتقليد وغيرها . انظر معجم المؤلفين ١٠ / ٩٠

((وفي هذا دليل على أن الإيمان فيه أعلى وأدنى وإذا كان كذلك كان قابلاً للزيادة والنقصان[(١)]))

ويقول الشيخ الهراس[(٢)] رحمه الله في شرحه للعقيدة الواسطية :

((ومن ذهب إلى أن الإيمان غير قابل للزيادة أو النقصان فهو محجوج بقوله ﷺ : {الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق}[(٣)]))[(٤)]

---

(١) صديق حسن خان . فتح البيان في مقاصد القرآن ٤ / ٦ مطبعة العاصمة . القاهرة

(٢) هو الشيخ محمد خليل هراس ، ولد رحمه الله عام ١٩١٥ هـ بمحافظة الغربية بمصر وبدأ تعليمه بالأزهر حتى تخرج من كلية أصول الدين عام ١٩٤٠ م ، وكان مرشحاً للرد على الشيخ ابن تيمية ولكن شاء الله أن كتب في الدفاع عنه رسالته للدكتوراه { ابن تيمية السلفي } وهي في كتاب مطبوع ، ثم شغل وظيفة أستاذ بكلية أصول الدين ، ثم طلبه الشيخ ابن باز رحمه الله لكي يدرس العقيدة الإسلامية بمكة المكرمة ؛ فشغل منصب رئيس قسم العقيدة بكلية الشريعة بجامعة أم القرى ، كان رحمه الله سلفي العقيدة ناصراً لها شوكة في حلوق المبتدعة ، وكان يتميز رحمه الله بقوة الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة مما يدل على رسوخه وتمكنه في العلم . له مؤلفات كثيرة منها : شرح النونية لابن القيم ودعوة التوحيد ، وابن تيمية السلفي ، وغيرها . توفي رحمه الله عام ١٩٧٥ م . انظر : النبراس من فتاوى العلامة محمد خليل هراس صـ ٨ ، والشيخ خليل هراس وجهوده في تقرير عقيدة السلف . رسالة ماجستير في جامعة القرى للباحث : موسى بن واصل السلمي ، مقدمة الرسالة .

(٣) سبق تخريجه

(٤) محمد خليل هراس . شرح العقيدة الواسطية صـ ١٤٩ . مطابع الجامعة الإسلامية بالمدينة / ط٧

المبحث السادس

رد ابن عبد البر على من قال إن الطاعات لا تدخل في الإيمان

لقد رد ابن عبد البر على المرجئة في قولهم بأن الطاعات لا تدخل في الإيمان وذلك في تعليقاته على أحاديث الرسول ﷺ في الحياء ، وأوضح - رحمه الله — أن الطاعات تزيد في الإيمان وأن المعاصي تنقص من الإيمان ، وأن الإيمان بضع وسبعون شعبة كما ورد في الحديث .

كما أورد آثاراً عن السلف تذكر أن الحياء من الطاعات وضده قلة الحياء وقلة الحياء من الكفر ، وأن الطاعات تزيد في الإيمان وأن المعاصي تنقص في الإيمان مع استشهاداهم في ذلك بآيات من كتاب الله وأحاديث الرسول ﷺ .

يقول — رحمه الله — معلقاً على حديث الرسول ﷺ أنه مر على رجل وهو يعظ أخاه في الحياء فقال له رسول الله ﷺ : ((دعه ؛ فإن الحياء من الإيمان(١)))(٢)

((ومعنى هذا الحديث — والله أعلم — أن الحياء يمنع من كثير من الفحش والفواحش ويشتمل على كثير من أعمال البر ، وبهذا صار جزءاً وشعبة من الإيمان ؛ لأنه وإن كان غريزة مركبة فإن المستحي يندفع بالحياء عن كثير من المعاصي ، كما يندفع بالإيمان عنها إذا عصمه الله فكأنه شعبة منه ؛ لأنه يعمل عمله ، فلما صار الحياء والإيمان يعملان عملاً واحداً ، جعلا كالشيء الواحد وإن كان الإيمان اكتساباً والحياء غريزة والإيمان شعب

---

(١) أخرجه البخاري : كتاب الإيمان ٢٤ ، ومسلم : كتاب الإيمان ٣٦

(٢) التمهيد ٩ / ٢٣٢

كثيرة))[1]

((فلما كان الحياء والإيمان سببين إلى فعل الخير جُعل الحياء شعبة من الإيمان ؛ لأنه يمنع مثل الإيمان من ارتكاب ما لا يحل ، وما يعد من الفحش والفواحش ، وإن كان الحياء غريزة ، والإيمان فعل المؤمن الموفق له))[2]

ويؤكد – رحمه الله – هذا المعنى في إيراده أحاديث بسنده عن الرسول ﷺ في حسن الخلق وأنه من أكمل الإيمان وأثقل شيء في الميزان يوم القيامة .

وهذه الأحاديث التي رواها عن الرسول ﷺ هي قوله ﷺ :

((إن أكملكم إيماناً أحاسنكم أخلاقاً إذا فقهوا[3]))[4]

وقوله ﷺ : ((أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً [5]))[6]

وقوله ﷺ :((إن أثقل شيء في الميزان خلق حسن والله ﷻ يبغض الفاحش البذيء[7]))[8]

---

(١) المصدر السابق ٩ / ٢٣٢

(٢) المصدر السابق ٢٦ / ١٣٢

(٣) رواه بنحوه الترمذي في سننه وقال حسن صحيح حديث رقم ١١٦٢

(٤) التمهيد ٩ / ٢٣٧

(٥) أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب وصححه الألباني في صحيح الترغيب رقم ٢٦٤٦ ، ٢٦٦٠

(٦) التمهيد ٩ / ٢٣٧

(٧) أخرجه الترمذي وقال حسن صحيح حديث رقم ٢٠٠٢

(٨)التمهيد ٩ / ٢٣٧

وقوله ﷺ : ((ما شيء أثقل في الميزان من الخلق الحسن[١]))[٢]

ويعلق – رحمه الله – على هذه الأحاديث في أن الحياء والخلق الحسن من الطاعات وأعمال البر التي تدخل في الإيمان قائلاً :

((لأن من لا يستحي لا يبالي من العار والمعاصي ما يأتي ، كأن المستحي من أجل حيائه مرتدعاً عن الفواحش والعار والكبائر ، فصار الحياء من الإيمان ؛ لأن الإيمان عند نافع التصديق بالطاعات وأعمال البر ، ولذلك صار الخلق الحسن من كمال الإيمان وتمامه على هذا المعنى ؛ لأن صاحبه يصبر فلا يشفى غيظه بما يسخط ربه ويحلم فـــلا يفحش ، ولا ينتصر بلسان ولا يد ونحو هذا مما لا يخرج عن معنى ما وصفنا))[٣] .

وأورد أثراً عن سعيد بن المسيب يصف فيه قلة الحياء بأنها كفر فيقول :

((وقد روينا عن سعيد بن المسيب أنه قال : قلة الحياء كفر وبعضهم يرفعه عنه))[٤] .

ويروي – رحمه الله – أثراً طويلاً وهو حوار بين مجاهد – رحمه الله – تلميذ ابن عباس

---

(١) سبق تخريجه باختلاف يسير في اللفظ

(٢) التمهيد ٩ / ٢٣٨

(٣) المصدر السابق ٩ / ٢٣٦

(٤) التمهيد ٩ / ٢٣٦

والإمام المعروف وبين مبارك بن حسان ، وهذا الحوار هو ما قصده ابن عبد البر في تقرير عقيدته في أن الطاعات من الإيمان .

يقول – رحمه الله – عن مبارك بن حسان قال :

((قلت لعطاء بن أبي رباح أن في المسجد عمر بن ذر ومسلم النحات وسالم الأفطس قال : وما يقولون ؟ قلت : يقولون من زنى وسرق وشرب الخمر وقذف المحصنات وأكل الربا وعمل بكل معصية أنه مؤمن كإيمان البر التقي الذي لم يعص الله فقال : أبلغهم ما حدثني أبو هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : { لا يقتل القاتل حين يقتل وهو مؤمن ، ولا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ولا يختلس خلسة يشتهر بها وهو مؤمن } قال عطاء : يخلع منه الإيمان كما يخلع المرء سرباله ؛ فإن رجع إلى الإيمان تائباً رجع إليه الإيمان إن شاء الله قال : فذكرت ذلك لسالم الفطس وأصحابه فقالوا : وأين حديث أبي الدرداء وإن زنى وإن سرق.

قال فرجعت إلى عطاء فذكرت ذلك له فقال : قل لهم : أوليس قد قال الله :

﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾[1]

(١) سورة النساء الآية رقم ١١٠

فدخل فيه السارق وغيره ثم نزلت الأحكام والحدود – بعد – فلزمته و لم يعذر في تركها ، وقال الرسول ﷺ : { لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له[1] }، وقال : { الإيمان قيد [2]الفتك فلا يفتك مؤمن }[3]))[4] .

وقد وافق ابن عبد البر – رحمه الله – فيما قرره هنا عقيدة أهل السنة والجماعة في أن الطاعات تدخل في الإيمان ، إلا أنه وجه الأحاديث في ذلك على أنها كانت قبل نزول الفرائض والحدود ، وهذا التوجيه ضعفه كثير من علماء أهل السنة والجماعة ، ويحدثنا ابن رجب – رحمه الله – عن هذا الأمر فيقول معلقاً على الآيات والأحاديث في هذا الموضوع :

((وقد ذهب طائفة إلى أن هذه الحاديث المذكورة أولاً وما في معناها كانت قبل نزول الفرائض والحدود منهم الزهري والثوري وغيرهما ، وهذا بعيد جداً فإن كثيراً منها كان بالمدينة بعد نزول الفرائض والحدود وفي بعضها أنه كان في غزوة تبوك وهي في آخر حياة النبي ﷺ وهؤلاء منهم من يقول في هذه الأحاديث أنها منسوخة ، ومنهم من يقول هي محكمة ، ولكن ضم إليها شرائط ...

---

(١) سبق تخريجه

(٢) الفتك هو القتل بعد الأمان غدراً . انظر : لسان العرب ١٠ / ٥٧١

(٣) أخرجه أبو داود في سننه ٢٧٦٩ وله شواهد يتقوى بها . انظر سير أعلام النبلاء في الهامش ١٧ / ٢٨

(٤) التمهيد ٩ / ٢٥٤

وقد يكون مرادهم بالنسخ البيان والإيضاح فإن السلف كانوا يطلقون النسخ على مثل ذلك كثيراً ويكون مرادهم أن آيات الفرائض والحدود تبين بها توقف دخول الجنة والنجاة من النار على فعل الفرائض واجتناب المحارم فصارت تلك النصوص منسوخة ؛ أي مبينة مفسرة ، ونصوص الحدود والفرائض ناسخة ؛ أي مفسرة لمعنى تلك النصوص وموضحة لها وقالت طائفة تلك النصوص المطلقة قد جاءت مقيدة في أحاديث أخرى ففي بعضها :{ من قال لا إله إلا الله مخلصاً }(١) وفي بعضها { مستيقناً }(٢) وفي بعضها { يصدق لسانه }(٣) وفي بعضها { يقولها حقاً من قلبه }(٤) وفي بعضها { قد ذل بها لسانه واطمأن قلبه }(٥)))(٦). ويؤكد هذا المعنى الشيخ سليمان(٧) بن عبد الله بن محمد

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه ١ / ٢٠٠

(٢) أخرجه مسلم ، كتاب الإيمان ٥٢

(٣) أخرجه ابن خزيمة في التوحيد رقم ٤٤١

(٤) انظر المصدر السابق ص ٢٣٧

(٥) انظر المصدر السابق ص ٢٣٧ وقد وردت بألفاظ متقاربة

(٦) ابن رجب الحنبلي . كلمة الإخلاص وتحقيق معناها ص ٢٦ ، ٢٧ . تخريج وتعليق ، عماد طه فرة ، دار الصحابة للتراث بطنطا ط ١

(٧) هو الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ، فقيه من أهل نجد كان بارعاً في التفسير والحديث والفقه ، له كتابه المشهور تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ولد بالدرعية سنة ١٢٠٠ هـ ، وقتل سنة ١٢٣٣ هـ على يد إبراهيم باشا بعد دخوله الدرعية واستيلائه عليها ، وكان قتله بوشاية عليه فأحضره إبراهيم باشا وأظهر بين يديه آلات اللهو والمنكر إغاظة له ، فلما أنكر عليه قتله رحمه الله . انظر الأعلام للزركلي ٣ / ١٢٩ ، وعلماء نجد للبسام ٢ / ٣٤١

بن عبد الوهاب بأن لا إله إلا الله سبب في دخول الجنة ولكن إذا استجمعت شروطها وانتفت موانعها فيقول – رحمه الله – :

((وحاصلة أن لا إله إلا الله سبب لدخول الجنة والنجاة من النار ومقتضى لذلك ، ولكن المقتضي لا يعمل عمله إلا باستجماع شروطه وانتفاء موانعه ، فقد يتخلف عنه مقتضاه لفات شرط من شروطه أو لوجود مانع ، ولهذا قيل للحسن إن ناساً يقولون : من قال لا إله إلا الله دخل الجنة ، فقال : من قال لا إله إلا الله فأدى حقها وفرضها للجنة .

وقال وهب[1] بن منبه لمن سأله : أليس لا إله إلا الله مفتاح الجنة ؟ قال نعم : وإلا لم يفتح[2] ، ويدل على ذلك أن الله رتب دخول الجنة على الإيمان والأعمال الصالحة وكذلك النبي ﷺ كما في الصحيحين عن أبي أيوب[3] أن رجلاً قال :

---

(١) هو وهب بن منبه بن كامل بن سيبح النباري الصنعاني ، تابعي ثقة وهو إخباري قصصي ، وكانت غزارة علمه في الإسرائيليات، وكان ذا عبادة وزهد ، ولي قضاء صنعاء ، توفي سنة ١١٠ هـ . انظر التاريخ الكبير ٨ / ١٦٤ ، الجرح والتعديل ٩ / ٢٤ ، تهذيب الأسماء واللغات ٢ / ١٤٩

(٢)أخرجه ابن حجر في المطالب العالية ٣ / ٢٥٤ وقال إسناده حسن موقوف

(٣) هو أبو أيوب الأنصاري الخزرجي ، صحابي جليل خصه الرسول ﷺ بالنزول عنده في بيته عند مقدمه من مكة حتى بنى ﷺ حجراته ، شهد أبو أيوب المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ، توفي ﷺ في حصار المسلمين للقسطنطينية سنة ٥٢ هـ ودفن هناك ﷺ . انظر : الطبقات ٣ / ٤٨٤ ، أسد الغابة ٢ / ٩٤ ، الإصابة ٣ / ٥٦

{ يا رسول أخبرني بعمل يدخلني الجنة فقال : تعبد الله ولا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصل الرحم[1] }[2]))

وكذلك يقول المعنى نفسه الشيخ حافظ الحكمي رحمه الله في كتابه معارج القبول[3].

---

(١) متفق عليه . أخرجه البخاري كتاب الزكاة ١٣٩٦ ، ومسلم كتاب الإيمان ح ١٤

(٢) سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ، تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ص ٩٠ ، ٩١ . ط ٦ المكتب الإسلامي ١٤٠٥ هـ

(٣) حافظ الحكمي ، معارج القبول ٢ / ٥٢٨ ، تحقيق محمد صبحي حلاق ،دار ابن الجوزي ط ١

المبحث السابع

موقف ابن عبد البر من المرجئة في الاستثناء في الإيمان

لم يذكر ابن عبد البر الاستثناء في الإيمان ذكراً مستقلاً ، إنما أورده في أثر عن مجموعة من أئمة السلف ، يفهم منه الاستثناء في الإيمان وهذا الأثر أورده في كتابيه التمهيد والاستذكار ، وهو بسنده عن عبد الرزاق قال :

((وكان معمر ومالك وابن جريح وسفيان الثوري يكرهون أن يقولوا : أنا مستكمل الإيمان على إيمان جبريل وميكائيل))[1] .

وهذا القول الذي ذكره ابن عبد البر عن هؤلاء الأئمة يقصد به الاستثناء من الإيمان المطلق وهو وجه من أوجه خمسة ذكرها السلف – رحمهم الله – في الاستثناءات في الإيمان وقد لخصها شيخ الإسلام ابن تيمية فقال :

((فمن قال : أنا مؤمن – إن شاء الله – ، وهو يعتقد أن الإيمان فعل جميع الواجبات وأن لا يكون قائماً بها فقد أحسن ولهذا كان الصحابة يخافون النفاق على أنفسهم ، قال ابن أبي مليكة أدركت ثلاثين من أصحاب محمد ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه .

ومن اعتقد أن المؤمن المطلق هو الذي يستحق الجنة فاستثنى خوفاً من سوء الخاتمة فقد أصاب ، وهذا معنى ما يروى عن ابن مسعود أنه قيل له : عن رجل أنت مؤمن ، فقال : نعم ، فقيل له : أنت من أهل الجنة ، فقال : أرجو ، فقال : هلا وكل الأولى كما وكل الثانية .

---

(١) الاستذكار ٢٦ / ١٣٤ ، والتمهيد ٩ / ٢٥٣

ومن استثنى خوفاً من تزكية نفسه ، أو مدحها ، أو تعليق الأمور بمشيئة الله فقد أحسن ، ومن جزم بما يعلمه في نفسه من التصديق فهو مصيب))[1] .

(١) ابن تيمية مجموع الفتاوى ٧ / ٥٨١ ، وانظر : زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه د . عبد الرزاق عبد المحسن البدر ص ٤٦١ وما بعدها .

المبحث الثامن

رد ابن عبد البر على من لم يفرق بين الكفر والذنب

يورد ابن عبد البر – رحمه الله – أدلة عقلية ونقلية في التمييز بين الكفر والذنب[1] ومستشهداً بإجماع السلف رضوان الله عليهم في منهجهم وتطبيقاتهم للآيات والأحاديث في هذه القضية ، فيقول – رحمه الله – :

((وأهل الذنوب عندهم مؤمنون غير مستكملي الإيمان من أجل ذنوبهم ، وإنما صاروا ناقصي الإيمان بارتكابهم الكبائر ، ألا ترى إلى قول الرسول ﷺ : { لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن }[2] يريد مستكمل الإيمان ، ولم يرد به نفي جميع الإيمان عن فاعل ذلك ، بدليل الإجماع على توريث الزاني والسارق وشارب الخمر – إذا صلوا للقبلة وانتحلوا دعوة الإسلام – من قرابتهم المؤمنين الذين بتلك الأحوال وفي إجماعهم على ذلك مع إجماعهم على أن الكافر لا يرث المسلم أوضح الدلائل على صحة قولنا أن مرتكب الذنوب ناقص الإيمان بفعله ذلك وليس بكافر كما فعلت الخوارج في تكفيرهم المذنبين ، وقد جعل الله في ارتكاب الكبائر حدوداً جعلها كفارة وتطهيراً كما جاء في حديث عبادة[3] عن النبي ﷺ فمن واقع منها شيئاً – يعني من الكبائر – وأقيم عليه الحد فهو له كفارة ومن لا فأمره إلى الله إن شاء غفر له وإن شاء عذبه وليس هذا حكم الكافر ؛ لأن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء))[4].

---

(١) انظر تفصيل ذلك المبحث الرابع في الفصل الأول

(٢) سبق تخريجه

(٣) هو الصحابي الجليل عبادة بن الصامت النصاري ، أحد نقباء الأنصار ، شهد بدراً وكل المشاهد مع رسول الله ﷺ ، أرسله عمر ﷺ مع نفر من الصحابة إلى الشام ليعلموا الناس الدين ويقرئوهم القرآن ، توفي ﷺ بالرملة وقيل ببيت المقدس ٣٤ هـ ، انظر : الاستيعاب ٢ / ٧٠٨ ، أسد الغابة ٣ / ١٦٠ ، الإصابة ٥ / ٣٧٢

(٤) التمهيد ٩ ص ٢٤٣ – ٢٤٤

الفصل الرابع

موقف ابن عبد البر من الجهمية والمعتزلة

المبحث الأول

بيان ابن عبد البر أن الجهمية والمعتزلة أصحاب بدع وأهواء وضلالات

إن منهج ابن عبد البر رحمه الله في أسماء الله وصفاته هو منهج أهل السنة والجماعة وذلك في إثبات ما أثبته الله تعالى لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ ونفي ما نفاه عن نفسه أو نفاه عنه رسوله ﷺ ، إثباتاً من غير تمثيل وتتريهاً من غير تعطيل على حد قوله تعالى :

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[1] .

وقد ناقش ابن عبد البر الجهمية والمعتزلة مناقشة طويلة في نفيهم وتعطيلهم للصفات — فيما يأتي ذكره في المباحث التالية — ووصفهم بأنهم أهل بدع وأنهم مخالفون لما عليه صريح القرآن والسنة وأنهم يأخذون بالمجاز في الصفات الإلهية ، ويجادلون في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير .

يقول — رحمه الله — :

((أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة والإيمان بها وحملها على الحقيقة لا على المجاز ، إلا أنهم لا يكيفون شيئاً من ذلك ولا يحدون فيه صفة محصورة ، وأما أهل البدع والجهمية والمعتزلة كلها والخوارج ، فكلهم ينكرها ، ولا يحمل منها شيئاً على الحقيقة ، ويزعمون أن من أقرها مشبه ، وهم عند من أثبتها نافون

(١)الآية ١١ سورة الشورى

للمعبود ، والحق فيما قاله القائلون بما نطق به كتاب الله وسنة رسوله وهم أئمة الجماعة والحمد لله[1])) .

وأورد أثراً عن عبد الله بن المبارك[2] وهو قوله :

((إنا لنحكي كلام اليهود والنصارى ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهمية[3]))[4].

ونهى رحمه الله عن الخوض والجدال في صفات الله وأسمائه وأن الحق في ذلك هو ما وصفه الله به نفسه أو وصفه به رسوله أو أجمعت الأمة عليه فيقول :

((ونهى السلف رحمهم الله عن الجدال في الله جل ثناؤه في صفاته وأسمائه لأن الله عز وجل لا يوصف عند الجماعة أهل السنة إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسول الله ﷺ أو أجمعت الأمة عليه ، وليس كمثله شيء فيدرك بقياس أو إمعان نظر ، وقد نهينا عن التفكر في الله وأمرنا بالتفكر في خلقه الدال عليه[5]))

---

(١) التمهيد ٧ / ١٤٥

(٢) هو العلامة أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك المروزي ، سمع عدداً من التابعين وحّدث عنه خلائق من الناس وهو معروف بالحفظ والفقه والعلم والزهد والكرم والشجاعة . ولد ١١٨هـ وتوفي ١٨١هـ وهو عائد من الغزو بهيت على الفرات . انظر طبقات ابن سعد ٧ / ٣٧٢ ، الجرح والتعديل ٥ / ١٧٩ ، حلية الأولياء ٨ / ١٦٢ .

(٣) رواه البخاري في خلق أفعال العباد وصححه محقق الكتاب ص ٢٥ .

(٤) التمهيد ٧ / ١٤٣

(٥) جامع بيان العلم وفضله ٢ / ٩٢

وما أورده الإمام ابن عبد البر هو موافق لما ذكره علماء أهل السنة عن الجهمية والمعتزلة ، وأنهم أصحاب بدع وضلالات ينفون ويعطلون أسماء الله وصفاته ، وكانوا يحذرون منهم ويردون عليهم بالتأليف تارة وبالمناظرة[1] تارة لعظم خطرهم وكثرة شرورهم ، ومن هذه المقالات التي ذكرت بدعهم وحذرت منهم قول الإمام الدارمي[2] في أن مقولات الجهمية هي كفر وليست كمقالات الفرق الأخرى ، حيث قال :

((لما أن هذه الفرق لم يكفرهم العلماء بشيء من اختلافهم والمريسي وجهم وأصحابهما يكفرهم أهل الفرق ، لم يشك أحد منهم في إكفارهم ..... وكتب إلى علي بن خشرم أن ابن المبارك كان يخرج الجهمية من عداد المسلمين وسمعت يحيى بن يحيى وأبا توبة وعلي بن المديني يكفرون الجهمية ومن يدعي أن القرآن مخلوق))[3].

---

(١) كتب السلف في الرد على أهل البدع أكثر من أن تحصى منها على سبيل المثال مع ذكر مؤلفاتهم الإمام البخاري وكتابه خلق أفعال العباد ، الحافظ بن أبي عاصم وكتابه السنة ، عبد الله ابن الإمام أحمد وكتابه السنة ، الخلال وكتابه السنة ، والإمام أحمد وكتابه الرد على الجهمية والدارمي وكتابه الرد على الجهمية وكتابه الآخر الرد على المريسي وابن بطةوكتابه الأبانة وغيرها كثير .

(٢) هو الحافظ الحجة أبو سعيد عثمان بن سعيد الدارمي ، محدث هراة جالس الإمام أحمد ويحيى بن معين وعلي بن المديني وغيرهم ، صنف في الحديث والرد على الجهمية ، ولد ٢٠٠هـ وتوفي ٢٨٠هـ ، انظر الجرح والتعديل ٦ / ١٥٣ ، طبقات الشافعية ٢ / ٣٠٥ ، الأعلام ٤ / ٢٠٥

(٣) الدارمي . رد الإمام الدارمي عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد ص ٥ تحقيق : محمد حامد الفقي . مكتبة ابن تيمية .

ويقول الإمام ابن سريج البغدادي[1] في صفات الله تعالى :

((اعتقادنا فيه وفي الآي المتشابهة في القرآن أن نقبلها ولا نردها ولا نتأولها بتأويل المخالفين ولا نحملها على تشبيه المشبهين ، لا نزيد عليها ولا ننقص منها ، ولا نفسرها ولا نكيفها ولا نترجم عن صفاته بلغة غير العربية ..

ونفسر الذي فسره النبي ﷺ وأصحابه والتابعون والأئمة المرضيون من السلف المعروفين بالدين والأمانة .

ونجمع على ما اجتمعوا عليه ، ونمسك عما أمسكوا عنه ونسلم الخبر لظاهره والآية لظاهر تنزيلها ، لا نقول بتأويل المعتزلة والأشعرية والجهمية والملحدة والمجسمة والمشبهة والكرامية والمكيفة بل نقبلها بلا تأويل ونؤمن بها بلا تمثيل))[2] .

ويقول الإمام ابن خزيمة[3]- رحمه الله - :

---

(١) هو الإمام فقيه العراقيين أبو العباس أحمد بن عمر بن سريج البغدادي ، صاحب علم وفقه تتلمذ على يد كثير من الأعلام ومنهم الحسن بن محمد الزعفراني تلميذ الشافعي ، توفي سنة ٣٠٣ هـ : انظر تاريخ بغداد ٤ / ٢٨٧ ، طبقات الشافعية للسبكي ٣ / ٢١ ، طبقات الشافعية للأسنوي ٢ / ٢٠

(٢) أبو العباس بن سريج . جزء فيه أجوبة في أصول الدين ٥٥ ، ٨٦ تحقيق / وليد العلي دار البشائر . بيروت ط١ ١٤٢٧هـ

(٣) هو محمد بن اسحاق بن خزيمة الحافظ الحجة شيخ الإسلام إمام الأئمة ولد سنة ٢٢٣ هـ ، حدث عنه البخاري ومسلم في غير الصحيحين وله كتابه المشهور (التوحيد) توفي سنة ٣١١ هـ . انظر الجرح والتعديل ٧ / ١٩٦ والمنتظم ٦ / ٨٤ ، وتذكرة الحفظ ٢ / ٧٢٠

((فنحن وجميع علمائنا من أهل الحجاز وتهامة واليمن والعراق والشام ومصر مذهبنا : أنا نثبت لله ما أثبته لنفسه ، نقر بذلك بألسنتنا ونصدق بذلك بقلوبنا من غير أن نشبه وجه خالقنا بوجه أحد من المخلوقين ، وعز ربنا عن أن نشبهه بالمخلوقين ، وجل ربنا عن مقالة المعطلين ، وعز أن يكون عدماً كما قاله المبطلون ؛ لأنه ما لا صفة له تعالى الله عما يقول الجهميون الذين ينكرون صفات خالقنا ، الذي وصف بها نفسه في محكم تنزيله وعلى لسان نبيه محمد ﷺ))[1] .

ويقول أبو يعلي محمد بن الحسين الفراء :

((واعلم أنه لا يجوز رد الأخبار على ما ذهب إليه جماعة من المعتزلة ، ولا التشاغل بتأويلها على ما ذهب إليه الأشعرية والواجب حملها على ظاهرها وأنها صفات لله تعالى لا تشبه سائر الموصوفين بها من الخلق ، ولا نعتقد التشبيه فيها ، لكن على ما روى عن شيخنا وإمامنا أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل وغيره من أئمة أصحاب الحديث أنهم قالوا في مثل هذه الأخبار :

أمروها كما جاءت فحملوها على ظاهرها في أنها صفات لله تعالى لا تشبه سائر الموصوفين .))[2].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية عن الجهمية وأنها من أعظم البدع في الإسلام :

---

(١)ابن خزيمة . التوحيد ص ١٨ ، تخريج وتعليق عبد الله بن عامر ، دار الحديث بالقاهرة طبعة ١٤٢٣ هـ

(٢) أبو يعلي الفراء . إبطال التأويلات لأخبار الصفات . ١ / ٤٣ تحقيق محمد النجدي مكتبة دار الذهبي . الكويت ط ١ / ١٤١٠هـ .

((فإن التجهم والرفض هما أعظم البدع أو من أعظم البدع التي حدثت في الإسلام ، ولهذا كانت الزنادقة المحضة مثل الملاحدة من القرامطة ونحوهم إنما يستترون بهذين : بالتهم والتشيع))[1] .

(١) ابن تيمية التسعينية ١ / ٢٥٩ ، تحقيق محمد بن إبراهيم العجلان . مكتبة المعارف بالرياض ط ١ ، ١٤٢٠ هـ

المبحث الثاني

رد ابن عبد البر على من عطل الصفات الإلهية في الجملة

لقد أنكر ابن عبد البر رحمه الله على الذين يعطلون صفات الله ، وأورد الأدلة النقلية والأدلة العقلية التي تدحض حجتهم وشدد على أن النجاة كل النجاة في اتباع السلف من الصحابة والتابعين وتابعيهم ، وفهم نصوص الكتاب والسنة خاصة فيما يتعلق بالصفات الإلهية على ظاهرها من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل ، وعاب على الجهمية والمعتزلة ومن على شاكلتهم أفهامهم السقيمة التي لا تستند لرأي صريح ولا لخبر صحيح ، يقول رحمه الله في ذلك :

((وما غاب عن العيون فلا يصفه ذوو العقل إلا بخبر ، ولا خبر في صفات الله إلا ما وصف نفسه به في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ، فلا نتعدى ذلك إلى تشبيه أو قياس أو تمثيل أو تنظير ، فإنه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير))(١) .

ويروي أثراً عن الإمام أحمد أن سائلاً سأله في بعض الصفات الإلهية فقال :

((قلت لأحمد بن حنبل : ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر إلى السماء الدنيا أليس تقول بهذه الأحاديث ؟

ويرى أهل الجنة ربهم ، وبحديث لا تقبحوا الوجوه فإن الله خلق آدم على صورته ، واشتكت النار إلى ربها حتى يضع الله فيها قدمه ، وأن موسى عليه السلام لطم ملك الموت صلوات الله عليه . قال أحمد :

---

(١) التمهيد ٧ / ١٤٥

كل هذا صحيح ، وقال إسحاق : كل هذا صحيح ، ولا يدعه إلا مبتدع أو ضعيف الرأي))[1] .

ثم علق على ذلك قائلاً :

((الذي عليه أهل السنة وأئمة الفقه والأثر في هذه المسألة وما أشبهها الإيمان بما جاء عن النبي ﷺ فيها والتصديق بذلك وترك التحديد والكيفية في شيء منه))[2] .

وروى بسنده أثراً عن سفيان بن عيينة[3] أن سائلاً سأله فقال :

((حديث عبد الله : إن الله عز وجل يجعل السماء على إصبع[4] ، وحديث أن قلوب بني آدم بين إصبعين من أصابع الرحمن[5] وأن الله يعجب أو يضحك ممن يذكره في الأسواق، وأنه ﷻ يترل إلى السماء الدنيا كل ليلة[6] ونحو هذه الأحاديث فقال :

((هذه الأحاديث نرويها ونقر بها كما جاءت بلا كيف[7]))

---

(١) المصدر السابق ٧ / ١٤٧

(٢) المصدر السابق ٧ / ١٤٧

(٣) هو سفيان بن عيينة بن أبي عمران الهلالي أبو محمد الكوفي ثقة ثبت كان صاحب سنة واتباع ، قال عنه الشافعي : لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز ، مات سنة ١٩٨هـ . انظر : تهذيب الكمال ١١ / ١٧٧ — ١٧٨ ، السير ٨ / ٤٥٤ ، تهذيب التهذيب ٤ / ١١٧

(٤) أخرجه البخاري ، كتاب التفسير ٤٨١١ ، ومسلم كتاب القيامة ٢٧٨٦

(٥) أخرجه مسلم ، كتاب القدر ٢٦٥٤

(٦) أخرجه البخاري ، كتاب التهجد ١١٤٥ ، ومسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها ٧٥٨

(٧) التمهيد ٧ / ١٤٨

وأورد أثراً عن الإمام مالك رحمه الله فيه أسئلة عن أحاديث كالأحاديث السابقة راوياً عنه فقال :

((فأنكر ذلك إنكاراً شديداً ، ونهى أن يحدث به أحداً ، وإنما كره ذلك مالك خشية الخوض في التشبيه بكيف ها هنا[1]))

كما روى الأثر المشهور عن مالك حينما سأله السائل فقال له :

((يا أبا عبد الله – الرحمن على العرش استوى – كيف استوى ؟ قال :

سألت عن غير مجهول ، وتكلمت في غير معقول . إنك امرؤ سوء ، أخرجوه ، فأخذوا بضبعيه فأخرجوه[2]))[3] .

ثم يعلق ابن عبد البر على الأثر السابق محذراً من التكييف والتأويل ، وحاثاً على الإيمان بما جاءت به النصوص من غير تكلف في تفسيرها قائلاً :

((والنجاة من هذا الانتهاء إلى ما قال الله عز وجل ووصف به نفسه بوجه ويدين وبسط واستواء وكلام فقال : ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ﴾[4]

---

(١) المصدر السابق ٧ / ١٥٠

(٢) الأثر ثابت عن الإمام مالك بصيغ مختلفة وصححه الذهبي في كتاب العرش رقم ١٥٦ ، ١٥٧

(٣) التمهيد ٧ / ١٥١

(٤)سورة البقرة الآية ١٥

وقال : ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ (1) وقال : ﴿ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾ (2) وقال : ﴿ الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴾ (3) فليقل قائل بما قال الله ولينته إليه ولا يعدوه ولا يفسر ولا يقول كيف ، فإن ذلك الهلاك ؛ لأن الله كلف عبيده الإيمان بالتنزيل و لم يكلفهم الخوض في التأويل الذي لا يعلمه غيره (4)))

ويوضح ابن عبد البر أن الله تعالى لم يتعبد الرعيل الأول من الصحابة ولا من دخل في الإسلام في الخوض في الصفات والأجسام والحركة والسكون وشقشقة المتكلمين ، إنما أمرهم الله بالإيمان به وبرسله ، ولذلك امتدحهم الله وزكاهم وقدمهم .

يقول في ذلك :

((الذي أقول : إنه من نظر إلى إسلام أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة وسعد وعبد الرحمن وسائر المهاجرين والأنصار ، وجميع الوفود الذين دخلوا في دين الله أفواجاً ، علم

---

(1)سورة المائدة الآية ٦٤

(2)سورة الزمر الآية ٦٧

(3)سورة طه الآية ٥

(4) التمهيد ٧ / ١٥١

أن الله ﷻ لم يعرفه واحد منهم إلا بتصديق النبيين بأعلام النبوة ودلائل الرسالة ، لا من قبل حركة ولا من باب الكل والبعض ، ولا من باب كان ويكون ، ولو كان النظر في الحركة والسكون عليهم واجباً وفي الجسم ونفيه والتشبيه ونفيه لازماً ما أضاعوه ولو أضاعوا الواجب ، ما نطق القرآن بتزكيتهم وتقديمهم ، ولا أطنب في مدحهم وتعظيمهم ولو كان ذلك من عملهم مشهوراً أو من أخلاقهم معروفاً لاستفاض عنهم واشتهروا به كما شهروا بالقرآن والروايات .))[1].

ولقد وافق ابن عبد البر أئمة الإسلام وأعلامهم في ردهم على من عطل صفات الله ، ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حيث يقول :

((وأصل دين المسلمين أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه في كتبه وبما وصفته به رسله ، من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل ، بل يثبتون له تعالى ما أثبته لنفسه ، وينفون عنه ما نفاه عن نفسه ، ويتبعون في ذلك أقوال رسله ، ويجتنبون ما خالف أقوال الرسل ، كما قال الله تعالى : ﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾[2] أي عما يصفه الكفار المخالفون للرسل ﴿ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴾ [3] لسلامة ما قالوه من النقص والعيب ، ﴿ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [4] .

---

(١) المصدر السابق ١٥٢

(٢)سورة الصافات الآية ١٨٠

(٣)سورة الصافات الآية ١٨١

(٤)سورة الصافات الآية ١٨٢

فالرسل وصفوا الله بصفات الكمال ونزهوه عن النقائص المناقضة للكمال ، ونزهوه عن أن يكون له مثل من شيء من صفات الكمال ، وأثبتوا له صفات الكمال على وجه التفضيل ، ونفوا عنه التمثيل ، فأتوا بالإثبات مفصل ونفي مجمل فمن نفى عنه ما أثبته لنفسه من الصفات كان معطلاً ، ومن جعلها مثل صفات المخلوقين كان ممثلاً ، والمعطل يعبد عدماً والممثل يعبد صنماً وقد قال تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ وهو رد على الممثلة ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[1] وهو رد على المعطلة [2])) .

ويعلق الإمام الذهبي[3] رحمه الله معلقاً على قول ابن عبد البر رحمه الله قائلاً :

((أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة في الكتاب والسنة وحملها على الحقيقة لا على المجاز ، إلا أنهم لم يكيفوا شيئاً من ذلك ....

(١) سورة الشورى الآية ١١

(٢) ابن تيمية . الجواب الصحيح ٤ / ٤٠٥ ت. علي حسن ناصر وزملاؤه . دار العاصمة ط١ ١٤١٤هـ وانظر بيان تلبيس الجهمية ١ / ٣٣٥ ، ودرء تعارض العقل والنقل ٥ / ٤٤

(٣) هو الإمام محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز التركماني الدمشقي الشافعي الذهبي ، علم من أعلام أهل السنة والجماعة ألف مصنفات متنوعة أهمها في علوم الحديث ومسائل العقيدة وكتبه مشهورة ومنتشرة ، ولد سنة ٦٧٣هـ وتوفي سنة ٧٤٨هـ . انظر ترجمته . طبقات الشافعية ٩ / ١٠٠ ، الوافي بالوفيات ٢ / ١٦٣ ، ونكت الهميان ٢٤١ ، وفوات الوفيات ٣ / ٣١٥ ، الدرر الكامنة ٣ / ٣٧٣ ، وانظر كتاب د . بشار عواد . الذهبي ومنهجه في كتابه تاريخ الإسلام .

صدق والله فإن من تأول سائر الصفات وحمل ما ورد منها على مجاز الكلام أداه ذلك السلب إلى تعطيل الرب وأن يشابه المعدوم كما نقل عن حماد بن زيد[1] أنه قال :

مثل الجهمية كقوم قالوا : في دارنا نخلة ، قيل : لها سعف ؟ قالوا : لا ، قيل : فلها كرب ؟ قالوا : لا ، قيل : لها رطب وقنو ؟ قالوا : لا ، قيل فلها ساق ؟ قالوا : لا . قيل : فما في داركم نخلة))[2].

وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي عن المعطلة الذين اتخذوا المجاز وسيلة لتعطيل صفات الله :

((وبهذا الباطل توصل المعطلون إلى نفي صفات الكمال والجلال الثابتة لله تعالى في كتابه وسنة نبيه ﷺ بدعوى أنها مجاز ؛ كقولهم في استوى : استولى ، وقس على ذلك غيره

من نفيهم للصفات عن طريق المجاز))[3] .

---

(١) هو حماد بن زيد بن درهم الأزدي الجهضمي مولاهم ، أحد كبار أئمة الحديث ، ولد بالبصرة سنة ٩٨ هـ ومات بها سنة ١٧٩هـ . انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ٧ / ٢٨٦ الجرح والتعديل ١ / ١٧٦ – ١٨٣ ، تهذيب التهذيب ٣ / ٩ – ١١ .

(٢) العلو للإمام الذهبي ٢ / ١٣٢٦ . ت د. عبد الله صالح البراك . دار الوطن . ط ١ ، ١٤٢٠هـ

(٣) الشيخ محمد الأمين الشنقيطي . المذكرة في أصول الفقه على روضة الناضر ص ٥٨ ، دار القلم بيروت . لبنان .

المبحث الثالث

رد ابن عبد البر على الجهمية والمعتزلة في تعطيلهم الصفات

تناول ابن عبد البر – رحمه الله – أربع صفات إلهية نفتها أو أولتها الجهمية والمعتزلة ومن شاكلهم من أهل البدع ، ورد عليهم ردوداً قوية بالأدلة النقلية والحجج العقلية والنقولات اللغوية التي وردت في كلام العرب وأشعارها .

وكان في رده يسمي الفرقة أحياناً فيقول وقالت المعتزلة ... أو وقالت الجهمية ... ، وأحياناً لا يسمي فرقة بعينها ، بل يورد أقوالهم ثم يرد عليها ، وأحياناً يقول : وقالت المبتدعة أو وقال أهل البدع ، ثم يذكر أقوالهم وأحياناً يبين عقيدة أهل السنة ويقول مثلاً – وأما أهل السنة فيقولون كذا ... وهي واضحة في سياق كلامه أن المقصود بذلك هو الرد على الجهمية والمعتزلة .

أما الصفات الإلهية التي رد على المعتزلة والجهمية فيها أقوالهم وشبهاتهم فهي :

١) صفة العلو .

٢) صفة الاستواء .

٣) صفة النزول .

٤) صفة الكلام .

٥) إضافة إلى رؤية الرب تبارك وتعالى يوم القيامة .

إن صفتي العلو والاستواء تكون أدلتهما تقريباً واحدة ؛ لأن كلتا الصفتين تدلان على على العلو للعزيز الجبار ﷻ ، فتأتي الردود غالباً من علماء الإسلام على أهل البدع شاملة لهاتين الصفتين .

ونورد **أولاً** أدلة ابن عبد البر من القرآن وتعليقه عليها حيث يقول معلقاً على حديث النزول :

((وفيه دليل على أن الله ﷻ في السماء على العرش من فوق سبع سماوات كما قالت الجماعة وهو من حجتهم على المعتزلة والجهمية في قولهم إن الله ﷻ في كل مكان وليس على العرش ، والدليل على صحة ما قالوه أهل الحق في ذلك قول الله ﷻ :

﴿ ٱلرَّحۡمَـٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾[1]

وقوله ﷻ : ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍۚ ﴾[2]وقوله : ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ ﴾[3]

---

(١) سورة طه الآية ٥

(٢) سورة السجدة الآية ٤

(٣) سورة فصلت الآية ١١

وقوله : ﴿ إِذًا لَّٱبْتَغَوْاْ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴾(١)

وقوله تبارك اسمه : ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ﴾(٢)

وقوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ ﴾(٣)

وقال : ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ ﴾(٤)

وقال جلّ ذكره : ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴾(٥) وهذا من العلو .

وكذلك قوله : ﴿ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾(٦)

---

(١) الآية ٤٢ سورة الإسراء

(٢) الآية ١٠ سورة فاطر

(٣) الآية ١٤٣ سورة الأعراف

(٤) الآية ١٦ سورة الملك

(٥) الآية ١ سورة الأعلى

(٦) آية الكرسي رقم ٢٥٥ سورة البقرة

و ﴿ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴾[1] ، ﴿ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ ﴾[2] ، ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾[3]

والجهمي يزعم أنه أسفل .

وقال جل ذكره :

﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ ﴾[4]

وقوله : ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾[5]

وقال لعيسى : ﴿ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ ﴾[6]

---

(١) الآية ٩ سورة الرعد

(٢) الآية ١٥ سورة غافر

(٣) الآية ٥٠ سورة النحل

(٤) الآية ٥ سورة السجدة

(٥) الآية ٤ سورة المعارج

(٦) الآية ٥٥ سورة آل عمران

وقال : ﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِ ﴾[1]

وقال : ﴿ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾[2]

وقال : ﴿ وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ﴾[3]

وقال : ﴿ لَهُۥ دَافِعٞ ۝٢ مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلۡمَعَارِجِ ﴾[4]

والعروج هو الصعود .

وأما قوله تعالى : ﴿ فَسِيحُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ ﴾[5] أي على الأرض .

وكذلك قوله : ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ ﴾[6]

---

(١) سورة النساء الآية ٥٨

(٢) سورة فصلت الآية ٣٨

(٣) سورة الأنبياء الآية ١٩

(٤) سورة المعارج الآيتان ٢ ، ٣

(٥) سورة التوبة الآية ٢

(٦) سورة طه الآية ٧١

وهذا كله يعضده قوله تعالى : ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾[1]))[2]

ثانياً – الأحاديث والآثار :

ويورد رحمه الله في معرض رده على الجهمية والمعتزلة الأحاديث والآثار الصحيحة التي وردت عن الرسول ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم في علو الله ﷻ واستوائه على عرشه

فقد روي بسنده حديث الجارية المشهور عن معاوية[3] بن الحكم رضي الله عنه قال :

((أطلقت غنيمة لي ترعاها جارية لي في ناحية أحد ، فوجدت الذئب قد أصاب شاة منها ، وأنا رجل من بني آدم آسف كما يأسفون فصككتها صكة ، ثم انصرفت إلى النبي ﷺ فأخبرته فعظم عليّ قال : فقلت يا رسول الله : فهلا أعتقتها ؟ قال فائتني بها ، قال : فجئت بها إلى النبي ﷺ فقال لها : أين الله ؟ فقالت : في السماء ، فقال : من أنا ؟ قالت : أنت رسول الله ، قال : إنها مؤمنة فاعتقها[4]))[5].

---

(١) سورة المعارج الآية ٤

(٢) التمهيد ٧ / ١٣٠

(٣) هو معاوية بن الحكم السلمي له صحبة وروى عن النبي ﷺ . انظر الاستيعاب ٣ / ٢٠٠٣ ، أسد الغابة ٤ / ٣٨٤

(٤) أخرجه مسلم ، كتاب المساجد ٥٣٧

(٥) التمهيد ٧ / ١٣٥

وروى بسنده عن العباس بن عبد المطلب ،أن رسول الله ﷺ نظر إلى سحابة مرت فقال:

((ما تسمون هذه ؟ قالوا : السحاب . قال : والمزن ، قالوا : والمزن ، قال : والعنان ، قالوا : نعم ، قال : كم ترون بينكم وبين السماء ؟ قالوا : لا ندري ، قال : بينكم وبينها إما واحدة أو اثنتين أو ثلاث وسبعون ، والسماء والسماء فوقها كذلك بينهما مثل ذلك حتى عد سبع سماوات ، ثم فوق السماء السابعة بحر أعلاه وأسفله كما بين سماء إلى سماء ، ثم فوقه ثمانية أوعال بين أظلافهم وركبهم مثل ما بين سماء وسماء ثم الله فوق ذلك))

ثم يروي رواية أخرى فيها زيادة وهي :

((ثم فوقهم العرش ما بين أعلاه وأسفله مثل ذلك ، ثم الله فوق ذلك[١]))[٢]

وروى بسنده أن أعرابياً أتى النبي ﷺ فقال :

((يا رسول الله جهدت الأنفس وضاع العيال ، ونهكت الأموال ، فاستقِ الله الله لنا فإنا نستشفع بك على الله ونستشفع بالله عليك ، فقال رسول الله ﷺ : ويحك أتدري ما

---

(١) أخرجه ابن خزيمة في التوحيد ، حديث ١٤٤ والترمذي ٣٣٢٠ ، وأبو داود ٤٧٢٣ ، وابن ماجة ١٩٣ ، وأحمد ١ / ٢٠٦ ووثقه شيخ الإسلام ابن تيمية حيث قال : ((قد رواه إمام الأئمة ابن خزيمة في كتاب التوحيد الذي اشترط فيه أنه لا يحتج فيه إلا بما نقله العدل عن العدل)) مجموع الفتاوى ٣ / ١٩٢ ، وانظر كتاب العرش لابن أبي شيبة هامش ص ٣٢٧
(٢) التمهيد ٧ / ١٤٠ — ١٤١

تقول ؟! وسبح رسول الله ﷺ ، فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه ثم قال :

ويحك إنه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه شأن الله أعظم من ذلك . ويحك وتدري ما الله ؟ إن الله على عرشه على سماواته وأرضه لهكذا وأشار بأصابعه الخمس مثل القبة ، وأشار يحيى بن معين بأصابعه كهيئة القبة ، وأنه ليئط أطيط(1) الرحل بالراكب(2)))(3)

وأما الآثار التي أوردها عن السلف فهي الآتي :

((سئل ربيعة بن أبي عبد الرحمن (4) عن قوله ﷻ - الرحمن على العرش استوى - قال :

---

(1) الأطيط : يأتي بمعنى أصوات الإبل كما قال الأعشى :

ألست منتهياً عن نحت أثلتنا ولست ضائرها ما أطت الإبل

والأطيط في قول الأعشى هو الحنين . ويأتي الأطيط بمعنى صوت الرحل لقوة ما فوقه . انظر مادة أطط في غريب الحديث لأبي عبيد ٢ / ٣٠٢ ، والغريبيين للهروي ١ / ٥٤ — ٥٥ ، ولسان العرب ٧ / ٢٨٩ ، والنهاية في غريب الحديث ١ / ٥٤

(2) أخرجه ابن خزيمة في التوحيد حديث ١٤٧ ، وابن أبي عاصم في السنة حديث ٥٧٧ وأبو داود في سننه حديث ٤٧٢٦ ، والطبراني في المعجم الكبير حديث ١٥٤٧ ، والدار قطني في الصفات حديث ٣٩ ، والبيهقي في الأسماء والصفات ص ٥٢٦ ، و صححه ابن منده في التوحيد ٣ / ١٨٨ ، وأبو نصر السجزي في الرد على من أنكر الحرف والصوت ص ١٤٥ ، وشيخ الإسلام ابن تيمية في تلبيس الجهمية ٣ / ٢٥٣ ومجموع الفتاوى ٦ / ١٣٥ ، وابن القيم في تهذيب السنن ٧ / ٩٤

(3) التمهيد٧ / ١٤١

(4) هو ربيعة بن أبي عبد الرحمن فروخ القرشي — مولاهم — المشهور بربيعة الرأي ، عالم فقيه ثبت ، كان أحد مفتي المدينة مات سنة ١٣٦هـ . انظر وفيات الأعيان ٢ / ٢٨٨ تهذيب الكمال ٩ / ١٢٣ ، السير ٦ / ٨٩

استواؤه معلوم وكيفيته مجهولة[1].

وقد روي عن عبد الله بن نافع[2] عن مالك نحو ذلك قال :

سئل مالك عن قول الله ﷻ - الرحمن على العرش استوى - كيف استوى ؟

فقال :

استواؤه معلوم ، وكيفيته مجهولة ، وسؤالك عن هذا بدعة وأراك رجل سوء [3] .

وروى حماد بن زيد عن عاصم بن بهدله[4] ، عن زر بن حبيش عن ابن مسعود قال :

الله فوق العرش لا يخفى عليه شيء من أعمالكم[5] ...

وقال ابن المبارك :

الرب تبارك وتعالى على السماء السابعة على العرش [6]))[7].

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية ((إن هذا الجواب ثابت عن ربيعة شيخ مالك)) مجموع الفتاوى ٥ / ٣٦٥

(٢) هو عبد الله بن نافع الصائغ القرشي أبو محمد المدني ، لزم مالك بن أنس لزوماً شديداً وكان لا يقدم عليه أحداً . ثقة صحيح الكتاب في حفظه لين مات سنة ٢٠٦هـ . انظر : تهذيب الكمال ١٦ / ٢٠٨ ، التقريب ٣٢٦ ، شذرات الذهب ٢ / ١٥

(٣) الأثر ثابت عن مالك . انظر تخريجه في كتاب العرش للذهبي حديث رقم ١٥٦ – ١٥٧

(٤) هو عاصم بن بهدله بن أبي النجود الأسدي مولاهم الكوفي المقرئ ، قال عنه أحمد : كان رجلاً صالحاً خيراً ثقة ، وقال ابن حجر صدوق له أوهام . مات سنة ١٢٨هـ . انظر تهذيب الكمال ١٣ / ٤٧٣ ، السير ٥ / ٢٥٦ ، الميزان ٢ / ٣٥٧ ، طبقات القراء ١ / ٣٤٦

(٥) أخرجه الدارمي في الرد على الجهمية حديث ٨١ ، وابن خزيمة في التوحيد حديث ١٤٩ ، وأبو الشيخ في العظمة حديث ٢٧٩ وصححه الذهبي في العلو حديث ١٥٧ .

(٦) الأثر معناه صحيح . انظر الهامش السابق

(٧) الاستذكار ٨ / ١٥١ وانظر التمهيد ٧ / ١٥١ – ١٥٢

وبإثبات ابن عبد البر رحمه الله لصفتي العلو والاستواء فقد وافق أهل السنة والجماعة في ذلك وهو إثبات ما أثبته الله لنفسه من الأسماء والصفات من غير تكييف ولا تمثيل ، ونفي ما نفاه عن نفسه من غير تعطيل .

وفيما يلي طائفة من أقوال أئمة المسلمين من المتقدمين والمتأخرين تقرر ما ذهب إليه ابن عبد البر وتؤيده :

يقول الإمام ابن أبي شيبه [1] :

((وقال ﷻ - ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾- فالله تعالى استوى على العرش يرى كل شيء في السماوات والأراضين ، ويعلم ويسمع كل ذلك بعينه وهو فوق العرش ، لا الحجب التي احتجب بها عن خلقه تحجبه من أن يرى ويسمع ما في الأرض السفلى ، ولكنه خلق الحجب وخلق العرش كما خلق الخلق لما شاء كيف شاء ما يحمله إلا عظمته...

ثم توافرت الأخبار على أن الله تعالى خلق العرش فاستوى عليه بذاته ثم خلق الأرض

(١) هو الإمام الحافظ أبو جعفر محمد بن عثمان العبسي مولاهم الكوفي ، نشأ وتربى في بيت علم فأبوه وجده من العلماء وعمه القاسم من العلماء وكذلك عمه الحافظ أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبه صاحب – المصنف – المشهور . وقد برع محمد بن عثمان في أكثر من فن من فنون العلم وكان كثير الحديث واسع الرواية بصيراً بالحديث والرجال ، مات سنة ٢٩٧هـ . انظر تاريخ بغداد ٣ / ٤٢ ، الكامل لابن عدي ٦ / ٢٢٩٧ ، طبقات الحفاظ للسيوطي ٢٨٧ ، طبقات المفسرين للداودي ٢ / ١٩٢

والسماوات ، فصار من الأرض إلى السماء ومن السماء إلى العرش .

فهو فوق السماوات وفوق العرش بذاته متخلصاً من خلقه بائناً منهم ، علمه في خلقه لا يخرجون من علمه .))[1]

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

((فهذا كتاب الله من أوله إلى آخره وسنة رسوله ﷺ من أولها إلى آخرها ، ثم عامة كلام الصحابة والتابعين ، ثم كلام سائر الأئمة ، مملوء بما هو إما نص وإما ظاهر في أن الله سبحانه وتعالى هو العلي الأعلى وهو فوق كل شيء ... وأنه فوق السماء ....

ثم عن السلف في ذلك من الأقوال ، ما لو جمع لبلغ مئين وألوفاً ، ثم ليس في كتاب الله ولا في سنة رسوله ﷺ ولا أحد من سلف الأئمة ولا من التابعين لهم بإحسان ، ولا عن الأئمة الذين أدركوا زمن الأهواء والاختلاف حرف واحد يخالف ذلك ، لا نصاً ولا ظاهراً))[2] .

---

(١) العرش لمحمد بن عثمان بن أبي شيبه ص ٢٨٩ ت . د . محمد بن خليفة التميمي مكتبة الرشد . الرياض ط ١ / ١٤١٨هـ

(٢) الفتوى الحموية لابن تيمية ص ١٩ تحقيق : أبو عبد الرحمن نبيل صلاح عبد المجيد مطبوعة مع شرح فتح رب البرية للشيخ ابن عثيمين . دار الإتقان الإسكندرية . ط ٢ / ١٤٢٨هـ

ويقول العلامة ابن عثيمين [1] رحمه الله :

((فأما الكتاب والسنة فإنهما مملوءان بما هو صريح أو ظاهر في إثبات علو الله تعالى بذاته فوق خلقه ... وأما الإجماع ، فقد أجمع الصحابة والتابعون لهم بإحسان وأئمة أهل السنة على أن الله تعالى فوق سماواته على عرشه ، وكلامهم مملوء بذلك نصاً وظاهراً ...

وأما العقل : فإن كل عقل صريح يدل على وجوب علو الله بذاته فوق خلقه .

وأما الفطرة : فإن الله تعالى فطر الخلق كلهم ، العرب وحتى العجم حتى البهائم على الإيمان به وبعلوه ، فما من عبد يتوجه إلى ربه بدعاء أو عبادة إلا وجد من نفسه ضرورة

(١) هو صاحب الفضيلة الشيخ العالم المحقق الفقيه المفسر ، محمد بن صالح آل عثيمين من بني تميم ولد سنة ١٣٤٧هـ في عنيزة وحفظ القرآن وتلقى تعليمه الأولي بعنيزه ثم التحق بالشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله ولزمه ملازمة شديدة فدرس عليه التفسير والحديث والسيرة والتوحيد والفقه والأصول ، وتأثر بمنهجه وتأصيله وطريقة تدريسه ثم التحق بالمعهد العلمي في الرياض من عامي ١٣٧٢هـ - ١٣٧٣هـ واستفاد من المشايخ الذين كانوا يدرسون فيه من أمثال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي والشيخ المحدث عبد الرزاق الإفريقي ، كما اتصل في أثناء ذلك بالشيخ ابن باز رحمه الله وانتفع به في علم الحديث والنظر في آراء فقهاء المذاهب والمقارنة بينهما . عين الشيخ مدرساً بالمعهد العلمي من عام ١٣٧٤هـ إلى عام ١٣٩٨هـ ثم انتقل إلى كلية الشريعة وأصول الدين بالقصيم التابعة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية له جهود عظيمة خلال أكثر من خمسين عاماً في نشر العلم والتدريس والوعظ والإرشاد وإلقاء المحاضرات والدعوة إلى الله ، وصدرت له العشرات من الكتب والرسائل والمحاضرات والفتاوى ، كما صدر له آلاف الساعات الصوتية التي سجلت محاضراته وبرامجه الإذاعية ودروسه العلمية ، ولجهوده العلمية عين عضواً في هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية عام ١٤٠٧هـ . توفي رحمه الله في شهر شوال عام ١٤٢١هـ . انظر ترجمته مقدمة كتاب فتاوى ابن عثيمين في العقيدة / جمع وترتيب فهد السلمان / ط١ / ١٤٢٩هـ .

بطلب العلو ، وارتفاع قلبه إلى السماء لا يلتفت إلى غيره يميناً ولا شمالاً ، ولا ينصرف عن مقتضى هذه الفطرة إلا في إضالته الشياطين والأهواء))(1)

ثالثاً – رده عليهم في تأويلهم للاستواء :

إن الجهمية والمعتزلة ومن سار على شاكلتهم يؤلون الاستواء ويقولون بأنه مجاز (2) وأن معنى الاستواء هو الاستيلاء ، وشبهتهم في ذلك أنه يلزم القول بالاستواء التشبيه والتجسيم والحاجة إلى العرش ، وغير ذلك من الافتراضات الفاسدة .

وقد رد عليهم ابن عبد البر رحمه الله وأبان الصواب في ذلك ، فذكر معنى الاستواء في

---

(1) ابن عثيمين . شرح فتح رب البرية بتلخيص الحموية ص ١٦٠ مطبوع مع الفتوى الحموية دار الإتقان بالإسكندرية ط٢ / ١٤٢٨هـ

(2) يقسم علماء البيان ومن سار على نهجهم الكلام إلى حقيقة ومجاز
فالحقيقة في الاصطلاح : هو ما أقر في الاستعمال على وضعه في اللغة أو كل كلمة أريد بها ما وقعت له في وضع واضع .... وقوعاً لا تستند فيه إلى غيره فهي حقيقة .
وأما المجاز : فهو ما كان ضد الحقيقة ، أو كل كلمة أريد بها غير ما وقعت له في وضع واضعها لملاحظة بين الثاني والأول . انظر الخصائص لابن جني ٢ / ٤٤٢ ، وأسرار البلاغة للجرجاني ص ٣٥٠ ، والمثل السائر ١ / ١٣١ وهذا التقسيم لا تعرفه العرب في كلامهم – من حقيقة وجاز – وإنما هو اصطلاح حادث ركبه ودعمه أهل الكلام لتحريف نصوص الشرع .
يقول الإمام ابن القيم رحمه الله :
((وإذا علم أن تقسيم الألفاظ إلى حقيقة ومجاز ليس تقسيماً شرعياً ولا عقلياً ، ولا لغوياً ، فهو اصطلاح محض ، وهو اصطلاح حدث بعد القرون الثلاثة المفضلة بالنص ، وكان منشؤه من جهة المعتزلة والجهمية ومن سلك طريقهم من المتكلمين)) مختصر الصواعق المرسلة ص ٢٥٣ .

اللغة بأنه العلو والارتفاع والاستقرار ، وذكر الشواهد من القرآن الكريم ومن أشعار العرب ومن أقوال علماء اللغة وأكد أن الاستواء معلوم ومن أوّل استوى باستولى فكأن الله غالب أحداً ثم استولى على العرش ؛ لأن الاستيلاء في اللغة هو المغالبة وتعالى الله أن يغالبه أحد وهو الواحد الصمد ﷻ .

ثم يذكر الحديث المنسوب لابن عباس رضي الله عنهما ورأيه فيه من خلال الصنعة الحديثية .

يقول – رحمه الله – :

((وأما ادعاؤهم المجاز في الاستواء وقولهم في تأويل استوى – استولى – فلا معنى له ؛ لأنه غير ظاهر في اللغة ، ومعنى الاستيلاء في اللغة المغالبة ، والله لا يغالبه ولا يعلوه أحد ، وهو الواحد الصمد ، ومن حق الكلام أن يحمل على حقيقته حتى تتفق الأمة أنه أريد به المجاز إذ لا سبيل إلى اتباع ما أنزل إلينا من ربنا الأعلى ذلك ، وإنما يوجه كلام الله إلى الأظهر والأشهر من وجوهه ، ما لم يمنع ذلك ما يجب له التسليم ولو ساغ ادعاء المجازلكل مدع ، ما ثبت شيء من العبارات وجل الله ﷻ عن أن يخاطب إلا بما تفهمه العرب في معهود مخاطباتها مما يصح معناه عند السامعين))[1]

ويورد رحمه الله الاستشهادات بالآيات القرآنية في إثبات حقيقة الاستواء فيقول :

---

(١) التمهيد ٧ / ١٣١

((الاستواء الاستقرار في العلو وبهذا خاطبنا الله ﷻ وقال :

﴿ لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ ﴾ (١)

وقال : ﴿ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ ﴾ (٢)

وقال : ﴿ فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى الْفُلْكِ ﴾ (٣)

كما يورد من الاستشهادات اللغوية أقوال بعض علماء اللغة وأبياتاً من شعر العرب تؤكد ما ذهب إليه فيقول :

((والاستواء معلوم في اللغة ومفهوم ، وهو العلو والارتفاع على الشيء ، والاستقرار والتمكن فيه ، قال أبو عبيدة (٤) في قوله تعالى (استوى) قال : علا ، قال : وتقول العرب : استويت فوق الدابة واستويت فوق البيت وقال غيره : استوى أي انتهى شبابه واستقر فلم يكن في شبابه مزيد ......

وقد ذكر النضر بن شميل (٥) وقد كان ثقة مأموناً جليلاً في علم الديانة واللغة قال :

---

(١) سورة الزخرف الآية ١٣

(٢) سورة هود الآية ٤٤

(٣) سورة المؤمنون الآية ٢٨

(٤) هو معمر بن المثنى التيمي مولاهم البصري العلامة النحوي صاحب التصانيف ، ولد سنة ١١٠هـ ، لم يكن صاحب حديث وإنما له علم باللسان وأيام الناس ، توفي سنة ٢٠٩ أو ٢١٠ هـ . انظر المعارف لابن قتيبة ص ٥٤٣ ، تاريخ بغداد ١٣ / ٢٥٢ ، والسير ٩ / ٤٤٥

(٥) هو النضر بن شُميل بن خرشه أبو الحسن المازني البصري العلامة النحوي كان من فصحاء الناس وعلمائهم بالأدب وأيام الناس ، ثقة صاحب سنة مات سنة ٢٠٣هـ . انظر : تهذيب الكمال ١٤١٠ ، السير ٩ / ٣٢٨ ، بغية الوعاة ٢ / ٣١٦

حدثني الخليل[1] ، وحسبك بالخليل ، قال : أتيت أبا ربيعة الأعرابي[2] وكان من أعلم من رأيت فإذا هو على سطح ، فسلمنا فرد علينا السلام وقال لنا :

استووا ، فبقينا متحيرين و لم ندر ما قال ؟ قال : فقال لنا أعرابي إلى جنبه إنه أمركم أن ترتفعوا ، قال الخليل : هو من قول الله ﷻ : ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ ﴾[3] فصعدنا إليه فقال : هل لكم في خبز فطير ولبن هجير وماء نمير ، فقلنا الساعة فارقناه فقال : سلاما . فلم ندر ما قال ؟ فقال الأعرابي : إنه سالمكم متاركة لا خير فيها ولا شر ، قال الخليل : هو من قول الله ﷻ : ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴾[4]))[5] [6]

---

(١) هو الخليل بن أحمد الأزدي الفراهيدي النحوي ، مؤسس علم العروض وصاحب كتاب (العين) كان من خيار عباد الله المتقفين في العبادة ، أخذ عنه سيبويه وغيره ، ولد سنة ١٠٠هـ ، ومات بالبصرة سنة ١٧٠ أو ١٧٥ هـ انظر : أخبار النحويين البصريين للسيرافي ص ٣٨ ، إنباه الرواة على أنباه النحاة ١ / ٣٤١ ، شذرات الذهب ١ / ٢٧٥

(٢) أبو ربيعة الأعرابي : لم أقف على ترجمته ، ويكفي ثناء الخليل عليه .

(٣) سورة فصلت الآية ١١

(٤) الآية ٦٣ سورة الفرقان

(٥) ذكره ابن القيم في اجتماع الجيوش ص ٢٦٦ والذهبي في العلو رقم ٣٩٨

(٦) التمهيد ٧ / ١٣١

وأورد هذه الأبيات لأمية بن أبي الصلت [1] ولشاعر آخر في معرض استشهاده على أن معنى الاستواء هو العلو .

أما بيتا أمية فهما :

فسبحان من لا يقدر الخلق قدره ومن هو فوق العرش فرد موحد

مليك على عرش السماء مهيمن لعزته تعنو الوجوه وتسجد[2]))[3]

ويورد بيتاً آخر من الشعر ويعلق عليه قائلاً :

((وقال الشاعر :

فأوردهم ماءً بفيفاء قفرة وقد حلق النجم اليماني فاستوى[4]

وهذا لا يجوز أن يتأول فيه أحد ، استولى ؛ لأن النجم لا يستولي))[5] .

---

(١) هو أمية بن أبي الصلت الثقفي شاعر جاهلي من أهل الطائف ، قدم مكة وسمع من النبي ﷺ ، كان ممن نبذ عبادة الأصنام وحرم على نفسه الخمر ، شعره فيه الحكمة وخلق السماوات والأرض . انظر المعارف ص ٦٠ ، تاريخ ابن عساكر ٣ / ١٠٧ ، الأعلام ٢ / ٢٣

(٢) ديوان أمية بن الصلت ص ٣٩ ، ٤٢ تحقيق سجيع الجبيلي ، دار صادر ط١ ، ١٩٩٨ م

(٣) التمهيد ٧ / ١٣٣

(٤) لم أقف على قائله

(٥) التمهيد ٧ / ١٣٢

ولم يفت ابن عبد البر أن ينبه على الحديث الذي ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما في الاستواء وأخذه بعض المفسرين المأولين للاستواء في أنه حديث منكر ونقلته مجهولون ضعفاء ولا يصح الاستشهاد به فيقول :

((وأما نزع من نزع منهم بحديث يرويه عبد الله بن داود الواسطي عن إبراهيم بن عبد الصمد عن عبد الله بن مجاهد عن أبيه عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾[1] على جميع بريته فلا يخلو منه مكان .

فالجواب عن هذا :

أن هذا حديث منكر عن ابن عباس ونقلته مجهولون ضعفاء ، فأما عبد الله بن داود الواسطي [2] وعبد الوهاب بن مجاهد [3] فضعيفان ، وإبراهيم عبد الصمد مجهول لا يعرف ، وهم لا يقبلون أخبار الآحاد العدول فكيف يسوغ لهم الاحتجاج بمثل هذا الحديث لو عقلوا وأنصفوا))[4].

---

(١) سورة طه الآية ٥

(٢) هو عبد الله بن داود الواسطي أبو محمد البجار . قال النسائي ضعيف وقال ابن حبان لا يجوز الاحتجاج به . الضعفاء والمتروكين للنسائي ص ٦٤ ، المجروحين لابن حبان ٢ / ٣٤

(٣) هو عبد الوهاب بن مجاهد بن جبر المكي . قال أحمد ليس بشيء ضعيف وكذبه الثوري ، وقال أحمد ليس بشيء ، وقال النسائي متروك ، وقال ابن الجوزي : أجمعوا على ترك حديثه . انظر الضعفاء والمتروكين للنسائي ص ٩ ، المجروحين لابن حبان ٢ / ١٤٦ .

(٤) التمهيد ٧ / ١٣٢

ولقد كان للقول بالمجاز أثره الكبير في تحريف النصوص الشرعية الصريحة في القرآن الكريم والسنة المطهرة ، وخاصة فيما يتعلق بالأسماء والصفات الإلهية واتخاذ ذلك مطية إلى نفي صفات الكمال والجلال لله تعالى وصرفها عن حقائقها وإبطال دلالاتها ((وهذا التلازم الوثيق بين المجاز وبين نفي الصفات هو الذي يفسر لنا السبب في كون عامة من يقول بالمجاز في القرآن والسنة هم المعطلة لنصوص الصفات والقدر ، على أنه غير منكور ولا مستبعد أن يكون بعض فحول الكلام الذين قالوا بالمجاز قصدوا إلى تحقيق أغراض مستورة ترمي إلى زعزعة أصول الدين وهلهلة ثوابته ، وإزالة اليقين من نفوس المسلمين ، حتى تخلوا لهم الساحة لممارسة المنكرات والعظائم من غير نكير)) (١) .

أما موافقة السلف من علماء الأمة لما ذهب إليه ابن عبد البر فهي مطابقة لقوله ، وهذه طائفة من أقوالهم في عصور شتى :

يقول الإمام أبو حنيفة – رحمه الله – في إثبات الصفات على حقيقتها :

((وله يد ووجه ونفس كما ذكره الله تعالى في القرآن ، فما ذكره الله تعالى في القرآن من ذكر الوجه واليد والنفس ، فهو له صفات بلا كيف ولا يقال : يده قدرته أو نعمته ؛ لأن فيه إبطال الصفة وهو قول أهل القدر والاعتزال)) (٢) .

ويقول الإمام ابن القيم الذي وصف المجاز بأحد الطواغيت التي هدم بها أصحاب التأويل

---

(١) د . أحمد لوح : جناية التأويل الفاسد على العقيدة الإسلامية ص ٨٤ . دار ابن القيم وابن عفنان ط ١ / ١٤٢٤هـ . وانظر : المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات للدكتور محمد عبد الرحمن المغراوي ١ / ٣٦٥ وما بعدها ط ١ / ١٤٢٠هـ مؤسسة الرسالة .

(٢) الفقه الأكبر مع شرحه للدكتور محمد الخميس ص ٣٧ . دار المسلم . الرياض ط ١ / ١٤١٤هـ .

الباطل معاقل الدين ، وأسقطت حرمة النصوص من القلوب وفعلت بالإسلام ما فعلت ومفنداً قوله في تعليقه على الاستواء وهو مثال من الأمثلة الكثيرة لابن القيم في إثبات حقيقة الصفات الإلهية ونفي المجاز عنها[1] :

ويقول : ((أنه لو أريد ذلك المعنى المجازي لذكر في اللفظ قرينة تدل عليه ، فإن المجاز إن لم يقترن به قرينة وإلا كانت دعواه باطلة ؛ لأنه خلاف الأصل ولا قرينة معه ومعلوم أنه ليس في موارد الاستواء في القرآن والسنة موضع واحد قد اقترنت به قرينة تدل على المجاز ، فكيف إذا كان السياق يقتضي بطلان ما ذكر في المجاز وأن المراد هو الحقيقة .... أنه إذ فسر الاستواء بالغلبة والقهر عاد معنى هذه الآيات كلها إلى أن الله تعالى أعلم عباده بأنه خلق السماوات والأرض ثم غلب على العرش بعد ذلك وقهره وحكم عليه ، أفلا يستحي من الله من في قلبه أدنى وقار لله بكلامه أن ينسب ذلك إليه ، وأنه أراد بقوله ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾[2] أي اعلموا يا عبادي أني بعد فراغي من خلق السماوات والأرض غلبت عرشي وقهرته واستوليت عليه)) [3]

---

(١) انظر : ابن القيم . الصواعق المرسلة بتصرف . ١ / ٢٧٩ ت . إياد عبد اللطيف . مكتبة الرشد ط ١ / ١٤٢٥هـ

(٢) سورة طه الآية ٥

(٣) مختصر الصواعق لابن الموصلي ص ٣٣٦ . ت مصطفى أبو المعاطي . دار الغد الجديد ط ١ / ١٤٢٧هـ

ويقول الإمام الشنقيطي – رحمه الله – :

((وهذا اللزوم اليقيني الواقع بين القول بالمجاز في القرآن ، وبين جواز نفي بعض القرآن قد شوهد في الخارج وأنه كان ذريعة إلى نفي كثير من صفات الكمال والجلال الثابتة لله في القرآن العظيم ، وعن طريق القول بالمجاز توصل المعطلون لنفي ذلك فقالوا :

لا يد ولا استواء ، ولا نزول ، ونحو ذلك في كثير من آيات الصفات ؛ لأن هذه الصفات لم ترد حقائقها ، بل هي عندهم مجازات ، فاليد مستعملة عندهم في النعمة أو القدرة ، والاستواء في الاستيلاء ، والنزول نزول أمره ونحو ذلك ، فنفوا هذه الصفات الثابتة بالوحي عن طريق القول بالمجاز)) (١)

صفة النزول :

أما صفة النزول فقد أثبت الإمام ابن عبد البر رحمه الله صحة حديث النزول (٢) لله ﷻ فقال :

((هذا حديث ثابت من جهة النقل . صحيح الإسناد . لا يختلف أهل الحديث في صحته)) ونص الحديث هو : ((ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول : من يدعني فأستجيب له ، من يسألني فأعطيه ، من يستغفرني فأغفر له)) . (٣)

ويرد على من أول الحديث على غير ظاهره بأن الحديث ثابت عن الرسول ﷺ نؤمن به من غير تكييف ولا تأويل ، ثم يرد على من تأول النزول بنزول رحمته أو نزول أمره بحجج قوية فيقول :

---

(١) محمد الأمين الشنقيطي . منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز ص ٣٧ . القاهرة . مكتبة السنة / ١٤١٤هـ

(٢) أخرجه البخاري كتاب التهجد ١١٤٥ ، ومسلم كتاب الصلاة المسافرين ٧٥٨

(٣) التمهيد ٧ / ١٢٨

((والذي عليه جمهور أئمة السنة أنهم يقولون :

ينزل كما قال رسول الله ﷺ ، ويصدقون بهذا الحديث ولا يكيفون والقول في كيفية النزول كما يقول في كيفية الاستواء والمجيء والحجة في ذلك واحدة .

وقد قال قوم من أهل الأثر أيضاً أنه ينزل أمره وتنزل رحمته ، وروى ذلك عن حبيب[1] كاتب مالك وغيره ، وأنكره منهم آخرون ، وقالوا :

هذا ليس بشيء ؛ لأن أمره ورحمته لا يزالان ينزلان أبداً في الليل والنهار وتعالى الملك الجبار الذي إذا أراد أمراً قال له كن فيكون في أي وقت شاء ، ويختص برحمته من يشاء متى شاء لا إله إلا هو الكبير المتعال))[2]

ونشير هنا إلى رواية أوردها عن الإمام مالك رحمه الله يذكر فيها أن نزول الرب تبارك وتعالى هو تنزل أمره ((وقد حاول ابن عبد البر توجيه هذه الرواية عن الإمام مالك بما لا يتعارض ومذهب السلف في ذلك))[3]. علماً بأن هذه الرواية عن مالك لا تصح كما

---

(١) حبيب بن أبي حبيب أبو محمد المصري . متروك كذبه أحمد وأبو داود وجماعة توفى سنة ٢١٨هـ . انظر : المجروحين لابن حبان ١ / ٢٦٥ ، ترتيب المدارك ٣ / ١٦٧ ميزان الاعتدال ١ / ٤٥٢

(٢) التمهيد ٧ / ١٤٣

(٣) د. سليمان الغصن . عقيدة الإمام ابن عبد البر في التوحيد والإيمان ص ٣٥١ ط ١ / ١٤١٦هـ . دار العاصمة .

قرره شيخ الإسلام ابن تيمية [1].

((ويبدو أن هذا التوجيه من ابن عبد البر لكلام الإمام مالك كان قبل أن يتبين له ضعف هذه الرواية عنه ، والظاهر أنه تبين فيما بعد أنها غير صحيحة فإنه قال في كتابه الاستذكار – في المقدمة – وقد ألفه بعد التمهيد ، ولو صح ما روى في ذلك عن مالك كان معناه أن الأغلب من استجابته دعاء من دعاه من عباده برحمته وعفوه يكون في ذلك الوقت))[2]

وقد أطبق علماء الإسلام من سلفهم وخلفهم على ما ذهب إليه الإمام ابن عبد البر رحمه الله في أن نزول الرحمن نزول حقيقي كما يليق بجلاله وكماله ﷻ ، وهذه نماذج من أقوالهم رحمهم الله . يقول الإمام ابن أبي زمنين [3] :

---

(١) يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ((رويت عن طريق كاتبه حبيب بن أبي حبيب ، لكن هذا كذاب باتفاق أهل العلم بالنقل ، لا يقبل أحد منهم نقله عن مالك ، ورويت من طرق أخرى ذكرها ابن عبد البر وفي اسنادها من لا نعرفه)) شرح حديث النزول ضمن مجموع الفتاوى ٥ / ٤٠١

(٢) عقيدة الإمام ابن عبد البر في التوحيد والإيمان ص ٣٥٢

(٣) هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين المرّي الأبيري القرطبي . الإمام القدوة الزاهد ، صاحب التصانيف منها : مختصر المدونة وأصول السنة على طريقة السلف . توفي سنة ٣٩٩هـ . انظر : ترتيب المدارك ٤ / ٦٧٢ ، سير أعلام النبلاء ١٧ / ١٨٨ ، هدية العارفين ٢ / ٥٨

((ومن قول أهل السنة أن الله ينزل إلى سماء الدنيا ، ويؤمنون بذلك من غير أن يحدوا فيه حداً — وذكر الحديث من طريق مالك وغيره [1]— وهذا الحديث يبين أن الله ﷻ على العرش في السماء دون الأرض وهو أيضاً بيّن في كتاب الله وفي غير حديث عن رسول الله ﷺ)) [2]

وقال الحافظ ابن رجب رحمه الله :

((وقد اعترض بعض من كان يعرف هذا على حديث النزول ثلث الليل الآخر وقال : ثلث الليل يختلف باختلاف البلدان ، فلا يمكن النزول في وقت معين ومعلوم بالضرورة من دين الإسلام قبح هذا الاعتراض . وأن الرسول ﷺ أو خلفاءه الراشدين لو سمعوا من يعترض به لما ناظروه بل بادروا إلى عقوبته وإلحاقه بزمرة المخالفين المنافقين المكذبين)) [3]

---

(١) وهو حديث النزول المشهور في كتب أهل السنة وقد سبق تخريجه

(٢) ابن أبي زمنين . أصول السنة ص ١١٠ — ١١٣ . ت . عبد الله البخاري ط ١ / ١٤١٥هـ . مكتبة الغرباء الأثرية / المدينة ، ونجد هذا النص عند شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى ٥ / ٥٦

(٣) ابن رجب فضل علم السلف على الخلف ص ٤٨ ، ت محمد بن ناصر العجمي . ط٢ . دار البشائر الإسلامية . الكويت .

ويؤكد الشيخ عبد العزيز بن باز[1]-رحمه الله-أقوال السلف في إثبات صفة النزول والصفات في عمومها على حقيقتها من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل فيقول :

((أما الوجه واليدان والعينان والساق والأصابع فقد ثبت في النصوص من الكتاب والسنة الصحيحة ، وقال بها أهل السنة والجماعة وأثبتوها لله سبحانه على الوجه اللائق به سبحانه ، وهكذا النزول والهرولة جاءت بها الأحاديث الصحيحة ونطق بها الرسول ﷺ وأثبتها لربه ﷻ على الوجه اللائق به سبحانه من غير مشابهة لخلقه ولا يعلم كيفية هذه الصفات إلا هو سبحانه ، فإنكار ... هذه الصفات إنكار على النبي ﷺ ، بـــل

---

(١) هو العلامة الفقيه الزاهد الورع الشيخ عبد العزيز بن عبد الله باز مفتي الديار السعودية ، ولد سنة ١٣٣٠ وأصيب في صغره بمرض في عينيه أفقده بصره فعوضه الله بنور البصيرة والتبحر في العلم الشرعي ،حفظ القرآن قبل البلوغ وتلقى تعليمه على أيدي كثير من علماء الجزيرة العربية منهم عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد عبد الوهاب ، والشيخ محمد بن إبراهيم مفتي= =الديار السعودية في حينه ، وغيرهم ، ولي القضاء في الخرج ١٣٥٧ – ١٣٧١ هـــ ، ثم عين مدرساً في المعهد العلمي وكلية الشريعة بالرياض ١٣٧٢ – ١٣٨٠ ، ثم نائباً لرئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية إلى ١٣٩٠هـــ ثم رئيساً للجامعة بعد وفاة الشيخ ابن إبراهيم إلى ١٣٩٥ هـــ ، ثم عين الرئيس العام لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد إلى عام ١٤١٤هـــ ، ثم عين مفتياً للمملكة العربية السعودية إلى وفاته في محرم عام ١٤٢٠هـــ وكان إضافة إلى مهامه رئيس هيئة كبار العلماء ورئيس المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي ورئيس المجمع الفقهي التابع لرابطة العالم الإسلامي إضافة إلى غيرها من عضويات المجالس والهيئات الإسلامية العالمية . له أكثر من عشرين كتاباً ورسالة في الفقه والعقيدة والدعوة إلى الله غير فتاواه في الصحف والمجلات والإذاعة . جمعت فتاواه ومقالاته في عشرين مجلداً . انظر مقدمة مجموع فتاوى ومقالات متنوعة .

إنكار على الله ﷻ ؛ لأنه سبحانه ذكر بعضها في كتابه العزيز ، وأوحى البعض الآخر لنبيه ﷺ ؛ فإنه ﷺ لا ينطق عن الهوى وإنما يخبر عن الله سبحانه بما أوحي إليه)) [1]

صفة الكلام

أما صفة الكلام فيرى ابن عبد البر أن الكلام صفة من صفات الله ﷻ وأن القرآن هو كلام الله وهو غير مخلوق ، ومن قال بغير ذلك فهو كافر مبتدع فيقول مبيناً ومقرراً عقيدة أهل السنة والجماعة حيث يقول :

((والقرآن عندنا صفة من صفات الله وهو كلام الله)) [2]وذكر عن بعض السلف قولهم بتبديع من قال إن القرآن مخلوق فقال :

((قال سفيان الثوري وسفيان بن عيينه من قال القرآن مخلوق فهو مبتدع[3]))[4]

ونقل أيضاً عن يحي بن يحيى [5] بكفر من قال بأن القرآن مخلوق فقال :

(١) الشيخ ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ٣ / ٥١ — ٨٢

(٢) التمهيد ٧ / ٢٦١

(٣) ذكر ذلك اللالكائي في مواضع مختلفة من كتابه شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٢ / ٢١٦ وما بعدها وانظر خلق أفعال العباد للبخاري أثر رقم (١) ورقم (٧) ورقم (٤٠)

(٤) ابن عبد البر . الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء ص ٦٣ . مكتبة القدس عام ١٣٥٠هـ

(٥) هو يحيى بن يحيى التميمي الحنظلي أبو زكريا المنيسابوري قال أحمد كان ثقة وزيادة ، وقال اسحاق بن راهويه ما رأيت مثل يحيى بن يحيى ، وقال ابن حبان كان من سادات أهل زمانه علماً وديناً وفضلاً . مات سنة ٢٢٦ . انظر تهذيب الكمال ٣٢ / ٣١ ، السير ١٠ / ٥١٢

((وكان يحيى بن يحيى يقول من قال القرآن مخلوق فهو كافر لا يكلم ولا يجالس ولا يناكح [1])) [2]

ويقول في تعليقه على حديث ((قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن)) [3]

((والقرآن عندنا صفة من صفات الله وهو كلام الله)) [4]

وقد استنبط رحمه الله من حديث الرسول ﷺ ((أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق)) [5] دليلاً على أن كلمات الله غير مخلوقة حيث قال :

((وفي الحديث من الفقه أيضاً أن كلام الله ﷻ غير مخلوق ، وعلى ذلك أهل السنة أجمعون — وهم أهل الحديث والرأي في الأحكام — ولو كان كلام الله أو كلمات الله مخلوقة ما أمر رسول الله ﷺ أحداً أن يستعيذ بمخلوق ، دليل ذلك قوله ﷻ :

﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا [6] ﴾ [7]

---

(١) ذكره اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة أثر ٤٤٧

(٢) ابن عبد البر . جامع بيان العلم وفضله ١ / ٥٧

(٣) أخرجه البخاري . كتاب فضائل القرآن ٥٠١٣

(٤) التمهيد ٧ / ٢٦١

(٥) أخرجه مسلم . كتاب الذكر والدعاء ٢٧٠٨

(٦)سورة الجن الآية ٦

(٧) التمهيد ٢١ / ٢٤١ ، وانظر الاستذكار ٢٧ / ٩٧ ، والكافي ١ / ٢٨٥

وقد طابق أقوال ابن عبد البر أقوال علماء أهل السنة في جميع العصور ، وهذه نماذج من أقوالهم في أن كلام الله صفة من صفاته وأنه غير مخلوق يقول الإمام عبد العزيز الكناني [1] في مناظرته المشهورة مع بشر المريسي [2] :

((أنزل الله ﷻ خبراً مفرداً ذكر فيه خلق الأشياء فلم يدع منها شيئاً إلا ذكره وأدخله في خلقه ، وأخرج كلامه وأمره من جملة الخلق وفصله منها ليدل على أن كلامه غير الأشياء المخلوقة وخارج عنها فقال : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾[3] فجمع في قوله (ألا له الخلق) جميع ما خلق فلم يدع شيئاً ثم قال (الأمر) يعني والأمر الذي كان به الخلق خلقاً ، فرقاً بين خلقه وأمره فجعل الخلق خلقاً والأمر أمراً ، وجعل هذا غير هذا

---

(١) هو عبد العزيز الكناني الشافعي من أصحاب الإمام الشافعي ، صاحب كتاب الحيدة حكى فيه مناظرته لبشر المريسي توفي سنة ٢٤٠ هـ . انظر تاريخ بغداد ١٠ / ٤٤٩ ، طبقات الشافعية ٢ / ١٤٤

(٢) هو بشر بن غياث بن أبي كريمة العدوي مولاهم ، اشتغل بالكلام فحكى عنه أقوال شنيعة ، وقد كفره الأئمة لمقالته السيئة ، وقد بسط الرد عليه الإمام الدارمي في كتابه المشهور . توفي سنة ٢١٨ هـ . انظر تاريخ بغداد ٧ / ٥٦ ، السير ١٠ / ١٩٩ ، ميزان الاعتدال ١ / ٣٢٢

(٣)سورة الأعراف الآية ٥٤

، وقال : ﴿ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ ﴾ [1] وقال : ﴿ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ﴾ [2] يعني من قبل الخلق ومن بعد الخلق ، ثم جمع الأشياء المخلوقة في آيات كثيرة في كتابه فأخبر عن خلقها ، وأنه خلقها بقوله وكلامه ، وإن كلامه وقوله غيرها وخارج عنها قال : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ ﴾ [3] وقال : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ [4] وقال : ﴿ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [5] .... فلم يدع شيئاً من الخلق إلا ذكره ، فأخبر عن خلقه أنه ما خلقه إلا بالحق ، وإن الحق قوله وكلامه الذي به خلق الخلق كله ، وإنه غير الخلق وإنه خارج عن الخلق وغير داخل في الخلق ، وهذا نص

---

(١) سورة القمر الآية ٥٠

(٢) سورة الروم الآية ٤

(٣) سورة الأنعام الآية ٧٣

(٤) سورة الحجر الآية ٨٥

(٥) الآية ٣ سورة الأحقاف

التنزيل على أن كلام الله غير الأشياء المخلوقة وليس هو كالأشياء وبه تكون الأشياء))[1] .

ويقول الإمام السجزي [2] مقرراً أن القرآن كلام الله وهو عقيدة السلف الصالح :

((فالله سبحانه قد بين في كتابه ما كلامه ؟ وبين ذلك رسوله ﷺ واعترف به الصدر الأول والسلف الصالح رحمهم الله وآمنوا به فقال الله سبحانه : ﴿ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ﴾ [3] وقال : ﴿ فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ﴾ [4]وما سمع مستجير قط إلا كلاماً ذا حروف وأصوات ولا قرأ قارئ البتة إلا ذلك)) [5]

---

(١) عبد العزيز الكناني . الحيدة ص ٣٠ ط ١ مكتبة العبيكان ١٤٢٢ هـ

(٢) هو أبو نصر عبيد الله بن سعيد بن حاتم الوائلي البكري السجزي نسبة إلى سجستان ، سمع الكثير بخراسان والحجاز والشام والعراق ومصر ، توفي بمكة سنة ٤٤٤هـ ، وكان متقناً مكثراً بصيراً بالحديث . انظر تذكرة الحفاظ ٣ / ١١١٨ ، شذرات الذهب ٣ / ٢٧١ ، هدية العارفين ١ / ٦٤٨

(٣) سورة التوبة الآية ٦

(٤) سورة المزمل الآية ٢٠

(٥) الإمام عبيد الله السجزي . الرد على من أنكر الحرف والصوت ص ١٣٠ تحقيق د . محمد باكريم با عبد الله ، عمادة البحث العلمي ط ٢

كما يقرر ذلك العلامة حافظ الحكمي [1] - رحمه الله - حيث يقول :

((فالله سبحانه وتعالى لم يزل ولا يزال متصفاً بالكلام أزلاً وأبداً ، وتكلمه وتكليمه بمشيئته وإرادته ؛ فيتكلم متى شاء وإذا شاء بكلام يسمعه من يشاء ، وكلامه صفته لا غاية له ولا انتهاء)) [2]

رده على من أنكر الرؤية :

وقد رد ابن عبد البر على المبتدعة الذين أنكروا الرؤية من الجهمية والمعتزلة ومن تبعهم من الخوارج والرافضة [3] مثبتاً الرؤية بما استدل به من الآيات والأحاديث وأقوال السلف ، ومفنداً شبههم واستدلالاتهم الباطلة وقال إن موسى عليه السلام لما سأل ربه الرؤية كان عالماً بأنها غير ممتنعة أو وستحيلة ، ولو كانت ممتنعة أو مستحيلة لما سأل موسى ربه الرؤية ثم يلزم أهل البدع المخالفين لأهل السنة في جواز رؤية الله بالقول بتكفير موسى عليه السلام ، وكفى بتكفيره جهلاً .

---

(١) هو العلامة حافظ بن أحمد علي الحكمي من مواليد جيزان ومن تلامذة الشيخ عبد الله القرعاوي ، تولى عدة مناصب تعليمية في عهد الملك سعود بن عبد العزيز ، له مؤلفات عدة من أشهرها أعلام السنة المنشورة ومعارج القبول ، توفي سنة ١٣٧٧ هـ . انظر الأعلام ٢ / ١٥٩ ، مقدمة كتاب معرج القبول بقلم ابنه أحمد .

(٢) الشيخ حافظ حكمي .أعلام السنة المنشورة ص ٨٤ ،مكتبة السوادي للتوزيع ط ١٤١٨/٧هـ

(٣) انظر الرد على الزنادقة والجهمية ص ٢٥٩ ومقالات الإسلاميين ص ٩٥ ، ١٢٧ ومنهاج السنة ١ / ٢٨٨

يقول رحمه الله في التعليق على الآية الكريمة : ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ ﴾ (١)

((ولا يشك مسلم أن موسى كان عارفاً بربه وما يجوز عليه فلو كان عنده مستحيلاً لم يسأله ذلك ، ولكان بسؤاله إياه كان كافراً ، كما لو سأله أن يتخذ شريكاً أو صاحبة)) (٢)

ويقول : ((والدليل على أنه ممكن أن يرى في الآخرة بشرطه في الرؤية ما يمكن من استقرار الجبل ولا يستحيل وقوعه ، ولو كان محالاً كون الرؤية لقيدها بما يستحيل وجوده كما فعل بدخول الكافرين الجنة ، قيد قبل ذلك بما يستحيل من دخول الجمل في سم الخياط)) (٣)

ثم يقول :

---

(١) سورة الأعراف الآية ١٤٣

(٢) التمهيد ٧ / ١٥٤

(٣) السابق صـ ١٥٣ وهذه إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ﴾ آية ٤٠ سورة الأعراف

((وأهل البدع المخالفون لنا في هذا التأويل ، يقولون إن من جوز مثل هذا وأمكن عنده فقد كفر ؟ فيلزمهم تكفير موسى نبي الله ﷺ وكفى بتكفيره كفراً وجهلاً)) [1] .

ويقول رحمه الله في رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة وأن رؤيته ﷻ محجوبة عنهم في الدنيا لأن أبصارهم لم تعط القدرة على ذلك مستشهداً بآيات القرآن الكريم :

((وفي قول الله ﷻ ﴿ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ﴾ دلالة واضحة لمن أراد الله هداه ، أنه يرى إذا شاء ولم يشأ ذلك في الدنيا بقوله : ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ [2] وقد شاء ذلك في الجنة بقوله : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [3] ولو كان لا يراه أهل الجنة لما قال : ﴿ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ﴾ وفي هذا بيان أنه لا يرى في الدنيا ؛ لأن أبصار الخلائق لم تعط في الدنيا تلك القوة))[4]

---

(١) التمهيد ٧ / ١٥٥

(٢) الآية ١٠٣ سورة الأنعام

(٣) الآيتان ٢٢ — ٢٣ سورة القيامة

(٤) التمهيد ٧ / ١٥٣

ويقول أيضاً في ذلك :

((وإذا امتنع أن يرى في الدنيا بما ذكرنا ، لم يكن لقوله ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ وجه إلا النظر إليه في القيامة على ماجاء في الآثار الصحاح عن النبي ﷺ وأصحابه وأهل اللسان))(١)

ويحتج رحمه الله بأثر لمالك رحمه الله في تفسيره للآية الكريمة ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ .... الآية ﴾ ومؤكداً أنه هو تفسير أهل السنة وأئمة الحديث والرأي قائلاً :

((وجعل الله الرؤية لأوليائه يوم القيامة ومنعها من أعدائه ، ألم تسمع قوله ﷻ : ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ (٢) وإنما يحتجب الله عن أعدائه المكذبين ويتجلى لأوليائه المؤمنين ، وهذا معنى قول مالك في تفسيره هذه الآية ، وأما قوله في تأويل قول الله ﷻ : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾

---

(١) السابق ص ١٥٤

(٢) سورة المطففين الآية ١٥

فإن أشهب [1] روى عن مالك أنه سمعه وسئل عن قول الله تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝ ﴾ قال : ينظرون إلى الله ﷻ ، قال موسى : ﴿ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَ ﴾ وعلى هذا التأويل في هذه الآية جماعة أهل السنة وأئمة الحديث والرأي)) [2]

وروى بسنده عن جرير [3] بن عبد الله قال :

كنا جلوساً عند رسول الله ﷺ فنظر إلى القمر ليلة البدر فقال :

((أما أنكم ستعرضون على ربكم فترونه كما ترون هذا لا تضامون في رؤيته)) [4]

وروى بسنده عن صهيب [5] عن النبي ﷺ قال :

---

(١) هو أشهب بن عبد العزيز بن داود العامري المصري الفقيه العلامة مفتي مصر ، سمع مالك والليث بن سعد وغيرهما توفي سنة ٢٠٤ هـ ، انظر ترتيب المدارك ٢ / ٤٤٧ ، الديباج المذهب ١ / ٣٠٧ ، حسن المحاضرة ١ / ٣٠٥

(٢) التمهيد ٧ / ١٥٤

(٣) هو جرير بن عبد الله البجلي صحابي جليل ، بايع النبي ﷺ على النصح لكل مسلم توفى سنة ٥١ هـ . انظر الاستيعاب ١ / ٣٣٧ ، أسد الغابة ١ / ٣٣ ، الإصابة ٢ / ٧٦

(٤) أخرجه البخاري كتاب التوحيد ٧٤٣٦ ، وأخرجه مسلم بزيادة في ألفاظه كتاب المساجد ٦٣٣

(٥) هو صهيب الرومي أبو يحيى من أجلة الصحابة وكان من السابقين للإسلام شهد المواقع كلها مع رسول الله ﷺ . توفي سنة ٣٨ هـ ؓ وأرضاه . انظر الاستيعاب ٢ / ٧٢٦ ، الإصابة ٥ / ١٦٠ ، شذرات الذهب ١ / ٤٧

((إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى منادٍ : يا أهل الجنة ، لكم عند الله موعد يريد أن ينجزكموه فيقولون : وما هو ؟ ألم يبيض وجوهنا ويثقل موازيننا ويجرنا من النار ويدخلنا الجنة ؟ فيكشف الحجاب فينظرون إليه ، وقال إبراهيم وقال الآخر : فينظرون إلى الله تعالى قال : فوالله ما أعطاهم الله شيئاً أقر لأعينهم ولا أحب إليهم من النظر إليه ، ثم تلا هذه الآية ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [1])) [2]

وروى أثراً عن أبي بكر الصديق ﷺ في معنى الآية السابقة فقال :

((الجنة (وزيادة) قال : النظر إلى وجه الله ﷻ [3])) [4]

وروى بسنده عن عمار [5] بن ياسر ﷺ أنه كان يقول في دعائه في الصلاة :

((اللهم إني أسألك النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك [6])) [7]

---

(١) سورة يونس الآية ٢٦

(٢) التمهيد ٧ / ١٥٦

(٣) أخرجه ابن خزيمة في التوحيد حديث ٢٦٤

(٤) التمهيد ٧ / ١٥٦ ، ١٥٧

(٥) هو عمار بن ياسر من السابقين للإسلام ، وعذب بسبب إسلامه هو وأمه سمية ، هاجر إلى الحبشة ثم المدينة ، حضر المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ، توفي في معركة صفين في جيش علي ﷺ سنة ٣٧ . انظر الاستيعاب ٢ / ١١٣٥ ، أسد الغابة ٤ / ١٢٩ ، الإصابة ٧ / ٦٤

(٦)أخرجه ابن خزيمة في التوحيد والنسائي ١٣٠٥ ، وابن حبان ١٩٧١ وصححه ، والحاكم في المستدرك ١ / ٥٢٤ وصححه ووافقه الذهبي .

(٧) التمهيد ٧ / ١٥٤

وروي عن الحسن البصري أنه قال :

((لما كلم موسى ربه دخل قلبه من السرور بكلامه ما لم يدخل قلبه مثله فدعته نفسه إلى أن يريه نفسه))[1]

وروي عن أبي العالية [2] في قوله تعالى :﴿ ....تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[3] قال :

((أول من آمن بك أنه لا يراك أحد إلا يوم القيامة ولو كان فيها عهد إلى موسى قبل ذلك أنه لا يرى ، لم يسأل ربه ما يعلم أنه لا يعطيه إياه ، ولو كان ذلك عنده غير ممكن لما سأله ما لا يمكن عنده)) [4] .

وروي عن موسى عليه السلام من غير سند يسنده ، فقال :

((وقد جاء أن موسى قال له ربه حينئذ : لن تراني عين إلا ماتت ، إنما يراني أهل الجنة الذين لا تموت أعينهم ولا تبلى أجسادهم [5]))

---

(١) التمهيد ٧ / ١٥٥

(٢) هو أبو العالية البراء البصري ، مولى قريش ، قيل اسمه زياد بن فيروز وقيل غير ذلك ، تابعي ثقة مات سنة ٩٠هـ . انظر : الطبقات لابن سعد ٧ / ٢٣٧ ، ميزان الاعتدال ٤ / ٥٤٣

(٣) الآية ١٤٣ سورة الأعراف

(٤) التمهيد ص ١٥٥

(٥) السابق ص ١٥٥

ثم إنه رحمه الله يرد على من خالف تفسير أهل السنة والجماعة للآية الكريمة ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ وهو مجاهد رحمه الله ؛ حيث فسرها بقوله : حسنة تنظر الثواب [٢] .

مع اعتذاره لمجاهد وحفظ مكانته العلمية ، وأن قول مجاهد مردود لما ثبت في أحاديث الرسول ﷺ وأقوال الصحابة وجمهور السلف بإثبات الرؤية البصرية لله ﷻ يوم القيامة ، فقال :

((ولكن قول مجاهد هذا مردود بالسنة الثابتة عن النبي ﷺ وأقاويل الصحابة وجمهور السلف ، وهو قول عند أهل السنة مهجور ، والذي عليه جماعتهم ما ثبت في ذلك عن نبيهم ﷺ ، وليس من العلماء أحد إلا وهو يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ ، ومجاهد وإن كان أحد المقدمين في العلم بتأويل القرآن فإن له قولين في تأويل اثنين هما مهجوران عند العلماء مرغوب عنهما أحدهما هذا والآخر قوله في قول الله ﷻ :

---

(١) انظر التمهيد ٧ /١٥٧

﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ ﴾ [1] ....)) [2]

وقد وافق ابن عبد البر رحمه الله جميع علماء الإسلام على اختلاف أزمنتهم في رؤية المؤمنين لله ﷻ يوم القيامة ؛ فمنهم الإمام أبو الحسن الأشعري ، يقول في رسالته إلى أهل الثغر في الإجماع الحادي عشر :

((وأجمعوا على أن المؤمنين يرون الله ﷻ يوم القيامة بأعين وجوههم على ما أخبر به تعالى في قوله ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ وقد بين معنى ذلك النبي ﷺ ودفع كل أشكال فيه بقوله للمؤمنين : ((ترون ربكم عياناً [3])) وقوله : (ترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر لا تضامون في رؤيته) [4] فبين أن رؤيته تعالى بأعين الوجوه)) [5]

---

(١) سورة الإسراء الآية ٧٩

(٢) التمهيد ٧ / ١٥٧

(٣) وهو إشارة إلى حديث النبي ﷺ ((إنكم سترون ربكم عياناً)) أخرجه البخاري كتاب التوحيد ٧٤٣٥

(٤) سبق تخريجه

(٥) الإمام الأشعري . رسالة إلى أهل الثغر ص ٢٤٦ ت . د عبد الله شاكر الجنيدي ط ٣ / ١٤٢٧ عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة

((اتفق عليها الأنبياء والمرسلون وجميع الصحابة والتابعون ، وأئمة الإسلام على تتابع القرون ، وأنكرها أهل البدع المارقون ، والجهمية المتهكمون والفرعونية المعطلون ، والباطنية الذين هم من جميع الأديان منسلخون والرافضة الذين هم بحبائل الشيطان متمسكون ومن حبل الله منقطعون وعلى مسبة أصحاب رسول الله عاكفون وللسنة وأهلها محاربون ، ولكل عدو لله ورسوله ودينه مسالمون)) [1]

ويقول العلامة ابن سعدي [2] عند تفسيره للآية الكريمة ﴿ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي ﴾ [3]

((أي لن تقدر الآن على رؤيتي ؛ فإن الله تبارك وتعالى أنشأ الخلق في هذه الدار على نشأ لا يقدرون بها ولا يثبتون لرؤية الله ، وليس في هذا دليل على أنهم لا يرونه في الجنة ، فإنه قد دلت النصوص القرآنية والأحاديث النبوية على أن أهل الجنة يرون ربهم تبارك وتعالى ويتمتعون بالنظر إلى وجهه الكريم ، وأنه ينشأهم نشأة كاملة ، يقدرون معها على رؤية الله تعالى)) [4] .

---

(١) ابن القيم . حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ص ٤٠٢ ت : يوسف علي بديوي . دار طيبة الفراء ط ٤ / ١٤٢٠

(٢) هو الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي التميمي النجدي ، ولد بالقصيم بعنيزه سنة ١٣٠٧ هـ ، كتب في مختلف العلوم الشرعية ، واشتغل بالتأليف والتدريس منذ أن كان شاباً وله تلامذة كثر . انظر : الأعلام ٣ / ٣٤٠ ،وعلماء نجد خلال ثمانية قرون للبسام ٣ / ٢١٨.

(٣) الآية ١٤٣ سورة الأعراف

(٤) ابن سعدي . تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٤٠٢ مؤسسة الرسالة ط ١ / ١٤٢٣ هـ

المبحث الرابع

رد ابن عبد البر على القائلين بالحلول

رد ابن عبد البر على الحلولية [1] والذين أنكروا صفة العلو لله ﷻ ردوداً مفحمة بأدلة عقلية قوية لا يستطيعون إنكارها ؛ فيقول لمن أنكر صفة العلو وقال بأن الله موجود في كل مكان وذلك في تعليقه على حديث الرسول ﷺ عندما رأى نخامة في جدار المسجد فحكها بحصاة وقال ﷺ :

((إذا تنخم أحدكم فلا يتنخمن قبل وجهه ولا عن يمينه وليبصق عن يساره أو تحت قدمه اليسرى)) [2]

يقول ابن عبد البر :

---

(١) الحلولية هي نسبة إلى الحلول ومعناه لغة : هو اتحاد الجسمين بحيث تكون الإشارة إلى أحدهما إشارة إلى الآخر ، ويقال : حل المكان وحل به ويحل حلاً وحلولاً إذا نزل به ، والحلولية فرقة من المتصوفة تعتقد مذهب الحلول على غير ما قال به أهل السنة ، وهي عند المتصوفة وبعض فرق النصارى بمعنى حلول اللاهوت في الناسوت ، واللاهوت هو روح إلهية غير مخلوقة ، والناسوت هو الجسم البشري المخلوق . وينقسم عندهم باعتبار تمكنه إلى الحلول الجواري : وهو عبارة عن كون أحد الجسمين ظرفاً للآخر كحلول الماء في الكأس . والنوع الآخر هو الحلول السرياني وهو عبارة عن اتحاد الجسمين بحيث تكون الإشارة إلى أحدهما إشارة إلى الآخر كحلول ما الورد ، وينقسم باعتبار الخصوص والعموم إلى قسمين : أ. الحلول الخاص وهو قول النسطورية من النصارى ونحوهم الذين يقولون إن اللاهوت حل في الناسوت والصوفية الذين يقولون بأن الله حل في الأولياء ، والرافضة الذين يقولون بأن الله حل في علي وأئمة أهل البيت . ب. الحلول العام : وهو قول الجهمية ومن نحا نحوهم من الأشعرية الذين يقولون بأن الله بذاته في كل مكان . انظر القاموس مادة حلل ص٩٨٦ ، المعجم الوسيط مادة حلل ص ١٩٤ ، التعريفات للجرجاني ص ٩٢ والموسوعة الميسرة ٢ / ١٠٤٩ ، ومقدمة ابن خلدون ٥٨٩ ، ومجموع الفتاوى لابن تيمية ٢ / ١٧١

(٢) أخرجه البخاري كتاب الصلاة ٤٠٨ ، ومسلم كتاب المساجد ٥٤٨

((وأما قوله في هذا الحديث ، فإن الله قبل وجهه إذا صلى فكلام خرج على التعظيم لشأن القبلة وإكرامها – والله أعلم – والآثار تدل على ذلك مع النظر والاعتبار . وقد نزع بهذا الحديث بعض من ذهب مذهب المعتزلة في أن الله ﷻ في كل مكان ، وليس على العرش ، وهذا جهل من قائله ؛ لأن في الحديث الذي جاء فيه النهي عن البزاق في القبلة أنه يبزق تحت قدمه وعن يساره ، وهذا ينقض ما أصلوه في أنه في كل مكان)) (١)

ويرد رحمه الله على شبهتهم في نفيهم للعلو وأن الله في كل مكان وأنه لو كان في السماء لكان في مكان يحتويه ويحيط به فأشبه بذلك المخلوقات قائلاً :

((وأما احتجاجهم لو كان في مكان لأشبه المخلوقات ؛ لأن ما أحاطت به الأمكنة واحتوته مخلوق ، فشيء لا يلزم ولا معنى له ؛ لأنه ﷻ ليس كمثله شيء من خلقه ، ولا يقاس بشيء من بريته ، لا يدرك بقياس ولا يقاس بالناس لا إله إلا هو ، كان قبل كل شيء ثم خلق الأمكنة والسماوات والأرض وما بينهما ، وهو الباقي بعد كل شيء ، وخالق كل شيء لا شريك له ، وقد قال المسلمون وكل ذي عقل ، أنه لا يعقل كائن لا في مكان منا ، وما ليس في مكان فهو عدم ، وقد صح المعقول وثبت بالواضح في الدليل ، أنه كان في الأزل لا في مكان وليس بمعدوم ، فكيف يقاس على شيء من خلقه ؟ أو يجري بينه وبينهم تمثيل أو تشبيه ؟ تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً)) (٢)

---

(١) التمهيد ١٤ / ١٥٧

(٢) التمهيد ٧ / ١٣٥

وقد ألزم ابن عبد البر خصومه بأحد أمرين :

أولهما :

أنكم قلتم كان ولا مكان ثم خلق الأمكنة فصار في كل مكان وهذا يوجب القول بأن المعبود عندكم قد تغير فأصبح من لا مكان إلى كل مكان .

وثانيهما :

فإن أبوا ذلك لزمهم قولهم إن الله في كل مكان قدم الأماكن وأنها موجودة معه في أزله ، وهذا فاسد ، بل هذا كفر صريح .

يقول في ذلك رحمه الله :

((فإن قال قائل منهم إنا وصفنا ربنا أنه كان لا في مكان ، ثم خلق الأماكن فصار في مكان ، وفي ذلك إقرار منا بالتغيير والانتقال ، إذ زال عن صفته في الأزل ، وصار في مكان دون مكان قيل له : وكذلك زعمت أنت أنه كان لا في مكان وانتقل من لا مكان إلى كل مكان وهذا لا ينفك منه ؛ لأنه زعم أنه في الأزل في كل مكان كما هو الآن فقد أوجب الأماكن والأشياء موجودة معه في أزله ؟ وهذا فاسد .

فإن قيل : فهل يجوز عندك أن ينتقل من لا مكان في الأزل إلى مكان ؟ قيل له : أما الانتقال وتغير الحال فلا سبيل إلى إطلاق ذلك عليه لأن كونه في الأزل لا يوجب مكاناً

، وكذلك نقله لا يوجب مكاناً وليس في ذلك كالخلق ؛ لأن كون ما كونه يوجب مكاناً من الخلق ونقلته توجب مكاناً ويصير متنقلاً من مكان إلى مكان ، والله ﷻ ليس كذلك ؛ لأنه في الأزل غير كائن في مكان وكذلك نقلته لا توجب مكاناً وهذا ما لا تقدر العقول على دفعه ، ولكننا نقول استوى من لا مكان إلى مكان ، ولا نقول انتقل وإن كان المعنى في ذلك واحداً ، ألا ترى أنا نقول له عرش ولا نقول له سرير ومعناهما واحد ، لا نسميه ولا نصفه ولا نطلق عليه إلا ما سمى به نفسه)) (١)

ويرد على شبههم وتأويلاتهم الباطلة لبعض آيات القرآن الكريم ومستشهداً لبعضها بعدم ورود هذه التأويلات عن أحد من الصحابة أو التابعين قائلاً :

((فإن احتجوا بقول الله ﷻ : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَـٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَـٰهٌ ﴾ (٢) وبقوله : ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ﴾ (٣)

وبقوله : ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَـٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ (٤)

وزعموا أن الله تبارك وتعالى في كل مكان بنفسه وذاته تبارك وتعالى قيل لهم : لا خلاف بيننا وبينكم وبين سائر الأمة ، أنه ليس في الأرض دون السماء بذاته ، فوجب حمل هذه

---

(١) السابق ص ١٣٦

(٢) سورة الزخرف الآية ٨٤

(٣) سورة الأنعام الآية ٣

(٤) سورة المجادلة الآية ٧

الآيات على المعنى الصحيح المجتمع عليه وذلك أنه في السماء إله معبود من أهل الأرض

....

وأما احتجاجهم بقوله ﷻ : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ﴾ فلا حجة لهم في ظاهر هذه الآية ؛ لأن علماء الصحابة والتابعين الذين حملت عنهم التأويل في القرآن قالوا في تأويل هذه الآية : هو على العرش وعلمه في كل مكان وما خالفهم أحد يحتج بقوله)) [١]

ومن أقوى الأدلة التي رد بها على من يدعي أن الله موجود في كل مكان ، هو قول الله ﷻ لموسى : ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ﴾ [٢] فلو كان الله موجوداً في كل مكان لما كان هناك حاجة إلى أن يتجلى الله للجبل ، فقال رحمه الله :

((وفي قول الله ﷻ : ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ﴾ دلالة واضحة أنه لم يكن قُبل ذلك متجلياً للجبل)) [٣]

---

(١) التمهيد ٧ / ١٣٣

(٢) سورة الأعراف الآية ١٤٣

(٣) التمهيد ٧ / ١٥٣

ويورد بسنده حديث الرسول ﷺ عندما سئل أين كان الله قبل خلق السماوات والأرض ، فقال الرسول ﷺ :

((كان ما فوقه هواء وما تحته هواء ثم خلق عرشه على الماء)) ويذكر نصاً آخر :

((كان في عماء [1] فوقه هواء وتحته هواء)) [2]

وهذا الذي قرره ابن عبد البر رحمه الله في أن الله فوق عرشه بائن من خلقه وهو يعلم ما هم عليه ، لا يخفى عليه منهم خافية وبعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما يترل من السماء وما يعرج فيها وهو مع خلقه بعلمه وقدرته ، هو ما قرره علماء المسلمين من أهل السنة والجماعة من متقدميهم ومتأخريهم ، فمن ذلك ما رد به الإمام أحمد على الجهمية حيث قال :

((وإذا أردت أن تعلم أن الجهمي كاذب على الله حين زعم أن الله في كل مكان ولا يكون في مكان دون مكان ، فقل له : أليس الله كان ولا شيء ؟ فسيقول : نعم

---

(١) عماء . العماء هو السحاب . انظر لسان العرب ١٥ / ١١٣ ، والقاموس المحيط ص ١٣١٥

(٢) أخرجه الترمذي ٣١٠٩ وحسنه ، وصححه الطبري في تاريخه ١ / ٤٠ ، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : مشهور في كتب المسانيد ، مجموع الفتاوى ٢ / ٢٧٥ ، وقال صاحب عارضة الأحوذي صحيح ٦ / ٢٠٨

فقل له : حين خلق الله الشيء خلقه في نفسه أو خارجاً من نفسه ؟ فإنه يصير إلى ثلاثة أقاويل لا بد له من واحد منها :

إن زعم أن الله خلق الخلق في نفسه فقد كفر حين زعم أنه خلق الجن والشياطين وإبليس في نفسه .

وإن قال خلقهم خارجاً من نفسه ثم دخل فيهم ، كان هذا أيضاً كفر حين زعم أنه دخل مكان وحش قذر رديء .

وإن قال : خلقهم خارجاً من نفسه ثم لم يدخل فيهم ، رجع عن قوله كله أجمع وهو قول أهل السنة والجماعة)) (١)

ويقول الإمام أبو إسماعيل الهروي (٢) في بيان موافقة الأشاعرة للجهمية :

((فاسمعوا يا أولي الألباب وانظروا ما فضَّل هؤلاء – أي الأشاعرة – على أولئك – أي الجهمية – أولئك قالوا – قبح الله مقالتهم – إن الله موجود بكل مكان ، وهؤلاء

---

(١) الإمام أحمد بن حنبل . الرد على الزنادقة والجهمية ص ٣٠٠ ت . دغش العجمي دار الإمام البخاري . الدوحة ط ١ / ١٤٢٩ هـ

(٢) هو ابو إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي بن محمد الأنصاري الهروي يدعى شيخ الإسلام ، فقيه حنبلي ، إمام في التفسير والحديث والتصوف ، له مؤلفات عديدة ونافعة . توفى سنة ٤٨١ هـ بهراة . انظر : طبقات الحنابلة ٢ / ٢٤٧ ، الذيل على طبقات الحنابلة ١ / ٥٠ ، مناقب الإمام أحمد ص ٦٣٢

يقولون : ليس هو في مكان ولا يوصف بأين وقد قال المبلغ عن الله ﷺ لجارية معاوية بن الحكم رضي الله عنه أين الله [1])) [2]

ويقول ابن القيم في قصيدته النونية المشهورة :

((والله كان وليس شيء غيره	وبرى البرية وهي ذو حدثان
فسل المعطل هل براها خارجاً	عن ذاته أم فيه حلت ذان
لا بد مــن إحداهمـــا أو أنها	هي عينها ما ثم موجدان
ما ثم مخلوق وخالقـــه ومـــا	شيء مغاير هذه الأعيان
لا بد في إحدى ثلاث ما لها	من رابع خلواً من الروغان [3]

ويقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في تعليقه على آية المعية في سورة الحديد وهي قوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ ﴾ [4]

---

(١) سبق تخريجه

(٢) الإمام الهروي . ذم الكلام وأهله ٥ / ١٣٥ ت . عبد الله بن محمد الأنصاري مكتبة الغرباء الأثرية المدنية ط ١ / ١٤١٩ هـ

(٣) نونية ابن القيم مع شرحها لمحمد خليل هراس ١ / ١٩٩ . دار المنهاج ط ١ / ١٤٣٤ هـ

(٤) سورة الحديد الآية ٤

يقول رحمه الله :

((فيكون ظاهر الاية أن مقتضى هذه المعية علمه بعباده وبصره بأعمالهم ، مع علوه عليهم واستوائه على عرشه لا أنه سبحانه مختلط بهم ولا أنه معهم في الأرض وإلا لكان آخر الآية مناقضاً لأولها الدال على علوه واستوائه على عرشه)) [1]

---

(١) ابن عثيمين . القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى ص ٥٦ . مكتبة المعارف . الرياض ١٤٠٥ هـ

المبحث الخامس

رد ابن عبد البر على مقولة المعتزلة في مرتكب الكبيرة

رد ابن عبد البر على مقولة المعتزلة في مرتكب الكبيرة هو الرد نفسه على الخوارج في مرتكب الكبيرة[1] ، ويلخص ذلك في قوله :

((وقد جعل الله في ارتكاب الكبائر حدوداً جعلها كفارة وتطهيراً كما جاء في حديث عبادة عن النبي ﷺ فمن واقع منها شيئاً – يعني من الكبائر – وأقيم عليه الحد فهو له كفارة ، ومن لا فأمره إلى الله إن شاء غفر له وإن شاء عذبه وليس هذا حكم الكافر ؛ لأن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء))[2] .

ويرى الباحث أن شبهة الخوارج هي نفسها شبهة المعتزلة والرد عليها هو الرد نفسه فليس هناك حاجة للتكرار .

---

(١) يراجع المبحث الرابع من الفصل الأول

(٢)التمهيد ٩ / ٢٤٤

الفصل الخامس

موقف ابن عبد البر من القدرية

المبحث الأول

ذم ابن عبد البر للقدرية وإيراده آثاراً في ذلك

القدر في اللغة من مصدر : قَدَرَ يقدُرُ قدَراً ، وهو مبلغ الشيء وكنهه ، يقول ابن فارس[1] : ((القَدْر مبلغ الشيء ةكذلك القَدَر [2])) ويقول في موضع آخر :

((القاف والدال والراء : أصل صحيح يدل على مبلغ الشيء وكنهه ونهايته ؛ فالقدْر مبلغ كل شيء ، يقال قدْره كذا أي مبلغه ، وكذلك القدَر ، وقدرت الشيء أقدِره وأقْدُرُه من التقدير .))[3].

ويأتي القدر بمعنى الطاقة ، قال تعالى :﴿ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ ﴾[4]

ويأتي بمعنى التضييق ،قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ ﴾[5]

ويأتي بمعنى الحكم والقضاء ومنه قوله ﷺ في حديث الاستخارة :

((فاقدره لي ويسره لي))[6]

---

(١) هو أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد الرازي اللغوي ، ولد بقزوين ودرس بها على جميع علمائها ، له تصانيف في اللغة مشهورة منها معجم مقاييس اللغة ومجمل اللغة وغيرها ، توفي في همذان عام ٣٩٥هـ ، انظر يتيمة الدهر ٣ / ٣٩٧ ، وترتيب المدارك ٤ / ٦١٠ ، ونزهة الألباء صـ ٣٢٠

(٢) ابن فارس . مجمل اللغة ٣ / ٧٤٥ ، تحقيق زهير عبد المحسن ط١ ، ١٤٠٤هـ

(٣) ابن فارس . معجم مقاييس اللغة ٥ / ٦٢ ، تحقيق عبد السلام هارون . دار الكتب العلمية .

(٤) سورة البقرة الآية ٢٣٦

(٥) سورة الفجر الآية ١٦

(٦) أخرجه البخاري ، كتاب التهجد ١١٦٢

ويقول الفيروز آبادي[1] في تعريف القدر:

((القضاء والحكم ومبلغ الشيء ... والتقدير : التروية والتفكر في تسوية الأمر))[2] .

تعريف القدر شرعاً :

أما تعريفه شرعاً فقد سئل الإمام أحمد رحمه الله عن القدر فقال :

((القدر قدرة الله على العباد))[3]

وقال السفاريني[4] في تعريفه للقدر :

((ما سبق به العلم وجرى به القلم مما هو كائن إلى الأبد ، وأنه ﷻ قدر مقادير الخلائق وما يكون من الأشياء قبل أن تكون في الأزل ، وعلم سبحانه أنها ستقع في أوقات

---

(١) هو الإمام اللغوي الشهير أبو طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ، حفظ القرآن وهو ابن سبع سنين ودرس اللغة والأدب والحديث على علماء عصره منهم التاج السبكي وابن القيم وأحمد بن عبد الرحمن المرداوي ، كما أخذ منه علماؤهم جهابذة عصرهم كابن حجر والصلاح الصفدي وابن عقيل ، طاف بلاداً كثيرة ، واستقر به المقام في زبيد باليمن مدة عشرين سنة إلى أن وافته المنية عام ٨١٧هـ ، انظر : طبقات بن قاضي شهبه ٤ / ٧٩ ، والضوء اللامع ١٠ / ٧٩-٨٦ ، والبدر الطالع ٢ / ٢٨٠

(٢) الفيروز آبادي . القاموس المحيط صـ ٤٦٠

(٣) مسائل الإمام أحمد لابن هانئ ، ٢ / ١٥٥ ، المكتب الإسلامي بيروت ط١ ، ١٤٠٠هـ

(٤) هو العلامة محمد بن أحمد السفاريني أبو العون الحنبلي ، صاحب التصانيف كان عالماً بالحديث والأصول والأدب والفقه ، متأثراً بالمتكلمين ، توفي عام ١١١٨هـ . انظر السحب الوابلة ٢/ ٨٣٨ ، والأعلام ٦ / ١٤

معلومة عنده تعالى ، وعلى صفات مخصوصة فهي تقع على حسب ما قدرها))[1]

منزلته في الدين :

الإيمان بالقدر أصل من أصول الدين ؛ فهو الركن السادس من أركان الإيمان التي لا يتم الإيمان إلا بها وهي الواردة في حديث جبريل عليه السلام الذي يرويه عمر بن الخطاب رضي الله عنه وفيه قوله ﷺ عندما سأله جبريل عن الإيمان :

((أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره))[2]

أما الأدلة على وجوب الإيمان بالقدر في كتاب الله فكثيرة منها قوله تعالى : ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ ﴾[3]

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ ﴾[4]

وقوله تعالى : ﴿ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾[5]

---

(١) السفاريني . لوامع الأنوار البهية ١ / ٣٤٥ ، مؤسسة الخافقين . دمشق ط٢ ، ١٤٠٢هـ

(٢) أخرجه مسلم . كتاب الإيمان ، حديث رقم (١)

(٣) سورة الرعد الآية ٨

(٤) سورة القمر الآية ٤٩

(٥) سورة الأحزاب الآية ٣٨

ومن الأدلة من السنة قوله ﷺ : ((كل شيء بقدر حتى العجز والكيس))(1)

وقوله ﷺ : ((لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع : يشهد أن لا إله إلا الله ، وأني رسول الله بعثني بالحق ، ويؤمن بالموت وبالبعث ويؤمن بالقدر))(2) .

والإيمان بالقدر يقوم على أربعة أركان من انتقص واحداً منها فقد اختل إيمانه بالقدر ، يقول ابن القيم رحمه الله في ذلك :

((مراتب القضاء والقدر التي من لم يؤمن بها لم يؤمن بالقضاء والقدر وهي أربع مراتب :

المرتبة الأولى : علم الرب سبحانه بالأشياء قبل كونها .

المرتبة الثانية : كتابته لها قبل كونها .

المرتبة الثالثة : مشيئته لها .

المرتبة الرابعة : خلقه لها(3))).

نشأة الكلام في القدر :

لقد دارت أسئلة عند بعض الصحابة رضوان الله عليهم في القدر(4) ؛ فأخذوا يخوضون ويتجادلون فيه ، فخرج عليهم رسول الله ﷺ وهم يخوضون في القدر ؛ فغضب ﷺ

---

(1) أخرجه مسلم . كتاب القدر ٢٦٥٥

(2) أخرجه الترمذي في سننه ٢١٤٥ ، وصححه الألباني في صحيح الترمذي ، وصحيح ابن ماجة ١ / ٢١

(3) ابن القيم . شفاء العليل في مسائل القضاء والحكمة والتعليل ١ / ١٣٣ مكتبة العبيكان ، الرياض ط١ ، ١٤٢٠هـ

(4) انظر القضاء والقدر لابن تيمية صـ٢٨٢ وما بعدها،والقضاء والقدر د.عمر سليمان الأشقر صـ ١٩ وما بعدها ، والقضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة د. عبد الرحمن المحمود صـ١٦٢ وما بعدها ، ورسائل ودراسات في الأهواء والافتراق والبدع د. ناصر العقل ٢ / ١٥٤ وما بعدها .

غضباً شديداً ونهاهم عن الخوض في القدر : يقول الصحابي الذي روى هذا :

((خرج رسول الله ﷺ على أصحابه وهم يختصمون في القدر فكأنما يفقأ في وجهه حب الرمان من الغضب ، فقال : بهذا أمرتم ؟ تضربون القرآن بعضه ببعض ، بهذا هلكت الأمم قبلكم))(١) .

وفي رواية أخرى :

((أبهذا أمرتم ، أم بهذا أرسلت إليكم ؟ إنما هلك من كان قبلكم حين تنازعوا في هذا الأمر ، عزمت عليكم ألا تنازعوا فيه))(٢)

فاستجابوا رضوان الله عليهم وأخذوا بعزيمته ﷺ ، فلم يعرف أحد من الصحابة انه نازع في القدر في حياته ﷺ أو بعد مماته .

وفي أواخر عهد الصحابة كانت البداية الحقيقية لنشأة الخلاف في القدر ، يحدثنا عن ذلك الإمام مسلم في صحيحه : عن يحيى(٣) بن معمر فيقول :

---

(١) سنن ابن ماجة المقدمة ٨١ وقال الألباني حسن صحيح ، انظر صحيح ابن ماجة حديث رقم ٦٩ ، وقال أحمد شاكر صحيح . انظر شرحه على مسند الإمام أحمد حديث رقم ٦٦٦٨

(٢) سنن الترمذي حديث رقم ٢١٣٣ وصححه الألباني في صحيح الترمذي

(٣) هو يحيى بن يعمر البصري ، نزيل مرو وقاضيها ، ثقة فصيح ، ولد بالبصرة وأخذ العربية عن أبي الأسود الدؤلي ، وروي عن عثمان وعلي وعمار بن ياسر وابن عباس ، كان عالماً بالقرآن والنحو ولغات العرب ، مات بخراسان سنة ١٢٩هـ ، انظر : طبقات فحول الشعراء ١ / ٣٢٢ ، ، ومعجم الأدباء ٢٠ / ٤٢ ، والتقريب ٢ / ٣٦١ ، ومناهج اللغويين في تقرير العقيدة صـ ٧٨٤

((كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني[١] ... ثم ذكر يحيى أنه لقي عبد الله[٢] ابن عمر فقال – أبا عبد الرحمن إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرؤون القرآن ويتقفرون العلم { وذكر شأنهم } وأنهم يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف[٣] قال : فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم وأنهم براء مني والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر[٤])) .

ويقول الإمام الأوزاعي رحمه الله :

((أول من نطق في القدر رجل من أهل العراق يقال له : سوسن ، وكان نصرانياً فأسلم ثم تنصر فأخذ عنه معبد الجهني وأخذ غيلان[٥] عن معبد))

---

(١) هو معبد الجهني ، يقال إنه ابن عبد الله بن عكيم أو عبد الله بن عويم ، مبتدع ضال ، وهو أول من تكلم في القدر بالبصرة ، وكان رأساً في القدر ، وقد نهى الحسن الناس عن مجالسته ، قتله الحجاج سنة ٨٠هـ ، انظر ميزان الاعتدال ٤ / ١٤١ ، تهذيب التهذيب ١٠ / ٢٢٥ وتقريب التهذيب ٢ / ٢٦٢

(٢) هو عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، صحابي جليل ، ولد سنة ثلاث من البعثة وهاجر إلى المدينة وهو ابن عشر ، اشتهر ﷺ بالورع والعبادة ، وكان ممن اعتزل الفتنة بعد مقتل عثمان ﷺ توفي سنة ٧٣هـ . انظر الاستيعاب ٢ / ٩٥٠ ، أسد الغابة ٣ / ٢٢٧ ، الإصابة ٢ / ٣٤٧

(٣) أنف : أي مستأنف ، لم يسبق به قدر ولا علم من الله تعالى وإنما يعلمه بعد وقوعه . انظر شرح النووي على صحيح مسلم ١ / ١٥٥

(٤) أخرجه مسلم . كتاب الإيمان –١–

(٥) هو غيلان بن مسلم أبو مروان الدمشقي ، من أصحاب الحسن البصري في الفقه ، وله أتباع يقال لهم الغيلانية كان قبطياً قدرياً ، قيل إنه لم يتكلم أحد في القدر قبله إلا معبد الجهني ، قال عنه الذهبي : ضال مسكين ، قتله هشام بن عبد الملك بعد سنة ١٠٥ هـ . انظر : ميزان الاعتدال ٣ / ٣٣٨ ، والأعلام ٥ / ٣٢٠

وهناك أكثر من قول في نشأة القدرية إلا أن القول السابق هو أرجح الأقوال[1] :

فرق القدرية :

أولاً : القدرية النفاة وهم الذين ينفون القدر ، والقدرية النفاة مرت بمرحلتين :

المرحلة الأولى :

وهي الفترة التي نشأت فيها أقوال معبد الجهني وغيلان الدمشقي وذلك في نهاية عصر الصحابة ، يقول ابن تيمية – رحمه الله – :

((وهذا القول أول ما حدث في الإسلام بعد انقضاء عصر الخلفاء الراشدين ، وبعد إمارة معاوية بن أبي سفيان في زمن الفتنة التي كانت بين ابن الزبير ، وبين بني أمية في أواخر عصر عبد الله بن عمرو وعبد الله بن عباس وغيرهما من الصحابة ، وكان أول من ظهر عنه ذلك بالبصرة معبد الجهني ، فلما بلغ الصحابة قول هؤلاء تبرؤوا منهم وأنكروا مقالتهم[2]))

وترتكز مقولات القدرية الأولى على محورين[1] :

---

(١) انظر : القضاء والقدر د. عبد الرحمن صالح المحمود ص ١٦٥ وما بعدها

(٢) ابن تيمية . القضاء والقدر ص ٢٧٨ . تحقيق أحمد عبد الرحيم والسيد الجميلي . دار الكتاب العربي ١٤٢٩ هـ

١: نفي علم الله ﷻ بالأشياء قبل وقوعها .

٢: نفيهم خلق الله لأفعال العباد .

وهذا هو مفهوم حديث مسلم أنهم { يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف } وهؤلاء قد انقرض مذهبهم .

المرحلة الثانية :

وهو ظهور طائفة أخرى وهي المعتزلة تختلف قليلاً عن سابقتها وذلك بأنهم يثبتون العلم لله ولكنهم يقولون أن الله عليم بلا علم مع نفيها للقدر ، وقد ظهر لهذه الفرقة أتباع ومناصرون على مر العصور وألفوا في ذلك الكتب والرسائل في شرح عقيدتهم[٢] وهؤلاء هم الذين انتشر على أيديهم القول بنفي القدر .

ثانياً – القدرية المثبتون وهم الجبرية وسيأتي الحديث عنهم – إن شاء الله – في المبحث التالي .

---

(١) انظر رسائل ودراسات في الأهواء والافتراق والبدع ص ١٦١ وما بعدها ، والقضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ص ١٦٢ وما بعدها .

(٢) انظر : ضحى الإسلام لأحمد أمين ٣ / ٩٠ ، ومذاهب الإسلاميين لعبد الرحمن بدوي ص ٨٢ وما بعدها

لقد ذم ابن عبد البر القدرية واعتبرهم أصحاب أهواء وأنهم أهل ضلال وتحريف وتأويل لكتاب الله ، ويورد في ذلك الأحاديث عن رسول الله ﷺ والآثار عن الصحابة والسلف الصالح من بعدهم رضوان الله عليهم أجمعين في ذمهم وذم بدعتهم وأنهم رضوان الله عليهم لم يخوضوا في مسائل القدر و لم يضربوا النصوص بعضها ببعض ؛ فقد روى بسنده حديثين عن رسول الله ﷺ ينهي فيهما عن الخوض في القدر ؛ الحديث الأول قوله ﷺ :

{إذا ذكر القدر فأمسكوا وإذا ذكرت النجوم فأمسكوا ، وإذا ذكر أصحابي فأمسكوا}(1) .

والحديث الآخر قوله ﷺ :

{ أخاف على أمتي بعدي ثلاثاً : حيف الأئمة ، وإيمان بالنجوم ، وتكذيب بالقدر }(2)

ويروي أثراً عن ابن عباس أنه قال :

{ لا يزال أمر هذه الأمة متقارباً حتى يتكلموا في الولدان والقدر }(3) .

ويقول رحمه الله عن النصوص التي رواها السلف في الصفات والقدر أنهم سكتوا عنها لا عن عيٍ وعدم فهم ، بل لابتعادهم عن التكلف وتجنبهم الخوض في آيات الله .

---

(1) جامع بيان العلم وفضله ٢ / ٧٩٤ وقال محقق الكتاب إسناده صحيح وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة حديث ٣٤

(2) جامع بيان العلم وفضله ٢ / ٧٩٥ وقال محقق الكتاب حديث حسن .

(3) السابق ٢ / ٩٣٥

ويروي – رحمه الله – أثراً عن إمامين عظيمين في ذمهما لمن تكلم في القدر ؛ الإمام الأول هو مالك بن أنس ﷺ ورحمه والأثر الآخر عن الشافعي ﷺ ورحمه .

يقول الإمام مالك :

((الكلام في الدين أكرهه ، وكان أهل بلدنا يكرهونه وينهون عنه نحو الكلام في رأي جهم والقدر ، وكل ما أشبه ذلك ، ولا أحب الكلام إلا فيما تحته عمل[1]))[2] .

ويعلق ابن عبد البر على قول مالك قائلاً :

((قد بين مالك أن الكلام فيما تحته عمل هو المباح عنه وعند أهل بلده – يعني العلماء منهم ﷺ– وأخبر أن الكلام في الدين نحو القول في صفات الله وأسمائه وضرب مثلاً فقال : نحو رأي جهم والقدر ، والذي قاله مالك عليه جماعة الفقهاء والعلماء قديماً وحديثاً من أهل الحديث والفتوى ، وإنما خالف ذلك أهل البدع))[3] .

ويروي أثراً عن الشافعي أنه يقول :

((لو علم الناس ما في الكلام من الأهواء لفروا منه كما يفر من الأسد))[4] .

(١) أخرجه اللالكائي في الاعتقاد رقم ٣٠٩
(٢) جامع بيان العلم وفضله ٢ / ٩٣٨
(٣) السابق ٢ / ٩٣٨
(٤) جامع بيان العلم وفضله ٢ / ٩٤٥

وذلك في تعليقه على الأثر الذي رواه عن جعفر بن محمد أنه قال :

((الناظر في القدر كالناظر في عين الشمس كلما ازداد نظراً ازداد حيرة))[1] ؛ حيث يقول :

((.... رواها السلف وسكتوا عنها ، وهم كانوا أعمق الناس علماً ، وأوسعهم فهماً ، وأقلهم تكلفاً ، ولم يكن سكوتهم عن عيٍ ، فمن لم يسعه ما وسعهم فقد خاب وخسر))[2] .

ويروي عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه أنه قال :

((وايم الله إنا كنا لنتلفظ السنن من أهل الفقه والثقة ونتعلمها شبيهاً بتعلمنا آي القرآن ، وما برح من أدركنا من أهل الفقه والفضل من خيار أولية الناس يعيبون أهل الجدل والتنقيب والأخذ بالرأي وينهون عن لقائهم ومجالستهم ، ويحذرون مقاربتهم أشد التحذير ويخبرون أنهم أهل ضلال وتحريف لتأويل كتاب الله وسنن رسول الله ﷺ ، وما توفي رسول الله ﷺ حتى كره المسائل وناحية التنقيب والبحث وزجر عن ذلك وحذره المسلمين في غير موطن حتى كان من قوله كراهية لذلك :

---

(١) جامع بيان العلم وفضله ٢ / ٢٤٦

(٢) هو عبد الرحمن بن عبد الله بن ذكوان المدني ، صدوق ، تغير حفظه لما قدم بغداد وكان من الفقهاء ، سمع من أبيه ، وسمع أبوه من عروة بن الزبير ، توفي سنة ١٧٤ هـ ، انظر الجرح والتعديل ٥ / ٤٩ ، المجروحين ٢ / ٥٦ ، الميزان ٢ / ١١١

{ ذروني ما تركتم فإنما هلك الذين من قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم ، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وإذا أمرتكم بشيء فخذوا منه ما استطعتم }(١)))(٢) .

وهذا القول لابن عبد البر في أهل القدر هو موافق لما قاله السلف رضوان الله عليهم في ذمهم والتحذير منهم وانهم أصحاب أهواء وبدع ، يقول ابن سيرين – رحمه الله – :

((إن لم يكن أهل القدر من الذين يخوضون في آيات الله ﷻ فلا أدري ما هم))(٣) .

ويقول ابن القيم – رحمه الله – في ذم القدرية سواء المثبتة منهم أو النفاة :

((والمخاصمون في القدر نوعان :

أحدهما : من يبطل أمر الله ونهيه بقضائه وقدره كالذين قالوا : ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾(٤) .

الثاني : من ينكر قضاءه وقدره السابق ، والطائفتان خصماء الله))(٥) .

ويذكر ابن رجب كلاماً شبيهاً بما قاله ابن القيم فيقول :

---

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ٧٢٨٨ ، وأخرجه مسلم كتاب الحج ١٣٣٧

(٢) جامع بيان العلم وفضله ٢ / ٩٤٦

(٣) ورد هذا الأثر في السنة للإمام عبد الله بن الإمام أحمد ٢ / ٤٣٢ وقال محقق الكتاب إسناده حسن

(٤) سورة الأنعام الآية رقم ١٤٨

(٥) ابن القيم ، شفاء العليل ١ / ١٣٠

((والنهي عن الخوض في القدر يكون على وجوه منها : ضرب كتاب الله بعضه ببعض ؛ فيترع المثبت للقدر بآية والنافي له بأخرى ويقع التجادل في ذلك .... ومنها الخوض في القدر إثباتاً ونفياً بالأقيسة العقلية ؛ كقول القدرية : لو قدر وقضى ثم عذب كان ظالماً ، ويقول من خالفهم : إن الله جبر العباد على أفعالهم ونحو ذلك))[1].

كما يورد الإمام محمد بن عبد الوهاب باباً في كتابه التوحيد بعنوان (باب — ما جاء في منكري القدر) يذكر فيه مجموعة من أحاديث الرسول ﷺ في القدر ، ويستخرج منها تسع مسائل منها :

((بيان فرض الإيمان بالقدر .

إحباط عمل من لم يؤمن به .

أنه جرى بالمقادير في تلك الساعة إلى قيام الساعة))[2] .

ويقول أحد علماء العقيدة المعاصرين وهو الدكتور محمد الجامي[3] — رحمه الله — في ضلال القدرية وسوء معتقدهم :

---

(١) ابن رجب ، فضل علم السلف على الخلف ص ١٤ ، ١٥ ، إدارة الطباعة المنيرية ط ٣ سنة ١٤٠٤ هـ

(٢) الإمام محمد بن عبد الوهاب . كتاب التوحيد ص ٧٦ ضمن كتاب جامع متون التوحيد والعقيدة ، مكتبة الهدي المحمدي ط ١ ١٤٢٩ هـ

(٣) هو العلم المعروف محمد بن أمان الجامي المدرس بالجامعة الإسلامية والمسجد النبوي توفي سنة ١٤١٦ هـ رحمه الله .

((ولما ظهرت بدعة القدرية ، بادر علماء السلف من الصحابة والتابعين إلى إنكار بدعة القدرية والتحذير منها والتبرؤ منها ومن أهلها وذموها وبينوا للناس خطورتها على الإيمان بالله تعالى ؛ لأن الإيمان بالقدر نظام التوحيد ، ومن كفر بالقدر فقد نقص توحيده ..... والقدرية بالمفهوم المعاكس – الجبرية – تجعل العبد مجبوراً ومدفوعاً إلى الأعمال من خير وشر ، ثم يجازى خيراً أو شراً ، وهي ضلالة أخرى))[1] .

---

(١) الدكتور محمد الجامي . مجموع رسائل الجامي ص ٣٠ ، دار ابن رجب بالمدينة المنورة ط ١ ١٤١٤ هـ

المبحث الثاني

مناقشة ابن عبد البر لرأي القدرية في حديث احتجاج آدم وموسى عليهما السلام

أورد ابن عبد البر حديث احتجاج آدم وموسى عليهما السلام بصيغ مختلفة وأسانيد مختلفة سواء في التمهيد أو الاستذكار ، وهو حديث صحيح روي في البخاري ومسلم وكثير من دواوين السنة فقد روى بسنده عن رسول الله ﷺ أنه قال :

((إن موسى عليه السلام قال : يا ربي أرني أبانا آدم الذي أخرجنا من الجنة فأراه الله آدم قال : نعم ، قال : أنت الذي نفخ الله فيك من روحه وعلمك السماء كلها وأمر ملائكته فسجدوا لك ؟ قال : نعم ، قال : فما حملك على أن أخرجتنا ونفسك من الجنة ؟ قال : من أنت ؟ قال : أنا موسى ، قال : أنت نبي بني إسرائيل الذي كلمك الله من وراء حجاب و لم يجعل بينك وبينه رسولاً من خلقه ؟ قال : نعم ، قال : فما وجدت في كتاب الله الذي انزل عليك أن ذلك في كتاب الله قبل أن أخلق ؟ قال : نعم ، قال : أتلومني في شيء سبق من الله فيه القضاء قبل ؟ قال : عند ذلك رسول الله ﷺ : فحج آدم موسى[1]))[2] .

ويناقش القدرية النفاة من خلال هذا الحديث مثبتاً فيه عقيدة أهل السنة والجماعة في القدر وعلم الله سبحانه وأن الله ﷻ قد قدر أعمال العباد فكل يجري فيما قدر له فيقول – رحمه الله – :

---

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري كتاب القدر ٦٦١٤ ، ومسلم كتاب القدر ٢٦٥٢

(٢) الاستذكار ٢٦ / ٨٤ ، وانظر التمهيد ١٨ ص ١١ وما بعدها

((هذا الحديث عند جماعة أهل العلم بالحديث صحيح في جهة الإسناد ، وكلهم يرويه ويقر بصحته ، ويحتج به أهل الحديث والفقه وهم أهل السنة في إثبات قدم علم الله عز وجل ذكره))[1] .

ويقول في تعليق آخر مؤكداً أن علم الله القديم أصل من أصول عقيدة أهل السنة والجماعة :

((وفيه الأصل الجسيم الذي أجمع عليه أهل الحق وهو أن الله ﷻ قد فرغ من أعمال العباد ؛ فكل يجري فيما قدر له وسبق في علم الله تبارك اسمه))[2] .

ويقرر – رحمه الله – أن القدر مكتوب عند الله وقد سبق في علمه سبحانه وأنه مكتوب عنده ما يكون إلى آخر الأبد فيقول :

((وفي هذا الحديث دليل على أن الله ﷻ قد سبق في علمه ما يكون وأنه في كتاب مسطور ، جرى القلم فيه بما يكون إلى آخر الأبد ، وأن العباد لا يعلمون إلا فيما قد علمه الله ﷻ وقضى به وقدره))[3] .

---

(١) الاستذكار ٢٦ / ٨٥

(٢) التمهيد ١٨ / ١٦

(٣) الاستذكار ٢٦ / ٨٥

ويوضح – رحمه الله – أن هذا الحديث من أوضح الأحاديث التي رويت عن الرسول ﷺ في إثبات القدر ، وأن من أنكره واعترض عليه هم القدرية أهل البدع قائلاً :

((هذا الحديث من أوضح ما روي عن الرسول ﷺ في إثبات القدر ودفع قول القدرية))[1] .

ويقول : ((وأما أهل البدع فينكرونه ويدفعونه ويعترضون فيه بدروب من القول كرهت ذكر ذلك))[2] .

وما قرره ابن عبد البر في القدر وفي علم الله الأزلي وأنه سبحانه كتب مقادير الخلائق قبل خلق السماوات والأرض كما ثبت في الكتاب والسنة ، هو نفسه ما قرره علماء الإسلام من السلف الصالح من القرون الأولى إلى عصرنا الحاضر ، فهذا الإمام أحمد يقول في القدر :

((أجمع سبعون رجلاً من التابعين وأئمة المسلمين وأئمة السلف وفقهاء الأمصار على أن السنة التي توفي عليها رسول الله ﷺ : أولها الرضا بقضاء الله ، والتسليم لأمر الله ، والصبر تحت حكمه ، والأخذ بما أمر الله به والنهي عما نهى عنه ، وإخلاص العمل لله ، والإيمان بالقدر خيره وشره ، وترك المراء والجدال والخصومات في الدين))[1] .

---

(١) التمهيد ١٨ / ١٧

(٢) الاستذكار ٢٦ / ٨٥

ويقول شيخ المالكية في المغرب ابن أبي زيد القيرواني[2] في مقدمة رسالته في الفقه :

((والإيمان بالقدر خيره وشره حلوه ومره وكل ذلك قد قدره ربنا ، ومقادير الأمور بيده ، ومصدرها عن قضائه ، علم كل شيء قبل كونه فجرى على قدره ، لا يكون من عباده قول ولا عمل إلا وقد قضاه وسبق علمه به ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [3] ، يضل من يشاء فيخذله بعدله ، ويهدي من يشاء فيوفقه بفضله ؛ فكل ميسر بتيسيره إلى ما سبق من علمه وقدره من شقي أو سعيد ، تعالى أن يكون في ملكه ما لا يريد ، أو يكون لأحد عنه غنىً خالقاً لكل شيء إلا هو ، رب العباد ورب أعمالهم ، والمقدر لحركاتهم وآجالهم))[4] .

ويقرر هذا المعنى الفقيه الحنبلي ابن قدامة المقدسي[5] في أن الأقدار كلها بيد الله وهي

---

(١) ابن الجوزي ، مناقب الإمام أحمد ص ٢١٩

(٢) هو عبد الله بن أبي زيد القيرواني المالكي ، الفقيه العلامة ، عالم أهل المغرب ، له مؤلفات عدة وكان على طريقة السلف ، توفي سنة ٣٨٦ هـ أو ٣٨٩ هـ . انظر الفهرست ٢٥٣ ، ترتيب المدارك للقاضي عياض ٤ / ٤٩٢ ، الديباج المذهب ١ / ٤٢٧

(٣) سورة الملك الآية رقم ١٤

(٤) مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني مع شرحها – قطف الجنى الداني للشيخ عبد المحسن العباد ص ٩٦ ، دار الفضيلة للنشر ، الرياض ط ١ ١٤٢٣ هـ

(٥) هو عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي ثم الدمشقي ، موفق الدين أبو محمد صاحب كتاب المغني في الفقه الحنبلي ، وصاحب التصانيف الكثيرة ، ولد ٥٤١ هـ وتوفي ٦٢٠ هـ ، انظر السير ٢٢ / ١٦٥ ، ذيل طبقات الحنابلة ٢ / ١٣٣ ، شذرات الذهب ٥ / ٨٨

مكتوبة عنده في اللوح المحفوظ ، ولا يصدر شيء إلا عن تقديره وعلمه سبحانه فيقول :

((من صفات الله تعالى أنه الفعال لما يريد ، لا يكون شيء إلا بإرادته ، ولا يخرج شيء إلا عن مشيئته ، وليس في العالم شيء يخرج عن تقديره ، ولا يصدر إلا عن تدبيره ولا محيد لأحد عن القدر المقدور ، ولا يتجاوز ما خط في اللوح المسطور ، أراد ما العالم فاعلوه ، ولو عصمهم ما خالفوه ، ولو شاء أن يطيعوه جميعاً لأطاعوه ، خلق الخلائق وأفعالهم ، وقدر أرزاقهم وآجالهم ، يهدي من يشاء برحمته،ويضل من يشاء بحكمته))[1].

ويقول علم من أعلام المسلمين المعاصرين في علوم العقيدة وهو الدكتور محمد خليل هراس — رحمه الله — في تعليقه على منهج ابن تيمية السلفي ومذهبه في القدر :

((وهو مذهب يقوم على الإيمان بعموم قدرة الله تعالى ، وشمول مشيئته ، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن .... وابن تيمية ينكر على المعتزلة جحدهم لعموم قدرة الله تعالى وشمول مشيئته وقولهم إن الحيوانات تصدر عنها أفعالها على سبيل الاستقلال من غير تأثير لقدرة الله ولا لمشيئته في شيء منها ويرى تبعاً للأشاعرة أنهم أشبهوا في ذلك المجوس الذين يقولون بخالقين ؛ خالق للخير أو النور ، وخالق للظلمة أو الشر ....

---

(١) موفق الدين بن قدامة ، لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد ص ١٩ — ٢٠ السلفية بالقاهرة ط ٢ ، ١٣٩٧

ولكن شر الطوائف في نظر ابن تيمية بالنسبة إلى القدر طائفة يسميهم بـــ { القدرية المجبرة } يقولون : إن الله جبر عباده على ما أراد ويحتجون بالقدر على إبطال الأمر والنهي والوعد والوعيد ، .... ولئن كان المعتزلة في نظره يشبهون المجوس فهؤلاء يشبهون المشركين عباد الأصنام الذين يقولون ﴿ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ ﴾ [1] .... وهذا فيما نعتقد المذهب الوسط بين من ينفي القدر ويكذب به ، وبين من يثبته ثم يعارض به النظام الشرعي أو الطبيعي))[2] .

(١) سورة الأنعام الآية رقم ١٤٨

(٢) محمد خليل هراس ، ابن تيمية السلفي ص ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧ . دار الشريعة للطباعة والنشر بالقاهرة ط ١ ١٤٢٤ هـــ

المبحث الثالث

مناقشة ابن عبد البر لرأي القدرية في آية الفطرة

لقد أسهب ابن عبد البر في ذكر أقوال الناس في الفطرة وقسمها إلى ستة أقوال ، يذكر كل قول بأدلته ، إلا أن المقام لا يسمح باستعراض تلك الأقوال كلها بأدلتها ولكن قمت بتلخيصها حتى لا يفوتنا شيء من كلامه حول هذه المسألة ، والذي يعنينا هنا هو رده على القدرية النفاة من خلال تعليقه على آية الفطرة وهي قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾(١) مع الإشارة إلى القول الذي تبناه ، وهذه الأقوال هي :

١:إن الفطرة هي الإسلام .

٢:إن الفطرة هي الخلقة التي خلق عليها المولود من المعرفة بربه وهو القول الذي تبناه ابن عبد البر – رحمه الله – .

٣:إن معنى الفطرة هي البداءة التي ابتدأهم عليها ؛ أي على ما فطر الله عليه خلقه من أنهم ابتدأهم من الحياة والموت والشقاء والسعادة وإلى ما يصيرون إليه عند البلوغ من ميولهم عن آبائهم واعتقادهم وذلك ما فطرهم الله عليه مما لا بد من مصيرهم إليه .

---

(١) سورة الأعراف الآيتان ١٧٢ ، ١٧٣

٤:إن المراد بالفطرة ما أخذه الله من ذرية آدم من الميثاق قبل أن يخرجوا إلى الدنيا يوم استخرج ذرية آدم من ظهره فخاطبهم ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ﴾ فـأقـروا بالربوبية عن معرفة منهم ثم أخرجهم من أصلاب آبائهم مخلوقين مطبوعين على ذلك الإقرار ولكنه إقرار من الطبيعة للرب فطرة ألزمها قلوبهم ثم أرسل إليهم الرسل فدعوهم للاعتراف له بالربوبية والخضوع ، فمنهم من أنكر وجحد بعد المعرفة .

٥:إن المراد بالفطرة أن الله قد فطرهم على الإنكار والمعرفة وعلى الكفر والإيمان فأخذ من ذرية آدم الميثاق حين خلقهم فقال : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ ﴾ فأما أهل السعادة قالوا بلى طوعاً من قلوبهم وأما أهل الشقاوة قالوا بلى كرهاً لا طوعاً .

٦:إن المراد بالفطرة هي ما يقلب الله قلوب الخلق إليه مما يريد ويشاء ؛ فقد يكفر العبد ثم يؤمن فيموت مؤمناً وقد يؤمن ثم يكفر فيموت كافراً وذلك كله تقدير الله وفطرته لهم(١)

---

(١) انظر التمهيد ١٨ ص ٥٨ وما بعدها ، وانظر مناقشة هذه الأقوال طرح التثريب في شرح التقريب ٧ / ٢٢٥ وما بعدها ، وفطرية المعرفة للدكتور أحمد بن سعد الحمدان ، وعقيدة ابن عبد البر في التوحيد والإيمان للدكتور سليمان الغصن ص ٤٢٦ وما بعدها ، وأحاديث العقيدة التي يوهم ظاهرها التعارض للدكتور سليمان الدبيخي ص ٥٥٢ وما بعدها ، والفطرة حقيقتها ومذاهب الناس فيها للدكتور علي القرني ص ١٢٥ وما بعدها ، وحقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين للدكتور عبد الرحيم بن صمايل السلمي ص ١٣١ وما بعدها

ولقد أورد – رحمه الله – أحاديث وآثاراً بصيغ مختلفة عند تعليقه على آية الفطرة وهذه الأحاديث والآثار التي ذكرها جاءت في تفسير معنى الآية الكريمة وفيها إثبات علم الله الأزلي وكتابته للأقدار قبل خلق الخلائق ، وفيها أن الله قد قضى على أناس أنهم من أهل الجنة وأناس أنهم من أهل النار وأنهم ميسرون لما خلقوا له ، فمن كتب له الجنة فهو من أهل الجنة ومن كتب له النار فهو من أهل النار ، ولا معقب لحكمه سبحانه .

ويذكر ابن عبد البر في أكثر من موضع بعد آية الفطرة مباشرة قوله ﷺ عندما سئل عن هذه الآية فيقول ﷺ :

((إن الله تبارك وتعالى خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية فقال : خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون ، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال : خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون ، فقال رجل : يا رسول الله ففيم العمل ؟ قال فقال رسول الله ﷺ : إن الله تبارك وتعالى إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة ؛ فيدخله به الجنة ، وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله به النار[١]))[٢]

ويقول معلقاً على الآية والحديث ومقرراً أنه إجماع أهل السنة :

---

(١) أخرجه الإمام مالك في الموطأ ١٨٧٣ ، وأحمد في المسند ١ / ٤٤ وقال شعيب صحيح لغيره

(٢) التمهيد ٦ / ٢ وما بعدها و ٢٦ / ٨٩ ، والاستذكار ٢٦ / ٨٩

((ومعنى الآية والحديث أنه أخرج ذرية آدم من ظهره كيف شاء ذلك ، وألهمهم أنه ربهم فقالوا : بلى ، لئلا يقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين ثم تابعهم بحجة العقل عند التمييز وبالرسل بعد ذلك استظهاراً بما في عقولهم من المنازعة إلى خالق مدبر حكيم يدبرهم بما لا يتهيأ لهم ، ولا يمكنهم جحده وهذا إجماع أهل السنة والحمد لله))(1) .

ويروي أثراً يقول أنه عن مجموعة من الصحابة في تفسيرهم لآية الفطرة بأن الله يختار بمشيئته اناساً يكونوا من أهل الجنة وأناساً يكونوا من أهل النار مع أخذ الميثاق عليهم بالربوبية وهذه هي الفطرة التي أخذ الله عليها الميثاق ؛ فمنهم من آمن طوعاً ومنهم من آمن كرهاً . فيقول – رحمه الله – :

((قالوا لما أخرج الله آدم من الجنة قبل أن يهبطه من السماء مسح صفحة ظهره اليمنى فأخرج منها ذرية بيضاء مثل اللؤلؤ كهيئة الذر فقال لهم : ادخلوا الجنة برحمتي ، ومسح صفحة ظهره اليسرى فأخرج منها ذرية سوداء كهيئة الذر فقال ادخلوا النار ولا أبالي ، فذلك تفسير قوله أصحاب اليمين والشمال ثم أخذ منهم الميثاق فقال : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ ﴾ فأعطاه طائفة طائعين وطائفة كارهين التقية ، فقال هو والملائكة

---

(1) التمهيد ١٨ / ٨٩

﴿ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ ﴾ قالوا فليس أحد من ولد آدم إلا ويعرف الله أنه ربه وذلك قوله ﷻ : ﴿ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾ [1] وذلك قوله تعالى : ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَـٰلِغَةُ ۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[2] يعني يوم أخذ الله الميثاق))[3]

وينقل عن المروزي[4] قول إسحق بن راهوية في إثبات علم الله القديم وإثبات قدره ومشيئته قبل خلق الخلائق وأن لا تبديل لخلقة الله التي جبل عليها ولد آدم من الكفر والإيمان والمعرفة والإنكار ، وذلك عند تفسيره لقول الله ﷻ : ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ﴾[5] فيقول :

---

(١) سورة آل عمران الآية ٨٣

(٢) سورة الأنعام الآية ١٤٩

(٣) التمهيد ١٨ / ٨٥

(٤) هو أبو بكر أحمد بن علي بن سعيد المروزي قاضي حمص الحافظ الثقة ، توفي سنة ٢٩٢ هـ ، انظر تاريخ بغداد ٤ / ٣٠٤ ، السير ١٣ / ٥٢٧ ، تهذيب التهذيب ١ / ٦٢

(٥) سورة الروم الآية ٣٠

((قال إسحق : يقول لا تبديل لخلقته التي جبل عليها ولد آدم كلهم يعني من الكفر والإيمان والمعرفة والإنكار ، واحتج إسحق أيضاً بقول الله ﷻ :

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ..... الآية ﴾ قال إسحق : أجمع أهل العلم أنها الأرواح قبل الأجساد استنطقهم وأشهدهم على أنفسهم ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ﴾ فقال : انظروا الآية ﴿ تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ﴾))[1] .

ويؤكد هذا المعنى في علم الله وفطرته التي فطر الناس عليها وهم في عالم الذر ما رواه عن أبي بن كعب ﷺ في تفسيره لآية الفطرة وهو في حقيقته رد على القدرية في نفيهم علم الله السابق وقضائه سبحانه فينقل عن أبي أنه قال :

((جمعهم جميعاً فجعلهم أرواحاً ثم صورهم ثم استنطقهم فقال : ألست بربكم قالوا : بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة لم نعلم هذا ، قالوا : نشهد أنك ربنا وإلهنا لا رب لنا غيرك ولا إله لنا غيرك ، قال : فإني أرسل إليكم رسلي وأنزل عليكم كتبي فلا تكذبوا رسلي ، وصدقوا بوعدي وإني سأنتقم ممن أشرك بي ولم يؤمن بي ، قال فأخذ ميثاقهم ، ورفع أباهم آدم فنظر إليهم فرأى منهم الغني والفقير وحسن الصورة وغير ذلك ، فقال :

---

(١) التمهيد ١٨ / ٨٤

يا رب لو سويت بين عبادك قال أحببت أن أشكر ، قال والأنبياء بينهم يومئذ مثل السرج ، قال : وخصموا بميثاق آخر للرسالة أن يبلغوها قال : فهو قوله : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ ﴾(1) قال : وهي فطرة الناس التي فطر الناس عليها وذلك قوله :

﴿ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ۖ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَـٰسِقِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾(2) وذلك قوله : ﴿ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ ﴾ قال : فكان في علم الله من يكذب به ومن يصدق))(3) .

ثم يذكر – رحمه الله – في آخر كلامه عن الفطرة في التمهيد إنكاره لأقوال المخالفين لأهل السنة – ويقصد بذلك القدرية ومن وافقهم من أهل الكلام – ويصفهم بأنهم أهل بدع ، وأنهم ليس لهم حجة في آية الفطرة ، وأنهم لا يثبتون فطرية المعرفة بالله ويرون أن معرفة الله لا تحصل إلا بالنظر ، فيقول :

---

(1) سورة الأحزاب الآية ٧

(2) سورة الأعراف الآية ١٠٢

(3) التمهيد ١٨ / ٩٢

((وأما أهل البدع فينكرون لكل ما قاله العلماء في تأويل قول الله ﷿ : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ..... الآية ﴾ قالوا ما أخذ الله من آدم ولا ذريته ميثاقاً قط قبل خلقه إياهم ، وما خلقهم قط إلا في بطون أمهاتهم ، وما استخرج قط من ظهر آدم من ذرية تخاطب ، ولو كان ذلك لأحياهم ثلاث مرات ، والقرآن قد نطق على أهل النار بأنهم قالوا ما لم يرده الله ﷿ عليهم من قولهم : ﴿ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ ﴾[1] وقال ﷿ تصديقاً لذلك : ﴿ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا ﴾ يعني في حال عدم غير وجود ﴿ فَأَحْيَٰكُمْ ﴾ يريد بخلقه إياكم ﴿ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾[2] فجعل الحياة مرتين والموت مرتين .

قالوا : وكيف يحتج عليهم بميثاق لا يذكرونه وهم لا يؤاخذون بما نسوا ، ولا نجد أحداً يذكر أن ذلك عرض له أو كان منه .

قالوا : وإنما أراد الله ﷿ بقوله :

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ..... الآية ﴾ إخراجه إياهم في الدنيا وخلقه لهم ، وإقامة الحجة عليهم بأن فطرهم وبناهم فطرة إذا بلغوا

---

(١) سورة غافر الآية ١١

(٢) سورة البقرة الآية ٢٨

وعقلوا وعلموا أن الله ربهم وخالقهم[1]))[2][3]

وختاماً لهذا المبحث فإن الباحث يرى أن ابن عبد البر – رحمه الله – كان اهتمامه بعرض أقوال الناس في آية الفطرة وما يتعلق بالفطرة كبيراً دون اهتمامه في الرد على المخالفين مع تبنيه رأياً مرجوحاً خالف فيه كثيراً من علماء أهل السنة المعتبرين في مختلف العصور من القرون الأولى إلى عصرنا الحاضر .

(١) التمهيد ١٨ / ٩٥

(٢) يذكر الزمخشري في تفسيره الكشاف وهو قطب من أقطاب المعتزلة النفاة في تفسيره لآية الفطرة ، إنكاره أن الخطاب قد حصل من الله وإنما هو من باب التمثيل والتخييل – على حد زعمه – وأن الله نصب الأدلة وجعل العقل هو المميز بين الضلالة والهدى وهذا إنكار منه للقدر فيقول : ((ومعنى أخذ ذرياتهم من ظهورهم : إخراجهم من أصلابهم نسلاً وإشهادهم على أنفسهم وقوله : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا ﴾ من باب التمثيل والتخييل ومعنى ذلك أنه نصب الأدلة على ربوبيته ووحدانيته ، وشهدت به عقولهم وبصائرهم التي ركبها فيها وجعلها مميزة بين الضلالة والهدى ، فكأنه أشهدهم على أنفسهم وقررهم وقال لهم : ألست بربكم وكأنهم قالوا : بلى أنت ربنا شهدنا على أنفسنا وأقررنا بوحدانيتك .... ومعلوم أنه لا قول ثم وإنما هو تمثيل وتصوير للمعنى)) الكشاف للزمخشري ٢ / ١٧٦ ولذلك فإن المعتزلة والقدرية النفاة يقولون إن الموت هو العدم وأن العدم هو الذي يقابل الحياة وليس الموت هو الذي يقابل الحياة وبهذا التفسير يهربون به من القول بأن الله استنطق النطق في أصلاب بين آدم ، فيقول الزمخشري في تفسيره للآية الثانية من سورة الملك وهي قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴾ ((والحياة ما يصح بوجوده الإحساس ، وقيل ما يوجب كون الشيء حياً ، وهو الذي يصح منه أن يعلم ويقدر والموت عدم ذلك فيه)) الكشاف ٤ / ٥٧٥

(٣) هذه النقول من تفسير الكشاف للزمخشري تؤكد اطلاع ابن عبد البر على أقوال الفرق وصدق نقله وأمانته العلمية – رحمه الله – .

والقول الذي تبناه الإمام ابن عبد البر – رحمه الله – في تفسيره لآية الفطرة هو أن الفطرة هي الخلقة التي خلق عليها المولود وهي خلقة يعرف بها ربه إذا بلغ مبلغ المعرفة مؤكداً ذلك بقوله :

((هذا القول أصح ما قيل في معنى الفطرة التي يولد الناس عليها))[1] .

وينفي – رحمه الله – نفياً قاطعاً بأن يكون معنى الفطرة هو الإسلام قائلاً :

((يستحيل أن تكون الفطرة المذكورة في قول النبي ﷺ : { كل مولود يولد على الفطرة }[2] الإسلام ؛ لأن الإسلام والإيمان قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح وهذا معدوم من الطفل لا يجهل ذلك ذو عقل))[3] .

ويرى الباحث أيضاً أن ابن عبد البر – رحمه الله – قد فاته قول القائلين بأن الفطرة هي الإسلام وأنه لا يقصد به أن الطفل منذ ولادته يعلم أحكام الإسلام وعقائده وشرائعه ؛ فالله ﷻ يقول : ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴾[4] ولكن يقصد بها المعرفة المجملة وهي أن الفطرة تستلزم وتقتضي معرفة الله وتوحيده والإقرار بالربوبية والألوهية وأنها تنمو في النفس شيئاً فشيئاً بحسب كمال الفطرة إذا سلمت من معارض يفسدها .

---

(١) التمهيد ١٨ / ٧٠

(٢) أخرجه مسلم كتاب القدر ٢٦٥٨

(٣) التمهيد ١٨ / ٧٧

(٤)سورة النحل الآية ٧٨

وقد ورد هذا التفسير عن عدد من الصحابة والتابعين وغيرهم من علماء السلف رضوان الله عليهم منهم :

عمر بن الخطاب ومعاذ بن جبل(١) وأبو هريرة(٢) وابن عباس وسعيد بن جبير(٣) والقاضي شريح(٤) ومجاهد وعكرمة(٥) والضحاك(٦) والحسن البصـــــري وقتادة وابن شهـــاب

---

(١) هو الصحابي الجليل معاذ بن جبل بن أوس الأنصاري الخزرجي أبو عبد الرحمن أحدج السبعين الذين شهدوا بيعة العقبة ، شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ، كان أعلم الأمة بالحلال والحرام ، بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن قاضياً ومرشداً وتوفي رسول الله ﷺ وهو باليمن ثم عاد إلى المدينة في عهد أبي بكر وقاتل في جيوش المسلمين في الشام وأصيب بالطاعون وتوفي سنة ١٨ هـــ ، انظر أسد الغابة ٥ / ١٩٤ ، الإصابة ٩ / ٢١٩ .

(٢) هو الصحابي الجليل عبد الرحمن بن صخر الدوسي ، أسلم في السنة السابعة للهجرة فلزم النبي ﷺ ، أكثر الصحابة رواية عن رسول الله ﷺ استعمله عمر في البحرين ثم سكن المدينة وتوفي بها ﷺ سنة ٥٩ هـــ . انظر أسد الغابة ٦ / ٣١٨ ، الإصابة ١٢ / ٦٣

(٣) هو سعيد بن جبير أبو عبد الله وقيل أبو محمد الفقيه المفسر ، أخذ العلم عن ابن عباس وابن عمر وغيرهما ، وكان مع عبد الرحمن بن الأشعث لما خرج على عبد الملك بن مروان فقتله الحجاج لذلك سنة ٩٥ هـــ . انظر تذكرة الحفاظ ١ / ٧١ ، السير ٤ / ٣٢١ ، تقريب التهذيب ١ / ٣٤٩

(٤) هو شريح بن الحارث بن قيس بن الجهم الكندي الفقيه أبو أمية قاضي الكوفة ستين سنة ، كان من أذكى الناس وأفطنهم ، حدث عن بعض الصحابة ، توفي سنة ٧٨ أو ٨٩ هـــ . انظر التاريخ الكبير ٤ / ٢٢٨ ، أخبار القضاة لوكيع ٢ / ١٨٩ ، السير ٤ / ١٠٠

(٥) هو عكرمة بن عبد الله القرشي مولاهم المدني ، أصله بربري ، كان مولى ابن عباس وكان ثقـــة ثبتاً عالماً بالتفسير ، حدث عن ابن عباس وعائشة وأبي هريرة وابن عمر وطائفة كثيرة من الصـــحابة رضي الله عنهم ، اتهم بأنه على رأي الخوارج ، توفي رحمه الله سنة (١٠٧هـــ) . انظر تذكرة الحفاظ ٩٥/١ ، العبر١/ ١٣١ ، وتقريب التهذيب ٦٨٥/١.

(٦) هو الضحاك ابن مزاحم الهلالي الخراساني أبو محمد وقبل القاسم صاحب التفسير كان من أوعية العلم حدث عن ابن عباس وابن عمر وأنس وطائفة من الصحابة رضي الله عنهم ، وثقه أحمد وغيره ، وهو ليس بالمجود لحديثه توفي سنة (١٠٢هـــ) انظر السير ٥٩٨/٤ ، العبر٩٤/١ ، شذرات الذهب ١٢٤/١.

والأوزاعي وحماد بن زيد وأبو بكر الخلال[1] وأصحاب أبي حنيفة[2][3]

ويؤكد هذا المعنى علماء السلف في الأزمنة التي تلت زمن ابن عبد الله ويقول الإمام ابن القيم – رحمه الله – في بيان مفهوم الفطرة في حديث (كل مولود يولد على الفطرة).

((ومما ينبغي أن يعلم أنه إذا قيل أنه ولد على الفطرة أو على الإسلام أو على هذه الملة أو خلق حنيفاً ، فليس المراد به أنه حين يخرج من بطن أمه يعلم هذا الدين.

ويريده فإن الله يقول ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا ﴾لكن فطرته موجبة مقتضية لدني الإسلام لقربه ، فنفس الفطـــرة تستلـــزم الإقرار مخالفه ومحبته وإخـــــلاص الدين له وموجبات الفطـــرة ومقتضياتها تخـــــص شيئـــــــا بعد شيء

---

(١)هو أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون الخلال من كبار أئمة الحنابلة ، صرف عنايته إلى جمع علوم الإمام أحمد وتطلبها وسافر لأجلها وصنفها كتباً ، من كتبه الجامع والعلل والسنة والطبقات وغيرها . توفي سنة (٣١١هـ) . انظر تاريخ بغداد ١١٢/٥ ، طبقات الحنابلة ١٢/٢ ، تذكرة الحفاظ ٧٨٥/٣.

(٢)وهم الذين نشروا مذاهبه وفتاويه من أمثال زفر بن هذيل البصري المتوفى سنة (١٥٨هـ) والقاضي أبي يوسف المتوفي سنة ١٨٢ هـ ومحمد بن الحسن الشيباني المتوفى سنة (١٨٩هـ) انظر الفوائد البهية في تراجم الحنفية صفحة ١٦٣.

(٣) انظر تفسير ابن جرير ١٨٣/١٠ ، والدرء لابن تيمية ٣٦٧/٨ ، وأحكام أهل الملل للخلال صفحة ١٤، ١٥ ، والنكت والعيون للماوردي ٣١٢/٤ والمصادر العامة للتلقي عن الصوفية لصادق سليم صادق صفحة ١٥١.

بحب كمال الفطرة إذا سلمت من المعارض))[1] .

ويقول الأمير الصنعاني[2]رحمه الله في معرض حديثه عن الفطرة واصفاً هدي نبينا محمد ﷺ (وأن المقصود بالفطرة في الأحاديث هي الإسلام).

((فلقد أرشد إلى طريق الهداية كل محتار ، وأعلى منارها الذي أشرف على الانهدام ، ودل العباد على سبل دار السلام وأبان أن كل مولود يولد على الفطرة وإنما أبواه يهودانه وينصرانه طاعة منهما لأبي مرة لذلك قال (إن الله خلق عباده حنفاء فاجتالتهم الشياطين)[3] وحكى عن ربه أصدق القائلين: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾[4] كما حكى عن رسله السالفين قولهم لأممهم ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[5]وكما قال موسى عليه السلام لما قال له فرعون ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾

---

(١) ابن القيم شفاء العليل باختصار ٢ / ٣٠٨ ، تحقيق مصطفى أبو النصر الشلبي ، مكتبة السوادي ط٣ ، ١٤٢٢ هـ

(٢) هو محمد بن إسماعيل بن صلاح الصنعاني ، اشتهر بالأمير وهو لقب يطلق عليه وعلى أجداده ولد عام ١٠٩٩ وكان من العلماء العاملين مكباً على العلم ونشره والدعوة إليه ، له مؤلفات عظيمة النفع ، منها سبل السلام توفي رحمه الله سنة ١١٨٢ . انظر البدر الطالع ٢ / ٣٣

(٣) أخرجه مسلم مع اختلاف يسير في اللفظ من حديث طويل . كتاب الجنة ٨٦٥

(٤) سورة الروم الآية ٣٠

(٥) سورة إبراهيم الآية ١٠

﴿ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾[1] وكقوله ﴿ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾[2].

وكقول إبراهيم ﴿ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾[3]))[4] ويؤكد هذا المعنى الشيخ جمال الدين القاسمي[5] رحمه الله في تعليقه على حديث :

((كل مولود يولد على الفطرة ....الحديث)) قائلاً :

((إن معنى الفطرة هو الميل المركوز في أصل الخلقة لتفضيل الإسلام والأخذ به وليس معناه مجرد ولادة الطفل على خلقة خالية ، لا إيمان بها ولا كفر ولا معرفة ولا

---

(١) سورة الشعراء الآيتان ٢٣ ، ٢٤

(٢) سورة الشعراء الآية ٢٨

(٣) سورة الأنبياء الآية ٥٦

(٤) الأمير الصنعاني / إيقاظ الفكرة لمراجعة الفطرة صفحة ٣٧ تحقيق محمد صبحي حلاق ، دار ابن حزم بيروت ط ١/١٤٢٠هـ

(٥) هو محمد بن محمد سعيد بن قاسم جمال الدين ، ولد سنة ١٢٨٢ هـ في دمشق ، كان إمام الشام في عصره عالما بالدين متضلعاً في فنون الأدب صاحب التفسير المشهور محاسن التأويل ، من أشهر تلاميذه ، محمد بهجة البيطار ، توفي رحمه الله في سنة ١٣٣٢ هـ ، انظر الأعلام ٢ / ١٣٥ ، المفسرون بين التأويل والأثبات ٢ / ٦٤٧ ، الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة ٣ / ٢٤٤٣

إنكار كالصحيفة البيضاء)[1].

ويذكر - رحمه الله - أن هذا القول هو ما قال به ابن تيمية وابن القيم وابن حجر وعامة السلف فيقول : (ولكن الفطرة التي يولد عليها كل مولود هي الإسلام ، وقد ذكر ابن تيمية وابن القيم وابن حجر وغيرهم أنه قول عامة السلف لا)[2] .

---

(١) جمال الدين القاسمي ، دلائل التوحيد صفحة ١٣٣. ضبط وتعليق خالد عبد الرحمن العك . دار النفائس ط ١/ ١٤١٢هـ

(٢) السابق صفحة ١٣٤.

المبحث الرابع

رد ابن عبد البر على القدرية في قولهم في مراتب القدر

ذكر ابن عبد البر رحمه الله مراتب القدر في ثنايا حديثه عن مسائل القدر في معرض استشهاده بالنصوص في الكتاب والسنة وأقوال السلف في رده على القدرية ، إلا أنه لا يذكر مراتب القدر مرتبة كما فعل فيها علماء الإسلام على أن أول مراتبه العلم ثم الكتابة ثم الإرادة والمشيئة ثم الخلق وكأني به أن همه كان منصباً على إثبات القدر بأدلته النقلية ليرد بها على النفاة من القدرية وغير مهتم بترتيب مراتبه لأن المقام لا يحتاج لذلك ، فالمهم في المسألة عنده – كما يبدو لي – هو إثبات مراتب القدر وليس ترتيبها ، ولذلك نجد في نصوصه التي اختارها : نصا يثبت العلم والخلق ، ونصا آخر يثبت المشيئة ونصا ثالثاً يثبت المشيئة والخلق ...وهكذا .

وفيما يلي نحاول أن نرتب أدلته كما هو معلوم في معتقد أهل السنة والجماعة

أولاً مرتبة العلم :

أورد – رحمه الله – في إثبات العلم لله النصوص التالية :

روى بسنده عن علي ﷺ قال : (كان رسول الله ﷺ جالساً وفي يده عود ينكت به فرفع رأسه وقال : ما منكم من نفس منفوسة لا وقد علم مترلها من الجنة والنار . فقالوا يا رسول الله فلم نعمل ؟ قال : اعملوا فكل ميسر لما خلق له . وقرأ ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ

﴿ ٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ٩

فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ١٠ ﴾[1][2][3]

وروى بسنده حديثاً آخر عن عمران[4] بن حصين رضي الله عنه أنه قال :

(قال رجل لرسول الله ﷺ : أعُلِم أهل الجنة من أهل النار قال : نعم ، قال: فما يعمل العاملون ؟ قال : كل ميسر لما خلق له)[5][6] ويعلق على حديث[7] احتجاج آدم وموسى عليهما السلام في إثبات قدم علم الله فيقول :

(هذا الحديث عند جماعة أهل العلم بالحديث صحيح من جهة الإسناد وكلهم يرويه ويقر بصحته ، ويحتج به أهل الحديث والفقه وهم أهل السنة في إثبات قدم علم الله عز وجل

---

(١) أخرجه مسلم كتاب القدر ٢٦٤٧

(٢) سورة الليل الآيات من ٥ : ١٠

(٣)الاستذكار ٩١/٢٦، وانظر التمهيد ٧،٨/٦.

(٤) هو الصحابي الجليل عمران بن حصين بن عبيد بن خلف الخزاعي ، أسلم عام خيبر وبعثه عمر بن الخطاب يفقه أهلها وتولى قضاء البصرة في عهد عبد الله بن عامر ، وكان مجاب الدعوة و لم يشهد الفتنة ، توفي سنة (٥٢هـ) . انظر التاريخ الكبير ٤٠٨/٦ الاستيعاب لابن عبد البر ٣/ ١٢٠٨ أسد الغابة ٢٨١/٤.

(٥) أخرجه البخاري كتاب القدر ٦٥٩٦ومسلم كتاب القدر ٢٦٤٩.

(٦)الاستذكار ٩٢/٢٦، وانظر التمهيد ٩/٦ .

(٧) سبق تخريجه .

ذكره)[1].

ويروى أثراً عن الحسن البصري في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ ﴾[2] أنه قال : (علم الله ﷻ كل نفس ما هي عاملة وإلى ما هي صائرة)[3] .

ثانياً – مرتبة الكتابة :

يعلق على حديث احتجاج آدم وموسى في إثبات علم الله السابق وفي إثبات الكتابة في اللوح المحفوظ قائلاً :

((وفي هذا الحديث دليل على أن الله ﷻ قد سبق في علمه ما يكون وأنه في كتاب مسطور جرى القلم في بما يكون إلى آخر الأبد وأن العباد لا يعلمون لا فيما علمه الله ﷻ وقضى به وقدره))[4]

روى عن الحسن بن علي رضي الله عنهما أنه قال في القدر وفي الكتابة :

---

(١)الاستذكار ٢٦/٨٥.

(٢)سورة النجم الآية ٣٢.

(٣) الاستذكار ٢٦/٩٦.

(٤) السابق ٢٦/٨٥.

((رفع الكتاب وجف القلم وأمور تقضى في كتاب قد خلا))[1]

ويستشهد بأبيات للشاعر ذي النون[2] إبراهيم الأخميمي في إثبـات الكتابـة في اللـوح المحفوظ وهي قوله:

((قدر ما شاء كيف شـــاء	و لم يطلع على علم غيبه بشرا
ويرى في العبـــاد منفرداً	محتجباً في السمـاء ليس يُرى
ثم جرى بالذي قضى قلـم	أجراه في اللوح ربنا فجرى[3]))

ثالثاً – مرتبة الإرادة والمشيئة :

يذكر رحمه الله آيات في المشيئة الإلهية مستشهداً بها في تعليقه على الأثر الذي رواه عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما في إحدى خطبه حيث قال (إن الله هو الهادي والفاتن)[4][5] فيقول – رحمه الله – : ((قال أبو عمر : هذا مأخوذ من قول الله تعالى ﴿ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ ﴾[6] قـول الله ﷻ حاكياً عن نبيه نـوح عليه السلام ﴿ وَلَا

---

(١) مصدر سابق ٩٥/٢٦.

(٢) هو : شيخ الزهاد في عصره ذو النون ثوبان بن إبراهيم المصري ، روى عن مالك والليث ، كان واعظاً وعالماً وحكيماً توفي سنة ٢٤٦ هـ ، انظر حلية الأولياء ٩ / ٣٣١ ، صفات الصـوفية ١٥ / ٢٦ ، الرسالة القشيرية ٢١١

(٣)الاستذكار ٩٦/٢٦.

(٤) أخرجه الإمام مالك في الموطأ كتاب القدر٢١٨/٢

يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ﴾[1] وقال تبارك اسمه ﴿ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ ﴾[2].

ولا يكون في ملك الله إلا ما يريد ، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ﴾[3]))[4]

والآيات التي استشهد بها في هذا المقام إضافة إلى ماسبق هي قوله تعالى : ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾[5][6] وقوله تعالى ﴿ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ﴾[7] وقوله تعالى ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾[8] وقوله تعالى ﴿ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾[9] وقوله تعالى ﴿ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ﴾[10] وذكر - رحمه الله - حديثاً عن رسول الله ﷺ يشير إلى مشيئة الله ﷻ وهـو قـوله (إذا أراد الله عز وجل

---

(١) سورة هود الآية ٣٤

(٢)سورة النحل الآية ٩

(٣)سورة فصلت الآية ٤٦

(٤)الاستذكار ٢٦/ ١٠١

(٥)سورة الإنسان الآية ٣٠

(٦)الاستذكار ٢٦/٩٧

(٧)سورة الحجر الآيتان ١٢-١٣

(٨)سورة الأنعام الآية ١٢٥

(٩)سورة النحل الآية ٩٢

(١٠)سورة الأعراف الآية ١٥٥ ، وانظر هامش ٤، ٥، ٦، ٧ الاستذكار ٢٦/٩٤

بعبد خيراً سلك في قلبه اليقين والتصديق وإذا أراد الله ﷻ بعبد شراً سلك في قلبه الريبة والتكذيب)[1][2]ويروى أثراً عن ابن عباس في إثبات المشيئة المطلقة لله سبحانه وذلك في حوار دار بين ابن عباس رضي الله عنهما وبين سائل عن القدر ، يقول فيه السائل لابن عباس :

(أرأيت من حرمني الهدى وأوردني الضلالة والردى أتراه أحسن إلي أو ظلمني ؟ فقال ابن عباس : إن كان الهدى شيئاً لك عنده فمنعكه فقد ظلمك وإن كان الهدى هدى الله يؤتيه من يشاء فما ظلمك شيئا ولا تجالسني بعده)[3] .

وكذلك يروي حواراً دار بين زعيم من زعماء القدرية وهو غيلان الدمشقي وبين إمام من أئمة الإسلام وهو ربيعة بن أبي عبد الرحمن ، وكان قول ربيعة في رده على القدري هو نفسه قول ابن عباس رضي الله عنهما وهو حجر يلقم في أفواه المنكرين للقدر والمشيئة الإلهية حيث قال غيلان للإمام ربيعة :

((يا أبا عثمان أرأيت الذي منعني الهدى ومنحني الردى أأحسن إلي أم أساء؟فقال ربيعة:

---

(١) لم أقف على تخريجه عند غير ابن عبد البر ولكن معناه صحيح .

(٢)الاستذكار ٩٤/٢٦

(٣)الاستذكار ١٠١/٢٦ والتمهيد ٦٤/٦

إن كان منعك شيئاً هولك فقد ظلمك وإن كان فضله يؤتيه من يشاء فما ظلمك شيئاً))[1]

ويروى أثراً عن الإمام الشافعي – رحمه الله – في إثبات المشيئة الإلهية وأن لا مشيئة للخلق دون مشيئة الله سبحانه وتعالى فينقل عن الشافعي أنه قال :

((قال الله ﷻ في كتابه العزيز ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ فأعلم الله ﷻ خلقه أن المشيئة له دون خلقه وأن لا مشيئة لهم إلا أن يشاء الله ﷻ[2])).

ويقرر – رحمه الله – أن المشيئة الإلهية بقدر الله واختياره وأن العباد أقل شأناً أن يعصوا الله إلا بما يريد ويقول أن هذا ما قاله العلماء والحكماء قديماً فيقول : ((وقال العلماء والحكماء قديماً : القدر سر الله فلا تنظروا فيه ، فلو شاء الله ألا يعصى ما عصاه أحد فالعباد أدق شأناً وأحقر من أن يعصوا الله إلا بما يريد))[3] .

رابعاً : مرتبة الخلق :

يذكر – رحمه الله – بعض الآيات التي تتحدث عن خلق الله للقدر مستشهداً بها في إثبات القدر وخلقه ومعلقاً عليها تعليقاً موجزاً فيقول :

---

(١)الاستذكار ١٠٢/٢٦ والتمهيد ٦٤/٦.

(٢) الاستذكار ٨٧/٢٦

(٣) المصدر السابق ٩٣/٢٦

((قال أبو عمر : قال الله ﷻ ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾[1] وقال : ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾[2] فليس لأحد مشيئة تنفذ إلا أن تنفذ منها مشيئة الله تعالى وإنما يجري الخلق فيما سبق من علم الله))[3] .

ويعلق على حديث الرسول ﷺ الذي يقول فيه : (كل شيء بقدر حتى العجز والكيس)[4] مقرراً أن الله خالق كل شيء وأن كل شيء خلقه بقدر حتى العجز والكيس والخير والشر ومستدلاً بقول الله عزوجل : ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾﴾[5] وفي هذا دليل منه رحمه الله في أن الشر مخلوق لله تعالى ، ومشيراً إلى أن الرسول ﷺ قد استعاذ من أمور عدة منها العجز والكسل والدين والجبن ولولا أنها شر لما استعاذ الرسول ﷺ منها فيقول : ((وفي هذا الحديث أدل الدلائل وأوضحها على أن الشر والخير كل من عند الله وهو خالقهما لا شريك له ، ولا إله غيره ، لأن العجز شر ولو كان خيراً لما استعاذ منه رسول الله ﷺ ، ألا ترى أن رسول الله ﷺ قد

---

(١) سورة القمر الآية ٤٩

(٢) سورة التكوير الآية ٢٩

(٣) التمهيد ٦/١٣ والاستذكار ٢٦/١٠٠

(٤) أخرجه مسلم كتاب القدر ٢٦٥٥

(٥) سورة الفلق الآيتان ١، ٢

استعاذ من الكسل والعجز والجبن والدين[1] ، ومحال أن يستعيذ من الخير وفي قـول الله ﷻ ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝ ﴾ كفاية لمن وفق))[2] .

ونختم هذا المبحث بأبيات شعر نقلها عن الإمام الشافعي – رحمه الله – يذكر فيها مراتب القدر وتأكيداً من ابن عبد البروتقريراً منه في أن ما ذكر الشافعي هو معتقد أهل السـنة والجماعة وأنهم لا يختلفون فيه ، فيقول – رحمه الله — :

((ومن أحسن ما قيل من النظم في قدم العمل وأن ما يكون من خلق الله فقد سبق بـه وجف القلم به وأنه لا يكون في ملكه إلا ما يشاء لا شـاء غـيره ، قـول الشـافعي رضي الله عنه........... أنه قال في أبيات له :

فما شئت كان وإن لم أشأ	وماشئت وإن لم تشاء لم يكن
خلقت العباد على ما علمت	وفي العلم يجري الفتى والمسن
على ذا مننت وهذا خذلت	وهذا أعنت وذا لم تعن
فمنهم شقي ومنهم سعيد	ومنهم قبيح ومنهم حسن

(١) وذلك إشارة إلى قوله ﷺ (اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن والعجـز والكسـل والبخـل والجبن وضلع الدين وغلبة الرجال) أخرجه البخاري كتاب الدعوات ٦٣٦٣.
(٢) التمهيد ٦/٦٣

ومنهم فقير ومنهم غني وكلٌ بأعماله مرتهن[1]

قال أبو عمر : كل ما في هذه الأبيات معتقد أهل السنة ومذهبهم في القدر لا يختلفون فيه وهو أصل ما يبنون في ذلك عليه))[2] .

وقد صدق أبو عمر يرحمه الله فيما قال ، وهو قول يوافق مقولة أهل السنة في مراتب القدر ، فهذا الإمام ابن بطة رحمه الله يذكر مراتب القدر ويستشهد بآيات وأحاديث كثيرة وأقوال عن السلف في سبعة أبواب من كتابه الإبانة وهي :

١. باب ماروي أن الله تعالى خلق خلقه كما شاء ، لما شاء ، فمن شاء خلقه للجنة ، ومن شاء خلقه للنار ، سبق بذلك علمه ونفذ فيه حكمه وجرى فيه قلمه ومن جحده فهو من الفرق الهالكة .

٢. باب الإيمان بأن الله أخذ ذرية آدم من ظهره فجعلهم فريقين ، فريقاً في الجنة وفريقاً في السعير .

٣. باب الإيمان بأن السعيد والشقي من سعد أو شقي في بطن أمه ومن رد ذلك فهو من الفرق الهالكة .

---

(١) البيهقي . مناقب الشافعي ١٠٩/٢ تحقيق السيد أحمد صقر ، مكتبة التراث بمصر ، وديوان الشافعي ص ١٣٥ تحقيق إميل يعقوب ، دار الكتاب العربي ط ٦

(٢) الاستذكار ٩٨/٢٦

٤. باب ذكر ما أعلمنا الله تعالى في كتابه أنه يضل من يشاء ويهدي من يشاء وأنه لا يهدي بالمرسلين والكتب والآيات والبراهين إلا من سبق في علم الله أن يهديه .

٥. باب ذكر ما أخبرنا الله تعالى أنه أرسل المرسلين إلى الناس يدعوهم إلى عبادة رب العالمين ثم أرسل الشياطين تحرضهم على تكذيب المرسلين فمن أنكر ذلك فهو من الفرق الهالكة .

٦. باب الإيمان بأن الله عزوجل كتب على آدم المعصية قبل أن يخلق فمن رد ذلك فهو من الفرق الهالكة .

٧. باب الإيمان بأن الشيطان مخلوق مسلط على بني آدم يجري منهم مجرى الدم إلا من عصمه الله ومن أنكر ذلك فهو من الفرق الهالكة(١) .

ثم جاء شيخ الإسلام ابن تيمية واستنبط مراتب القدر من الكتاب والسنة على ما هو معروف وبين أيدينا الآن ، وتبعه تلميذه ابن القيم مفصلاً ذلك في كتابه شفاء العليل(٢) ووافقهما من أتى من بعدهما من علماء أهل السنة والجماعة إلى عصرنا الحاضر فهذان علماء معاصران يقرران هذه المسألة ، الأول وهو الشيخ عبد الرحمن بن سعدي – رحمه الله – حيث يقول :

---

(١) انظر كتاب الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية لابن بطة الحنبلي ١/٢٨٥ .

(٢)انظر القضاء والقدر لأبن تيمية صفحة ١٩١ وما بعدها وشفاء العليل لأبن القيم ١ / ٩١

((قد ثبت في الكتاب والسنة وإجماع الأمة أن الإيمان بالقدر أحد أركان الإيمان وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، ومن لم يؤمن بهذا ما آمن بالله حقيقة ، فعلينا أن نؤمن بجميع مراتب القدر ، فنؤمن بأن الله بكل شيء عليم ، وأنه كتب في اللوح المحفوظ جميع ما كان ويكون إلى يوم القيامة وأن الأمور كلها بخلقه وقدرته وتدبيره))[1] .

يقول العلم الآخر وهو العلامة ابن عثيمين :

مراتب القدر وهي أربع يجب الإيمان بها كلها : المرتبة الأولى :

العلم : وذلك أن تؤمن بالله تعالى علم كل شيء جملة وتفصيلاً ... ودليل ذلك في الكتاب كثير منها قوله تعالى : ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾[2] ومنها قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ ﴾[3]

المرتبة الثانية : الكتابة ، وقد دلت عليها الآيتان السابقتان .

---

(١) ابن سعدي ، القول السديد في مقاصد التوحيد ، على هامش كتاب التوحيد للإمام محمد بن عبد الوهاب صفحة ١٧٨ ، مجموعة التحف النفائس الدولية . الرياض ط٢/١٤١٩هـ

(٢)سورة الأنعام الآية ٥٩

(٣) سورة الحج الآية ٧٠

المرتبة الثالثة : المشيئة ، ...قال تعالى : ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢﴾[1]

المرتبة الرابعة : الخلق ، فما من شيء في السماوات ولا في الأرض إلا أن خالقه ومالكه ومدبره وذو سلطانه . قال تعالى : ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾[2][3] .

---

(١)سورة يس الآية ٨٢

(٢)سورة الزمر الآية ٦٢

(٣) الشيخ بن عثيمين . القول المفيد على كتاب التوحيد ١٦٤/٣. دار العاصمة ط ١٤١٥/١هـ.

يورد ابن عبد البر – رحمه الله – الأدلة من الكتاب والسنة وأقوال السلف في إثبات القدر ، وأن كل شيء قد قدره الله قبل خلقه ، وأنه سبحانه قدر المقادير قبل أن تخلق السماوات والأرض ، وأنها تجري حسب تقديره تعالى ، والآيات التي استشهد بها قوله تعالى :

﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ ﴾[1][2] وقوله تعالى : ﴿ فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ ﴾[3][4] وقوله تعالى : ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ﴾[5][6] وقوله تعالى : ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا ﴾[7][8] .

أما الأحاديث التي استشهد بها فهو حديث احتجاج آدم وموسى وفيه أن آدم قال لموسى : (أما وجدت في كتاب الله الذي أنزل عليك أن ذلك كان في كتاب الله قبل أن أخلق : قال نعم ، أفتلومني في شيء قد سبق من الله فيه القضاء قبل

---

(١)سورة القمر الآية ٤٩

(٢) سورة القمر الآية ١٢

(٣) سورة القمر الآية ١٢

(٤)الاستذكار ٩٣/٢٦

(٥) سورة الأحزاب الآية ٣٨

(٦) الاستذكار ٩٣/٢٦

(٧)سورة التوبة الآية ٥١

(٨)الاستذكار ١٠٥/٢٦

...الحديث)[1][2].

ويعلق على هذا الحديث في معرض رده على القدرية ووصفه إياهم بأنهم أهل بدع فيقول

(وأما أهل البدع فينكرونه ويدفعونه ويعترضون فيه بدروب من القول كرهت ذكر

ذلك...وفي هذا الحديث دليل على أن الله ﷻ قد سبق في علمه ما يكون وأنه في كتاب

مسطور جرى القلم فيه بما يكون إلى آخر الأبد وأن العباد لا يعلمون إلا فيما قد علمه الله

ﷻ وقضى به وقدره)[3].

يقول في موضع آخر أن هذا الحديث من أوضح ما روى عن الرسول ﷺ في إثبات القدر

والرد على القدرية :

((قال أبو عمر هذا الحديث من أوضح ماروى عن النبي صلى الله عليه وسلم في إثبات القدر ودفع قول القدرية ، وبالله التوفيق والعصمة))[4] .

ويذكر حديثاً آخر وهو قوله ﷺ في سؤال المرأة زوجها طلاق ضرتها .

(لا تسأل المرأة طلاق أختها لتستفرغ صفحتها ولتنكح فإن لها ما قدرها)[5][6].

---

(١) سبق تخريجه

(٢)الاستذكار ٢٦/٨٥ والتمهيد ١٨/١٣

(٣)الاستذكار ٢٦/٨٥

(٤)التمهيد ١٨/١٧

(٥) متفق عليه ، أخرجه البخاري كتاب القدر ٦٦٠١ ، ومسلم كتاب النكاح ١٤١٣

(٦)التمهيد ١٨/١٦٥

ويعلق – رحمه الله – على الحديث بأنه من أصح أحاديث القدر وأن الإنسان لا يصيبه إلا ما قدر له فيقول :

((وهذا الحديث من أحسن أحاديث القدر عند أهل العلم والسنة وفيه أن المرء لا يناله إلا ما قدر له ، قال الله ﷻ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا ﴾[1] والأمر في هذا واضح لمن هداه الله والحمد لله))[2] .

ويروي أثراً عن أصحاب لعلي ﷺ كانوا يحرسونه يذكر فيه إيمان علي بالقضاء والقدر وأن ذلك من الإيمان ، فيقول علي لمن يحرسونه :

((أمن أهل الأرض تحرسوني أم من أهل السماء ، فقالوا نحن أهون على الله عزوجل من أن نحرسك من أهل السماء ولكن نحرسك من أهل الأرض ، فقالوا : لا تفعلوا فإنه إذا قضي الأمر من السماء علمه أهل الأرض وإن العبد لا يجد طعم الإيمان حتى يوقن أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه))[3] .

ويروى أثرا عن طاووس[4] في إثبات القدر أنه قال :

(١)سورة التوبة الآية ٥١

(٢) التمهيد ١٨/١٦٥-١٦٦

(٣)الاستذكار ٢٦/٨٦

(٤) هو طاووس بن كيسان أبوعبد الرحمن الفارسي اليمني ، الفقيه القدوة الحافظ عالم اليمن كان ثقة عابداً من سادات التابعين توفي سنة (١٠٦هـ) انظر الجرح والتعديل ٤/٥٠٠، وحلية الأولياء٤/٣ تهذيب الأسماء واللغات ١/٢٥١.

((أدركت ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون كل شيء بقدر[(1)(2)]))

كما يروى أثراً في إثبات القدر عن علي بن المديني[(3)] أنه قال :

سألت عبد الرحمن[(4)] بن مهدي عن القدر فقال لي : كل شيء بقدر والطاعة والمعصية بقدر وقد أعظم الفرية من قال : إن المعاصي ليست بقدر)[(5)]

يستشهد – رحمه الله – بأبيات من الشعر في إثبات القدر وهي :

((ليس الله العظيم ند ... وهذه الأقدار لا ترد

لهن وقت ولهن حد ... مؤخر بعض وبعض نقد

وليس من هذا وهذا بد ... وليس محتوما لحي خلد[(6)(7)]))

---

(1) أخرجه مسلم كتاب القدر ،2655

(2) الاستذكار 26/99

(3) هو علي بن عبد الله بن جعفر السعدي مولاهم أبو الحسن بن المديني البصري ، ثقة ثبت أمام أعلم أهل عصره بالحديث وعلله حتى قال البخاري : ما استصغرت نفسي إلا عند علي بن المديني ، عابوا عليه اجابته في المحنة ، لكنه تنصل وتاب واعتذر بأنه خاف على نفسه توفي سنة (234هـ) . انظر السير 11/41، تقريب التهذيب 1/697 شذرات الذهب 2/81.

(4) هو عبد الرحمن بن مهدي بن حسان العنبري اللؤلؤي ، ولد سنة (135هـ) وكان من كبار أئمة السلف ومن أئمة الحديث الثقات المتقنين ومن أهل الورع والصلاح قال فيه الشافعي – لا أعرف له نظيراً في الدنيا – توفي بالبصرة سنة 198هـ . انظر اللباب في تهذيب الأنساب لابن الجزري 3/135 تهذيب التهذيب 6/279ت549 ، شذرات الذهب 1 / 355

(5)الاستذكار 26/100

(6)لم يذكر ابن عبد البر اسم قائلها كما أني لم أقف على قائلها

(7)الاستذكار 26/93

وما قرره ابن عبد البر – رحمه الله – في إثبات القدر هو عينه ما قرره علماء أهل السنة والجماعة في إثبات عقيدة القدر من لدن الصحابة رضوان الله عليهم إلى وقتنا الحاضر ، وما من عالم من علماء أهل السنة إلا وقد نص على وجوب الإيمان بالقدر وبدّع وسفّه من أنكره أورده .

روى الإمام مسلم في صحيحه عن طاووس قال : ((أدركت ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون كل شيء بقدر ، قال وسمعت عبد الله بن عمر يقول : كل شيء بقدر حتى العجز والكيس ، أو الكيس والعجز[١]

ويروى حديثاً آخر عن ابن عمر رضي الله عنهما عندما وصلته مقالة ناس يزعمون أن لا قدر و أن الأمر أنف فقال ﷺ :

((فإذا لقيت أولائك فأخبرهم أني بريء منهم وأنهم براء مني ، والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أُحد ذهباً فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر))[٢] .

يقول ابن بطة في تقرير عقيدة الإيمان بالقدر :

(ثم من بعد ذلك الإيمان بالقدر خيره وشره وحلوه ومره وقليله وكثيره مقدور واقع من الله ﷻ على العباد في الوقت الذي أراد أن يقع لا يتقدم الوقت ولا يتأخر على ما سبق

(١) سبق تخريجه

(٢) سبق تخريجه

بذلك علم الله ، وأن ما أصاب العبد لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه)[١]

ويقول ابن القيم – رحمه الله – أن الحق هو فيما قاله السلف ومن لم يقل بقولهم فهو منكر لصفة القدرة ومنكر لصفة الملك لله ﷻ :

((من لم يقل بقول السلف فإنه لا يثبت لله قدره ، ولا يثبته قادراً كالجهمية ومن اتبعهم ، والمعتزلة المجبرة والنافية حقيقة قولهم منه ليس قادراً ، وليس له الملك فإن الملك إما أن يكون هو القدرة والمقدور أو كلاهما ، وعلى كل تقدير فلابد من القدرة فمن لم يثبت له قدرة حقيقية لم يثبت له ملكاً[٢])) .

ويقول العلامة ابن عثيمين – رحمه الله – :

(والإيمان بالقدر واجب وهو أحد أركان الإيمان الستة لقول النبي ﷺ : الإيمان : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره) وقال النبي ﷺ : (آمنت بالقدر خيره وشره حلوه ومره) فالخير والشر باعتبار العاقبة والحلاوة والمرارة باعتباره وقت إصابته)[٣] .

من صفات الله ﷻ أنه الفعال لما يريد لما قال تعالى : ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾[٤]فلا يخرج شيء عن إرادته وسلطانه ولا يصدر شيء إلا بتقديره وتدبيره بيده ملكوت السماوات والأرض)[٥] .

(١) الإبانة لابن بطة ١ / ٤١٥

(٢)ابن القيم شفاء العليل ١ / ١٤٩

(٣) ابن عثيمين شرح لمعة الاعتقاد صفحة ٥١. مكتبة المعارف بالرياض ط ٣ /١٤٠٥هـ

(٤) سورة هود الآية ١٠٧

(٥)ابن عثيمين شرح لمعة الاعتقاد صفحة ٥٠

المبحث السادس

موقف ابن عبد البر من القدرية

وحكمه عليهم

ينقل ابن عبد البر – رحمه الله – عن شيخه الإمام مالك – رحمه الله – قوله في القدرية وتشدده عليهم وأنهم لا بد أن يستتابوا وإلا يعرضوا على السيف ، وألا يصلى خلفهم ولا تقبل لهم شهادة[1][2] . إلا أن ابن عبد البر لا يرى ، رأي مالك في ذلك ، ويرى أن مالكاً وأصحابه قد خالفهم كثير من أئمة الإسلام وخاصة في الشهادات يذكر منهم : ابن أبي ليلى[3] وابن شبرمة[4] وأبا حنيفة والشافعي وأصحابهما[5] ، والثوري ، والحسن بن

(١) انظر الموطأ ٢ / ٢٤٠

(٢) انظر الاستذكار ١٠٣/٢٦

(٣) هو محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى العلامة مفتي الكوفة وقاضيها ، صدوق سيئ الحفظ ، كان نظيراًلأبي حنيفة في الفقه ، توفي سنة (١٤٨هـ) ، انظر طبقات ابن سعد ٣٥٨/٦ ، الجرح والتعديل ٣٢٢/٧ السير ٦/ ٣١٠ .

(٤) هو عبد الله بن شبرمه بن الطفيل بن حسان الضبي الكوفي الفقيه توفي سنة (١٤٤هـ) . انظر الجرح والتعديل ٨٢/٥ سير أعلام النبلاء ٣٤٧/٦ التهذيب ٢٥٠/٥.

(٥)أصحاب أبي حنيفة كثر وأشهرهم :

١. زفر بن الهذيل بن قسي البصري ، من كبار تلاميذ ابي حنيفة وكان هو المقدم في مجلسه جمع بين الفقه والعباده توفي سنة (١٥٨هـ) .انظر الفوائد البهية في تراجم الحنفية للكنووي صفحة ٧٥.

٢. أبو يوسف يعقوب بن ابراهيم بن حبيب الأنصاري القاضي ولاه هارون الرشيد القضاء ، كان عالماً فقيهاً توفي سنة (١٨٢هـ) انظر وفيات الاعيان ٣٧٨/٦، الفوائد البهية صفحة ٢٢٥.

٣. محمدبن الحسن الشيباني عالم فاضل فقيه وله مصنفات توفي سنة (٨٩هـ) . انظر وفيات الأعيان ١٨٤/٤ الفوائد البهية صفحة ١٦٣.

أما أشهر أصحاب الإمام الشافعي فهم :

١. أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل المزني كان من جبال العلم وصنف كتباً كثيرة ، قال عنه الشافعي المزني ناصر مذهبي . توفي سنة (٢٦٤هـ) انظر الجرح والتعديل ٢٠٤/٢، اللباب في تهذيب الأنساب لعز الدين بن الأثير الجوزي ٢٠٥/٣، طبقات الشافعية للسبكي ٢/ ٩٣

٢. أبو محمد الربيع بن سليمان بن عبد الجبار المؤذن المرادي صاحب الشافعي ورواية كتبه والثقة الثبت فيما يرويه توفي سنة (٢٧٠هـ)

انظر تهذيب الكمال ٨٦/٩، السير ٥٨٧/١٢، طبقات الشافعية للسبكي ١٣٢/٢.=

حيّ[1] ، وعثمان البتي[2] ، وداود ، والطبري ، وسائر من تكلم في الفقه[3] ويناقش الإمام مالك فيقول :

(أما قوله لا يصلى خلفهم ، فإن الإمامة يتخير لها أهل الكمال في الدين من أهل التلاوة والفقه هذا في الإمام الراتب ، وأما قوله لا يصلى عليهم — فإنه يريد لا يصلى أئمة الدين وأهل العلم ؛ لأن ذلك زجر لهم وخزي لهم لابتداعهم رجاء أن ينتهوا عن مذهبهم ، وكذلك ترك ابتداء السلام عليهم ، وأما أن تترك الصلاة عليهم جملة إذا ماتوا فلا ، بل السنة المجتمع عليها أن يصلى على كل من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله مبتدعاً كان أو مرتكباً للكبائر، ولا أعلم أحداً من فقهاء الأمصار أئمة الفتوى يقول في ذلك بقول مالك[4] .

وما ذكره الإمام ابن عبد البر – رحمه الله – عن القدرية هو ما قاله كثير من أئمة الهدى والدين من أهل السنة والجماعة إلا من أنكر العلم منهم فإنه كافر وهذا بإجماع منهم .

=٣. أبو يعقوب يوسف بن يحيى البويطي يعد من أكبر أصحاب الشافعي من المصريين ، كان عابداً زاهداً ، حمل إلى بغداد بأمر الخليفة الواثق وأريد على القول بخلق القرآن فامتنع فحبس إلى أن مات في السجن سنة (٢٣١هـ) ، انظر الجرح والتعديل ٢٣٥/٩ تاريخ بغداد ٢٩٩/١٤ ، طبقات الشافعية للسبكي ١٦٢/٢.

(١) هو الحسن بن صالح بن حيّ ، ثقة فقيه عابد ، توفي سنة (١٦٩هـ).انظر التقريب ١٦٧/١ وتهذيب الكمال ٢٦٤/١ ، تهذيب التهذيب ٢٨٥/٢

(٢)هو عثمان البتي أبو عمرو البصري صدوق عابوا عليه الإفتاء بالرأي توفي سنة (١٤٣هـ) . انظر التقريب ١٤/٢ ، تهذيب الكمال ٩٢٠/٢ ، تهذيب التهذيب ٧ /١٥٣.

(٣) انظر الاستذكار ١٠٤/٢٦

(٤)الاستذكار ١٠٣/٢٦

يروى الخلال آثاراً عن إمام أهل السنة والجماعة الإمام أحمد بن حنبل في ذلك منها قول الإمام أحمد لسائل سأله عن رجل من القدرية فقال :

((القدر لا يخرجه من الإسلام ، قلت أولئك لم يكونوا يدعون إلى القدر إلا من كان عالماً وجحد العلم ؟ قال: إذا أجحد كفر[1])).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في القدرية المقرين بالعلم :

((ولكن كما اشتهر الكلام في القدر ودخل فيه كثير من أهل النظر والعباد فصار جمهور القدرية يقرون بتقدم العلم ، وإنما ينكرون عموم المشيئة والخلق ، وعن عمرو[2] بن عبيد في إنكار الكتاب المتقدم روايتان ، فقول أولئك كفرهم عليه مالك والشافعي وأحمد وغيرهم ، وأما هؤلاء فهم مبتدعون ضالون لكنهم ليسوا بمنزلة أولئك ، وفي هؤلاء خلق كثير من العلماء والعباد كتب عنهم العلم ، وخرج البخاري ومسلم لجماعة منهم ، لكن من كان داعية إليه لم يخرجوا له وهذا مذهب فقهاء أهل الحديث كأحمد وغيره أن من كان داعية إلى بدعة فإنه يستحق العقوبة لدفع ضرره من الناس وإن كان في الباطن مجتهداً ، وأقل عقوبته أن يهجر فلا يكون له مرتبة في الدين ، لا يؤخذ عنه العلم ولا

(١)السنة للخلال ١/٥٣١الأثر رقم ٨٧٠

(٢) هو عمرو ابن عبيد أبو عثمان البصري القدري رأس من رؤوس المعتزلة عرف بالزهد والعبادة ، رويت له أقوال شنيعة في موقفه من النصوص ، توفي سنة (١٤٤هـ) انظر : تاريخ بغداد ١٢/١٦٢ وطبقات المعتزلة صفحة ٤٨ ، وتهذيب التهذيب ٨/ ٣٠

يستقضى ولا تقبل شهادته ونحو ذلك ، ومذهب مالك قريب من هذا ، ولهذا لم يخـــرج أهل الصحيح لمن كان داعية ، ولكن رووا وسائر أهل العلم عن كثير ممن كان يـــرى في الباطن رأي القدرية والمرجئة والخوارج والشيعة قال أحمد : لو تركنا الرواية عن القدريـــة لتركنا أكثر أهل البصرة)[1] .

ويقول الشيخ عبد الرحمن بن سعدي في تخطئته للقدرية :

(أما أنت أيها القدري فأصبت بقولك إن أفعال العبيد كلها من كسبهم وكلها من فعلهم طاعاتها ومعاصيها وغيرها من أفعالهم وأصبت في استدلالك عليها بأن الله نسبها وأضافها إليهم ، وأصبت في تبريك من قول يلزم منه إسقاط الأمر والنهي وهو الجبر .

ولكنك أخطأت خطأ كبيراً حيث زعمت أن مشيئة الله وقدرته وخلقه لا تعلق لها بأفعال العباد فنفيت عموم النصوص الدالة على هذا الأصل وظننت أن إثبـــات عمـــوم الخلـــق والمشيئة لله ينافي كون الأفعال الصادرة من العباد تكون باختيارهم ومن كسبهم ، وهـــذا الظن غلط محض بل المؤمن العارف يجمع بين الأمرين ، يثبت لله تعالى أنه خالق كل شيء من الأعيان والأوصاف والأفعال وأنه مع ذلك ، الأفعال صادرة منهم حقيقة)[2] .

---

(١)مجموع فتاوى ابن تيمية ٣٨٥/٧

(٢)ابن سعدي : الدرة البهية شرح القصيدة النائية . ضمن مجموعة مؤلفات ابن ســـعدي ٨٠٠/٦، الميمان للنشر والتوزيع بالرياض ط١، ١٤٣٢هـ

الفصل السادس

موقف ابن عبد البر من الجبرية

المبحث الأول

رد ابن عبد البر على الجبرية في قولهم

بالجبر في الأفعال

سميت الجبرية بذلك نسبة إلى الجبر في باب القدر ، والجبر لغة : خلاف الكسر ، وجبرا لعظم والفقير جبراً وجباره ، وأجبرته على الأمر كرهته عليه ، وأجبرته أيضاً نسبته إلى الجبر[١] .

تعريف الجبر اصطلاحاً هو :

نفي الفعل حقيقة عن العبد وإضافته إلى الرب[٢] .

والجبرية صنفان :

جبرية خالصة .

جبرية متوسطة .

أما الجبرية الخالصة فهي التي لا تثبت للعبد فعلاً ولا قدرة على الفعل أصلاً ، وإنما هو كالريشة في مهب الريح ، وهؤلاء هم الجبرية أتباع جهم[٣] بن صفوان والذي يقول :

((إنه لا فعل لأحد في الحقيقة إلا الله وحده وأنه هو الفاعل وأن الناس إنما تنسب إليهم أفعالهم على المجاز كما يقال : تحركت الشجرة ودار الفلك وزالت الشمس ، وإنما فعل

---

(١) انظر القاموس المحيط مادة جبر ص ٣٦٠، والصحاح للجوهري مادة جبر ٢/٦٠٨، ولسان العرب مادة جبر ٤/١٣٥.

(٢) انظر التعريفات للجرجاني ص ٧٤، والملل والنحل ١/٩٩

(٣) سبق ترجمته .

ذلك بالشجرة والفلك والشمس الله سبحانه[1])) ويقول أيضاً :

((إن الإنسان لا يقدر على شيء ولا يوصف بالاستطاعة وإنما هو مجبور في أفعاله لا قدرة له ولا إرادة ولا اختيار ، وإنما يخلق الله تعالى الأفعال فيه على حسب ما يخلق في سائر الجمادات[2])) .

من الفرق التي تنتسب إلى مذهب الجبرية غير الجهمية فرقة (النجارية) أصحاب الحسين بن محمد النجار[3] وفرقة (الضرارية) أصحاب ضرار بن عمرو[4] .

أما الجبرية المتوسطة : فهي التي تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة وهذه هي نظرية (الكسب) التي اعتمدها الأشاعرة في محاولة التوفيق بين مذهب القدرية والجبرية ، وهي تؤول في آخر أمرها إلى القول بالجبر[5] .

---

(١) الأشعري مقالات الإسلاميين ص ١٦٤.

(٢) الشهرستاني . الملل والنحل ١/١٠٠

(٣) هو أبو عبد الله الحسين بن محمد النجار ، قال بقول المعتزلة في نفيهم للصفات ورؤية الله تعالى بالأبصار ، وقال بقول الأشاعرة في أن الله خالق الأفعال للعباد العباد مكتوب لها . توفي نحو سنة (٢٢٠هـ) انظر مقالات الإسلاميين ص ١٦٦ الملل والنحل ١/١٠١ ، واعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي ص ١٠٤.

(٤) هو ضرار بن عمرو الكوفي رأس الفرق الضرارية كان في بداية أمره تلميذاً لواصل بن عطاء ، قال عنه الذهبي له مقالات خبيثة ، ومنمقولاته أن أعمال العباد مخلوقة وأن فعلاً واحداً لفاعليها أحدهما خلقه وهو الله والآخر اكتسبه وهو العباد توفي سنة (١٩٠هـ) انظر الفرق بين الفرق ص ١٦٢ ، وميزان الاعتدال ٢/٢٨ وتاريخ التراث العربي لسزكين المجلد الأول ٤/٦١.

(٥)انظر الملل والنحل ١/٩٩ ، ودائرة معارف القرن العشرين لمحمد فريد وجدي ٣/٢٤ والتاريخ الإسلامي والحضارة الاسلامية لأحمد شلبي ٢/٢٧٠

يقول أبو المعالي الجويني[1] وهوقطب من أقطاب الأشاعرة في تفسيره لنظرية الكسب :

((العبد غير مجبر على أفعاله بل هو قادر عليها مكتسب لها ، والدين على اثبات القـدرة للعبد أن العاقل يفرق بين أن ترتعد يده وبين أن يحركها قصداً ، ومعنى كونه مكتسباً أنه قادر على فعله وإن لم تكن قادراً مؤثرا في إيقاع المقدور))[2] .

ونظرية الأشاعرة هذه ليست صحيحة وليس لها حقيقة أصلاً ((لأنهم أثبتوا للعبد قدرة لا تأثير لها في مقدورها ، ولا في صفة من صفاتها وهذا مخالف للنصوص النقليـة والأدلـة العقلية ، والأشاعرة أنفسهم ردوا على بعضهم في هذا الباب))[3] .

يذكر شيخ الاسلام ابن تيمية أن الاشاعرة وافقوا جهماً في المعنى في هذه المسألة قـائلاً: (فإن الأشعرية وبعض المثبتين للقدر وافقوا الجهم بن صفوان في أصل لقوله في الجبر ، ومن نازعوه في بعض ذلك نزاعاً لفظياً أتوا بما لا يعقل ... وبالغوا في مخالفة المعتزلة في مسائل القدر حتى نسبوا إلى الجبر[4] .

---

(١)هو أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني الملقب بإمام الحرمين وهو مـن علمـاء الشافعية وأئمة الأشاعرة وصاحب التصانيف المشهورة ومن أشهرها لمع الأدلة ، وغيـاث الأمـم ، والشامل ، والبرهان ، وقد أظهر الرجوع إلى مذهب السلف في آخر حياته توفي سـنة (٤٧٨هـ) انظر وفيات الاعيان ٦٧/٣، وسيرأعلام النبلاء ٤٦٨/١٨ ، وطبقات الشـافعية الكـبرى ١٦٥/٥ ، وطبقات الشافعية للأسنوي ٤٠٩/١.

(٢)الجويني ، لمع الأدلة صفحة ١٠٧ تحقيق د.فوقية حسين محمود ط ١٣٨٥/١هـ نشر المؤسسـة المصرية العامة للتأليف بمصر .

(٣) د. عبد الرحمن المحمود . القضاء والقدر صفحة ٣٦٥

(٤) ابن تيمية . منهاج السنة ١ / ٤٦٣

ويرد ابن عبد البر على الجبرية في أن الاحتجاج بالقدر هو ما نؤمن به ولكن لا نحتج بـــه على المعاصي ، ومن احتج بالقدر على فعل المعاصي فحجته غير مقبولة ، فلـــيس مـــن المقبول ولا من المسوغ أن يحتج الزاني والسارق بالقدر ، ويقول هذا قدر قدّره الله علي ، ولا عذر له إن لحقه اللوم والذم ، وهذا الرد جاء في تعليقه على حـــديث احتجـــاج آدم وموسى حيث يقول – رحمه الله – :

((وقد أجمع العلماء على أنه غير جائز لأحد أن يجعله حجة إذا أتى ما نهى الله عنه وحرمه عليه أن يحتج بمثل هذا ، فيقول : أتلومني أن قتلت وقد سبق في علم الله أن أقتل ، وتلومني أن أسرق أو أزني أو أظلم وأجور ، وقد سبق ذلك علي في علم الله تعالى وقدره ، وهذا ما لا يسوغ لأحد أن يجعله حجة لنفسه ، والأمة مجتمعة على أنه جائز لوم من أتى ما يلام عليه من معاصي ربه وذمه على ذلك ، كما أنهم مجمعون على حمد من أطاع ربه وأتى من الأمور المحمودة ما يحمد عليه))[1] .

وقد وافق ابن عبد البر علماء الإسلام في دفع قول الجبرية والاحتجاج بالقدر في المعاصي ، فهذا الإمام الأوزاعي يقول : ((وما أعرف للجبر أصلا من قرآن ولا سنة))[2] ويقول شيخ الاسلام ابن تيمية في رد قول الجبرية :

---

(١) الاستذكار ٨٨/٢٦ وانظر التمهيد ١٥/١٨ وما بعدها .

(٢) انظر لوائح الأنوار السنية للسفاريني ٣٤٠/١.

((والقدر يؤمن به ولا يحتج به ، بل العبد مأمور أن يرجع إلى القدر عند المصائب يستغفر الله عند الذنوب والمعاصي ، كما قال تعالى :﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ ﴾ولهذا احتج آدم وموسى عليهما السلام كما لام موسى آدم لأجل المصيبة التي حصلت لهم بأكل من الشجرة ، فذكر له آدم أن هذا كان مكتوباً قبل أن أخلق فحج آدم وموسى...فهذا هو جهة احتجاج آدم بالقدر ، ومعاذ الله أن يحتج آدم أو من هو دونه من المؤمنين على المعاصي بالقدر ، فإنه لو ساغ هذا لساغ أن يحتج إبليس ومن تبعه من الجن والإنس بذلك ، ويحتج به قوم نوح وعاد وثمود وسائر أهل الكفر والفسوق والعصيان ، ولم يعاقب أحد وهذا مما يعلم فساده بالاضطرار شرعاً وعقلاً[1]))

.

ويقول ابن القيم في فساد قول الجبرية : ((وهؤلاء شر من القدرية النفاة وأشد منهم عداوة لله ومناقضة لكتبه ورسله ودينه))[2] .

ويعلق الشيخ محمد خليل هراس في شرحه لنونية ابن القيم على مقولة الجبرية وأنهم

(١)ابن تيمية : اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ٣٨٩/٢ تحقيق د. ناصر العقل ، دار العاصمة ط١٤١٩/٦هـ ، وانظر كتاب النبوات لابن تيمية ٨٦٨/٢. تحقيق د.عبد العزيز الطويان . الجامعة الإسلامية ط١٤٢٧/٢هـ.

(٢) ابن القيم : مدارج السالكين ٤٠٧/١ تحقيق : محمد المعتصم بالله البغدادي دار الكتاب العربي ط١٤٢١/٦هـ

ضالون في هذا المعتقد إذا سوو بين الإيمان والكفر والطاعة والمعصية ، ويلزمهم على هذا بعدة لوازم فيقول :

((فالأفعال والتكليف بها ، والثواب والعقاب عليها كل ذلك جبر على العبد لا اختيار له فيه ، فيلزم هذا الجبر أن لا يقر على نفسه بذنب ، وأن يحمل ذنوبه كلها على القدر كما يحمل السقف على القوي الجدر ، وأن يفتح لنفسه باب العذر في كل ما يرتكب من وزر ، إذ يرى أن لا فعل له ، وأن الأفعال كلها صادرة من الله جل شأنه .

ويلزمه أيضاً أن يسوي بين ما يصدر عنه بإرادته واختياره وبين ما يصدر منه على جهة الضرورة كحركة الرعدة والارتعاش فلا يحس فرقاً بين الذنوب التي تصدر عنه باختياره ، وبين رعشة الشيخ الكبير التي تصدر عنه بلا قصد منه بل بسبب الهرم والضعف ......

ويلزمه أيضاً أن الله كلف العباد ما لا يطيقونه وأنه أمرهم ونهاهم ما لا قدرة لهم على فعله أو تركه ....وفي هذا نسبة العبث إلى الله جل شأنه))(١) .

ويقول العلامة ابن عثيمين – رحمه الله – إن الرد على الجبرية يكون بالشرع والواقع فيقول :

((أما الشرع فإن الله تعالى أثبت للعبد إرادة ومشيئة وأضاف العمل إليه فقال تعالى :

---

(١) محمد خليل هراس : شرح العقيدة النونية لابن القيم ٤٣٨/١. دار المنهاج . ط١٤٢٤هـ.

﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ﴾[1] وقال : ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾[2]...

وأما الواقع : فإن كل إنسان يعلم الفرق بين أفعاله الاختيارية التي يفعلها بإرادته كالأكل والشرب والبيع والشراء ، وبين ما يقع عليه بغير إرادته كالإرتعاش من الحمى والسقوط من السطح ، فهو في الأول فاعل مختار بإرادته من غير جبر وفي الثاني غير مختار ولا مريد لما وقع عليه .))[3]

(١) سورة آل عمران الآية ١٥٢

(٢) سورة الكهف الآية ٢٩

(٣) الشيخ ابن عثيمين : شرح ثلاثة الأصول صفحة ١١٤ . دار الثريا للنشر ط١ ١٤١٤هـ . وانظر فتاوى ابن عثيمين في العقيدة ٦٧٥/١، ٦٧٦. دار الثريا للنشر ط١/١٤٢٩هـ.

المبحث الثاني

رد ابن عبد البر على الجبرية في قولهم

بعدم القطع لأطفال المسلمين بدخول الجنة

يقول ابن عبد البر – رحمه الله – أن أطفال المسلمين في الجنة ، ويورد في ذلك أحاديث معلقاً عليها أن هذا القول هو ما تعتقده جماعة المسلمين قاطبة إلا فرقة من المجبرة شذت عن هذا القول .

ويقول إن هذه الفرقة قولها مردود عليها لبيان الأدلة من السنة ولمخالفتهم لإجماع الأمة .

بل إنه يورد حديثاً في السقط الذي يدخل الجنة هو وأبواه معتبر هذا الحديث وبقية الأحاديث التي تشير إلى دخول أطفال المسلمين الجنة من رحمة الله ﷻ على أمة محمد ﷺ إذ جعل الأبوين مرحومين برحمة الطفل ، وإذ جعلهم يدخلون في تكثير أمة محمد ﷺأما الأحاديث التي ذكرها في قوله ﷺ :

روى بسنده عن رسول الله ﷺ أنه قال : ((ما من المسلمين من يموت له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث إلا أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم ، يجاء بهم يوم القيامة فيقال لهم : ادخلوا الجنة فيقولون ، حتى يدخل آباؤنا ، فيقال لهم ، ادخلوا أنتـــم وآباؤكم بفضل رحمتي))[1][2] .

ويروى بسنده عن رسول الله ﷺ أنه قال : ((إني مكاثر بكم الأمم حتى بالسقط يظل

---

(١)أخرجه الألباني في أحكام الجنائز حديث رقم ٣٤ وقال إسناده صحيح على شرط الشيخين
(٢) التمهيد ٣٤٧/٦

محبنطئاً[1] يقال له أدخل الجنة فيقول : لا حتى يدخلها أبواي ، فيقال له ، أدخل أنت وأبواك))[2][3] .

ويروى بسنده عن رسول الله ﷺ أنه قال :

(صغاركم دعاميص[4] الجنة)[5][6] .

ويروى بسنده أن رجلاً من الأنصار مات له ابن صغير فوجد عليه فقال له ﷺ :

(أما يسرك أن تأتي باباً من أبواب الجنة إلا وجدته يستفتح لك فقالوا : يارسول الله أله خاصة أم للمسلمين عامة قال بل للمسلمين عامة)[7][8] .

يقول – رحمه الله – معلقاً على هذه الأحاديث:

(ففي قوله ﷺ في هذه الأحاديث لم يبلغوا الحنث ، ومعناه عند أهل العلم لم يبلغوا الحلم

---

(١)المحبنطئ : المتغضب المستبطئ للشيء . انظر النهاية في غريب الحديث ٤ / ٣٦٥ ، لسان العرب ١ / ٧١ .

(٢) حديث ضعيف ضعفه الألباني : السلسلة الضعيفة ٣٢٦٧

(٣)التمهيد ٣٤٩/٦

(٤) الدعموص دويبة تكون في الماء لا تفارقه ، انظر النهاية في غريب الحديث ٢٥١/٢

(٥) صححه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم ٣٧٦٤

(٦)التمهيد ٣٤٩/٦

(٧) صححه ابن حجر في الفتح ٣ / ١٤٥

(٨)التمهيد ٣٤٩/٦

الباب الثاني

موقف ابن عبد البر من الأديان

الفصل الأول

موقف ابن عبد البر من اليهودية

المبحث الأول

تقرير ابن عبد البر لرسالة موسى عليه السلام

ولم يبلغوا أن يلزمهم حنث دليل على أن أطفال المسلمين في الجنة لا محالة — والله أعلم — لأن الرحمة إذا نزلت بآبائهم من أجلهم ، استحال أن يرحموا من أجل من ليس بمرحوم ، ألا ترى لي في قوله ﷺ : بفضل رحمته إياهم ، فقد صار الأب مرحوماً بفضل رحمتهم ، وهذا على عمومه ، لأن لفظه ﷺ في هذه الأحاديث لفظ عموم ، وقد أجمع العلماء على ما قلنا من أن أطفال المسلمين في الجنة فأغنى ذلك على كثير من الاستدلال ، ولا أعلم عن جماعتهم في ذلك خلافاً ، إلا فرقة شذت من المجبرة فجعلتهم في المشيئة ، وهو قول شاذ مهجور مردود بإجماع الجماعة وهم الحجة الذين لا تجوز مخالفتهم ، ولا يجوز على مثلهم الغلط في هذا)[1]

وقد صدق ابن عبد البر – رحمه الله – في أنه لا يوجد خلاف بين علماء المسلمين في عدم دخول أطفال المسلمين الجنة أو أنهم في مشيئة الله ﷻ وإنما الخلاف بين علماء المسلمين هو حول أطفال المشركين والديانات الأخرى هل هم يدخلون الجنة أم يدخلون النار أم يجرى له امتحان يوم القيامة أم هم في مشيئة الله ، وقد أدلى كل بحجته ليس هذا موضع الحديث عنه[2] .

---

(١)التمهيد ٣٤٨/٦

(٢) انظر أحاديث العقيدة التي يوهم ظاهرها التعارض . د سليمان الدليخي صفحة ٥٧٢ وكتاب أحاديث العقيدة المتوهم أشكالها في الصحيحين للمؤلف نفسه صفحة ٤٦٠ .

اليهودية هي ديانة منسوبة إلى اليهود ، واليهود هم الذين يزعمون أنهم أتباع موسى عليه السلام ، وقد وردت تسميتهم في القرآن الكريم (بقوم موسى) وبني إسرائيل نسبة إلى يعقوب عليه السلام ووردت أيضاً بـــ(أهل الكتاب) أما تسميتهم باليهود في القرآن فقد وردت في مواطن الذم لهم ، كقوله تعالى :

﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلاَ نَصْرَانِيًّا ﴾ [1] وقوله تعالى : ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاء اللّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ﴾ [2] وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ [3] وقوله تعالى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللّهِ ﴾ [4]

وقد كانت عقيدة اليهود قبل أن يحرفوها عقيدة التوحيد والإيمان الصحيح وأنزل الله التوراة على نبيهم موسى عليه السلام فيها هدى ونور ،قال تعالى : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ..الآية ﴾[5] لكن اليهود حرفوها وبدلوها وغيروا من نصوصها وقد ساووا بين التوراة وآراء أحبارهم المتمثلة بما يسمى عندهم (بالتلمود)[6] الذين أحلوا لهم الحرام وحرموا

---

(١) سورة آل عمران الآية ٦٧

(٢) سورة المائدة الآية ١٨

(٣)سورة المائدة الآية ٦٤

(٤)سورة التوبة الآية ٣٠

(٥) سورة المائدة الآية ٤٤

(٦) التلمود هو روايات شفوية جمعها الحاخام يوضاس سنة ١٥٠م في كتاب سماه (المشنا) ومعناها الشريعة المكررة ثم أتم جمع هذه الرواية الشفوية الراباي يهوذا سنة ٢١٦م ، ثم شرح المشنافي كتاب سمي (جمارا) ومن المشنا والجمارا يتكون التلمود ويعتبر التلمود أهم من التوراة عن اليهود . انظر إغاثة اللهفان لابن القيم ٣٨٥/٢ والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة٥٠١/١ وموسوعة اليهودية والصهيونية لعبد الوهاب المسيري ١٢٥/٥ والصهيونية واليهودية للمسيري صفحة ٢٨٢ والكتر المرصود في قواعد التلمود صفحة ٤٧ ، والفكر الديني اليهودي لحسن ظاظا صفحة ٨٢

عليهم الحلال ، فقال تعالى فيهم وفي النصارى : ﴿اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ ﴾ (١).

قال تعالى في تحريفهم للتوراة : ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـذَا مِنْ عِندِ اللّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ (٢)

وقد أشار القرآن الكريم إلى ضلالات اليهود وانحرافاتهم في آيات كثيرة منها على سبيل المثال : الآيات من ١٥٥- إلى - ١٦١ من سورة النساء حيث ذكر الله أحد عشر وصفاً لهم فقال سبحانه :

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بَآيَاتِ اللّهِ وَقَتْلِهِمُ الأَنْبِيَاء بِغَيْرِ حَقًّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴿١٥٥﴾

وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ اللّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا

(١) سورة التوبة الآية ٣١

(٢) سورة البقرة الآية ٧٩

﴿ ١٥٩ ﴾ فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللّهِ كَثِيرًا ﴿ ١٦٠ ﴾ وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ ﴾ [(١)(٢)] .

وقد أورد ابن عبد البر حديثاً صحيحاً يذكر فيه رسالة موسى عليه السلام وأنه رسول الله إلى بني إسرائيل وأنه كليم الله ، وذلك في الحديث المشهور بحديث احتجاج آدم وموسى عليهما السلام ، حيث روى بسنده عن رسول الله ﷺ أنه قال :

((إن موسى عليه السلام قال ياربي أربي أبانا آدم الذي أخرجنا من الجنة فأراه الله آدم قال : أنت أدم نعم . أنت الذي نفخ الله فيك من روحه وعلمك الأسماء كلها وأمر ملائكته فسجدوا لك قال نعم ، قال : فما حملك على أن أخرجتنا ونفسك من الجنة ، قال من

---

(١)سورة النساء الآيات من ١٥٥ - ١٦١

(٢)انظر الموسوعة الميسرة ٤٩٥/١ والأديان في القرآن لمحمود بن شريف صفحة ١٥، والأديان والفرق والمذاهب المعاصرة للشيخ عبد القادر شيبة الحمد صفحة ١٥ ، واليهودية لأحمد شلبي ص ٨٦ ودراسات في الأديان اليهودية والنصرانية صفحة ٤٧ ، والموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة صفحة ١٩ وما بعدها .

أنت قال أنا موسى ، قال أنت نبي بني إسرائيل الذي كلمك الله من وراء حجاب ولم يجعل بينك وبينه رسولا من خلقه قال : نعم قال فما وجدت في كتاب الله الذي أنزل عليك ان ذلك في كتاب الله قبل أن أخلق قال : نعم ، قال : أتلومني في شيء سبق من الله القضاء قبل ؟ قال عند ذلك رسول الله ﷺ فحج آدم موسى))[1][2] .

فالإيمان بالرسل هو ركن من أركان الإيمان لا يكون إيمان المرء إلا به والأدلة على ذلك من الكتاب والسنة كثيرة منها قوله تعالى :

﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ۝١٣٦ ﴾[3].

وقوله تعالى ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴾[4]

ومنها قوله ﷺ في حديث جبريل المشهور عن الإيمان : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره)[5] أما علماء الإسلام فما من عالم منذ عهد النبوة من الصحابة وتابعيهم إلى عصرنا الحاضر – على مختلف نحلهم ومشاربهم –

(١) متفق عليه أخرجه البخاري كتاب القدر ٦٦١٤ ، ومسلم كتاب القدر ٢٦٥٢

(٢) الاستذكار ٨٤/٢٦ وانظر التمهيد ١١/١٨

(٣) سورة البقرة الآية ١٣٦

(٤) سورة البقرة الآية ٢٨٥

(٥) أخرجه مسلم . كتاب الايمان ١

تكلم في أركان الإيمان إلا وعد الإيمان بالرسل ركناً ركيناً من الدين ومن لم يؤمن به فهو كافر خارج من ملة الاسلام .

ويقول الطحاوي في عقيدته :

((ونؤمن بالملائكة والنبيين والكتب المنزلة على المرسلين ، ونشهد أنهم كانوا على الحق المبين))[1].

ويقول ابن القيم في تقرير عقيدة الإيمان بالرسل :

((الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فإن من لم يؤمن بهذه الخمس لم يدخل في باب الايمان ، ولا يستحق اسم المؤمن ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾[2] وقال : ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ ﴾[3]

ويقول العلامة ابن عثيمين في إثبات هذه العقيدة : ((والإيمان بالرسل يتضمن ما يلي :

١. أن تؤمن بأنهم حق صادقون مصدقون .

٢. أن تؤمن بما صح عنهم من الأخبار وبما ثبت عنهم من الأخبار وبما ثبت عنهم من الأحكام ما لم تنسخ.

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية صفحة ٤٠١

(٢) ابن القيم . مفتاح دار السعادة ٤٨١/١ تحقيق علي الحلبي دار ابن القيم وابن عفان ط١ / ١٤٢٥هـ

(٣) سورة النساء الآية ١٣٦

٣. أن تؤمن بأعيان من علمنا أعيانهم ، وما لم نعلمه فنؤمن بهم على سبيل الإجمال ، ونعلم أنه ما من أمة إلا خلا فيها نذير وأن الله سبحانه وتعالى أرسل لكل أمة رسولا تقوم به الحجة عليهم كما قال تعالى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ ﴾))[1][2] .

(١) سورة النساء الآية ١٦٥

(٢) ابن عثيمين ، القول المفيد على كتاب التوحيد ٢/٤١١ دار ابن الجوزية ط٢/١٤٢٤هـ

المبحث الثاني

فرق اليهود التي ذكرها ابن عبد البر

ذكر ابن عبد البر من فرق اليهود فرقة واحدة وهي فرقة (السامرة) إلا أنه لم يقطع بأنهم من اليهود وذلك حسب ما نقله عن الفقهاء ، في حكم أكل ذبائحهم ونكاح نسائهم هل يلحقون باليهود أم بالمجوس والصابئين فيقول – رحمه الله – :

((وأما اختلاف العلماء في ذبائح الصابئين والسامرة وصيدهم فقال الكوفيون : لا تؤكل ذبائح الصابئين والمجوس والسامرة فليسوا أهل كتاب .

وقال الشافعي : لا تؤكل ذبائح الصابئين ولا المجوس .

وقال : أما السامرة فهم من اليهود فتؤكل ذبائحهم إلا أنه يعلم أنهم يخالفونهم في أصل ما يحرمون من الكتابي ويحلون فلا تؤكل ذبائحهم كما المجوس .

قال : وإن كان الصابئون والسامرة من بني إسرائيل يدينون بدين اليهود والنصارى أنكحت نساؤهم وأكلت ذبائحهم))[1]

وقد ذكر كثير ممن كتب عن تاريخ الأديان أو تاريخ اليهود من القدماء أو المحدثين أن السامرة فرقة من فرق اليهود ، منهم ابن حزم توفي سنة (٤٥٦هـ) حيث يقول :

((بأيدي السامرية توراة غير التوراة التي بأيدي سائر اليهود ، يزعمون أنها المنزلة ويقطعون أن التي بأيدي اليهود محرفة مبدلة وسائر اليهود يقولون إن التي بأيدي السامرية محرفة مبدلة))[2]

(١) الاستذكار ١٥/٢٩٧

(٢) ابن حزم . الفصل ١/١١٩

ويذكر الشهر ستاني – توفي سنة (٥٤٨هـ) – أن السامرة فرقة من فرق اليهود فيقول : ((هؤلاء قوم يسكنون جبال بيت المقدس ، وقرى من أعمال مصر ويتقشفون في الطهارة أكثر من تقشف سائر اليهود ، أثبتوا نبوة موسى وهارون ويوشع بن نون عليهم السلام وأنكروا نبوة من بعدهم من الأنبياء إلا نبياً واحداً))[1]

وكذلك قد اتفقت الدراسات الحديثة عن اليهود أن السامرة فرقة من اليهودية يسكنون جبال بيت المقدس يثبتون نبوة موسى وهارون ويوشع بن نون ، وينفون نبوة غيرهم من الأنبياء ويؤمنون بتوراة موسى ويقدسونها ، ويؤمنون بأن جبل جرزيم وهو جبل مجاور لنابلس بأنه هو المكان المقدس الحقيقي وهو القبلة الحقيقية الوحيدة لبني اسرائيل[2] .

---

(١) الشهرستاني . الملل والنحل ١/٢٢٤

(٢) انظر الموسوعة الميسرة ١/٥٠٠، وموسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ٥/٣٢٠، والفكر الديني اليهودي لحسن ظاظا صفحة ٢٠٦ ودراسات في الأديان للدكتور سعود الخلف صفحة ١٤٣

المبحث الثالث

موقف ابن عبد البر من كتابهم التوراة

يقول ابن عبد البر رحمه الله إن اليهود كانوا لا يتورعون في الكذب على لسان أنبيائهم ويحرفون كتابهم التوراة وينسبون هذا التحريف كذبا إلى الله سبحانه وإلى توراتهم ، وأورد في ذلك دليلاً من السنة ، وهو الحديث الذي دار فيه حوار بين رسول الله ﷺوبين اليهود حول الزانيين اللذان زنيا من اليهود ، وأثبت فيه ﷺتحريفهم لكتابهم التوراة وذلك بإخفائهم لآية الرجم روى بسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال :

((جاءت اليهود إلى رسول الله ﷺ فذكروا له أن رجلا وإمرأة زنيا فقال لهم رسول الله ﷺ : ماتجدون في التوراة من شأن الرجم فقالوا : نفضحهم ويجلدون ، فقال عبد الله [1]بن سلام كذبتم إن فيها الرجم فأتوا بالتوراة فنشروها فوضع أحدهم يده على آية الرجم ثم قرأ ما قبلها وما بعدها ، فقال له عبد الله بن سلام ، ارفع يدك فرفع يده فإذا فيها آية الرجم ، فقالوا صدق يامحمد فيها آية الرجم فأمر بهما رسول الله ﷺ فرجماً))[2][3] .

ويعلق على هذا الحديث بأن التوراة صحيحة في عهد رسول الله ﷺوليست محرفة بدليل سؤال الرسول ﷺ عنها وأمره لهم بقرائتها ، وإنما وقع التحريف فيما أضـــافوه على

(١) هو عبد الله بن سلام بن الحارث الاسرائيلي ، وهو من ولد يوسف بن يعقوب عليهما السلام ، وكان اسمه في الجاهلية الحصين ، فلما أسلم سماه الرسول ﷺ عبد الله وهو أحد الصحابة الأخيار وقد شهد له رسول الله ﷺ بالجنة ، توفي في خلافة معاوية ؓ سنة ٤٣هـــ انظر الاستيعاب ٩٢١/٣ ، أسد الغابة ٣ / ٢٦٤ ، الإصابة ٦ / ١٠٨

(٢) أخرجه البخاري كتاب الحدود ٦٨٤١.

(٣)الاستذكار ٧/٢٤ ، والتمهيد ٨٨٥/١٨

التوراة من كتب أحبارهم ورهبانهم ثم ينسبونها إلى الله ﷻ ولهذا نهينا عن تصديقهم أو تكذيبهم . فيقول – رحمه الله – :

((وفي ذلك دليل على أن التوراة صحيحة بأيديهم ولولا ذلك ما سألهم رسول الله ﷺ عنها ولا دعا بها ، وفيما ذكرنا دليل على أن الكتاب الذي كانوا يكتبونه ثم يقولون هذا من عند الله هي كتب أحبارهم وفقهائهم ورهبانهم ، كانوا يصنعون لهم كتباً من آرائهم وأهوائهم ويضيفونها إلى الله ﷻ ، ولهذا وشبهه من أشكال أمرهم نهينا عن التصديق بما حدثونا به وعن التكذيب بشيء من ذلك[1] لئلا نصدق بباطل أو نكذب بحق وهم قد خلطوا الحق بالباطل ....

وفي هذا الحديث دليل على أنهم كانوا يكذبون على توراتهم ، ويضيفون كذبهم ذلك إلى ربهم وكتابهم))[2] .

وبعد هذا النص الصريح والواضح من ابن عبد البر – رحمه الله – في صحة التوراة يذكر بعده بأسطر ذمه لليهود وأنهم غير مؤتمنين على التوراة وقد غيروا فيها وبدلوا فيقول :
((وإنما يمنعنا من مطالعة التوراة لأن اليهود الذين بأيديهم التوراة غير مؤتمنين عليها إنما غيروا وبدلوا منها))[3] .

---

(١) هذا إشارة إلى قول الرسول ﷺ : (لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا (آمنا بالله وما أنزل الينا) أخرجه البخاري كتاب التفسير ٤٤٨٥.

(٢) التمهيد ٣٨٦/١٤ ، والاستذكار ١١/٢٤

(٣) التمهيد ٣٨٧/١٤

ويذكر أيضا تشكيك عمر بن الخطاب ﷺ في صحة التوراة عندما خاطب كعب الأحبار قائلاً :

((إن كنت تعلم أنها التوراة التي أنزلها الله ﷻ على موسى بن عمران ﵇ فاقرأها آناء الليل والنهار))[1] .

ويرى الباحث أن ابن عبد البر – رحمه الله – لا يسلِّم بصحة التوراة بجملتها إنما دخل التحريف فيها بما أضافه الأحبار والرهبان من شروح ونسبوها إلى الله وبما حرفوا فيها بعض التشريعات أو أخفوها عن عامة اليهود ، وبما عرف عنهم من خبث ومكر والتفاف على تشريعات الله ﷻ.

وهذا القول هو ما عليه كثير من علماء المسلمين السابقين يقول ابن القيم – رحمه الله –

((وقد اختلفت أقوال الناس في التوراة التي بأيديهم هل هي مبدلة أم التبديل والتحريف وقع في التأويل دون التنزيل ؟

على ثلاثة أقوال طرفين ووسط .

فأفرطت طائفة وزعمت أنها كلها أو أكثرها مبدلة مغيرة ليست التوراة التي أنزلها الله تعالى على موسى ﵇ ....

(١) السابق ٣٨٧/١٤ وجامع بيان العلم وفضله ٨٠٦/٢

وقابلهم طائفة أخرى من أئمة الحديث والفقه والكلام ، بل التبديل وقع في التأويل لا في التتريل..................

وتوسطت طائفة ثالثة ، وقالوا قد زيد فيها وغير ألفاظ يسيرة ولكن أكثرها بقى على ما أنزل الله والتبديل في يسير منها جداً ، وممن اختار هذا القول شيخنا في كتابه { الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح })[١]

أما الدراسات الحديثة فهي تجمع على أن التوراة الموجودة بين أيدي اليهود محرفة ولا يوثق بأي شيء منها ولم يحافظوا على ما فيها بل غيروا فيها وبدلوا وأضافوا وحذفوا حسب أهوائهم وشهواتهم ، كما تثبت الدراسات الحديثة أن التوراة لا سند لها إلى موسى عليه السلام وأنها كتبت بعد وفاته بأربعة قرون[٢].

---

(١) ابن القيم،إغاثة اللهفان ٤٠٦/٢ تحقيق خالد عبد اللطيف،دار الكتاب العربي ط٤ ،١٤٢١ هـ

(٢) انظر موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ٨٥/٥، والموسوعة الميسرة ٥٠٠/١ والفكر الديني اليهودي صفحة ١٧ ، ودراسات في الأديان اليهودية والنصرانية صفحة ٩٦ والموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة صفحة ٢٠ وما بعدها.

المبحث الثاني

موقف ابن عبد البر من التعامل معهم

يبرز لنا ابن عبد البر روح الإسلام في التعامل مع اليهود والعدل معهم وذلك فيما نقله لنا من أحاديث وآثار تظهر سماحة الإسلام وعدله وإنصافه مع من يخالفون المسلمين في عقائدهم ، وهذه المنقولات تتكون من ثلاثة جوانب في التعامل مع اليهود :

الجانب الأول : الحكم بينهم

فيقول معلقاً على حديث اليهوديين اللذين زنيا والذي مر معنا في المبحث السابق :

((وفيه دليل على أن شرائع من قبلنا شرائع لنا إلا بما ورد في القرآن أو في سنة النبي محمد ﷺ نسخه وخلافه ... وفيه أن أهل الكتاب وسائر أهل الذمة إذا تحاكموا إلينا ورضوا بحكم حاكمنا حكم بينهم بما في شريعتنا ، كان ذلك موافقاً لما عندهم أو مخالفاً ، وأنزلهم في الحكم مترلتنا ، وعلى هذا عندنا كان حكم رسول الله ﷺ بالرجم على اليهوديين ؛ لأنه قد رجم ماعزاً وغيره من المسلمين ، ومعلوم أنه إنما رجم من رجم من المسلمين بأمر الله وحكمه ؛ لأنه كان لا ينطق عن الهوى ولا يتقدم بين يدي الله وإنما يحكم بما أراه الله ، فوافق ذلك ما في التوراة))[1].

وقد وافق ابن عبد البر علماء المسلمين في التعامل مع اليهود في الحدود الشرعية ؛ اعتماداً

(١) التمهيد ٣٨٧/١٤ وانظر الاستذكار ١٢/٢٤

منهم على الحديث السابق ، فهذا الفقيه شمس الدين عبد الرحمن بن قدامة(١)يقول بعد إيراده حديث الزانيين اليهوديين فيقول :

((إنما حكم عليهم بما أنزل الله ﷻ إليه بدليل قوله تعالى : ﴿ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾(٢)

ولو ساغ لغيره،وإنما راجع التوراة لتعريفهم أن حكم التوراة موافق لما يحكم به عليهم))(٣)

ويورد الحافظ ابن حجر العسقلاني حديثين في كتابه بلوغ المرام من أدلة الأحكام في كتاب الحدود ، وذلك في سرده للأحاديث التي يستشهد بها في الحدود فالحديث الأول قوله ﷺ :

((رجم رسول الله ﷺ رجلاً من أسلم ورجلاً من اليهود وامرأة))(٤) .

والحديث الثاني يقول عنه ابن حجر :

---

(١) هو شمس الدين عبد الرحمن بن قدامة المقدسي الصالحي سمع أباه عمر والشيخ الموفق عمه ، وهو ممن عرف بالعلم والعمل والأخلاق الشريفة ، له كتابه المشهور { الشرح الكبير } على كتاب المقنع في الفقه الحنبلي . ولد سنة ٥٩٧ وتوفي سنة ٦٨٢ . انظر : معجم الشيوخ ٣٧٥/١ ، المعجم المختص بالمحدثين ص ١٣٨ ، وذيل الطبقات ٣٠٤/٢

(٢) سورة المائدة الآية رقم ٤٨

(٣) ابن قدامة.الشرح الكبير ٢٥٠/٢٦ ، تحقيق عبد الله التركي وزميله،دار عالم الكتب ١٤٢٦هـ

(٤) ابن حجر العسقلاني . بلوغ المرام ص ٢٥٨ تصحيح محمد حامد الفقي .

((وقصة اليهوديين في الصحيحين من حديث ابن عمر))[1] .

ويعلق على هذا الحديث الشوكاني قائلاً :

((وقد أتوه ﷺ يسألونه عن الحكم و لم يأتوه ليعرفهم شرعهم فحكم بينهم بشرعه ونبههم على أن ذلك ثابت في شرعهم كثبوته في شرعه))[2] .

الجانب الثاني : العدل معهم .

وقد روى حديث إرسال الرسول ﷺ لعبد الله بن رواحة إلى أهل خيبر ليخرص له ثمر النخل وكيف ان اليهود حاولوا رشوة عبد الله بن رواحة فلما امتنع أقروا له بذلك وقالوا إن هذا هو العدل الذي قامت عليه السماوات والأرض .

روى ابن عبد البر بسنده أن رسول الله ﷺ كان يبعث عبد الله بن رواحة[3] يخرص بينه وبين يهود خيبر ، قال فجمعوا له حلياً من حلي نسائهم فقالوا : هذا لك وخفف عنا وتجاوز في القسم ، فقال عبد الله بن رواحة :

((يا معشر يهود والله إنكم لمن أبغض خلق الله إليّ ، وما ذلك بحاملي أن أحيف عنكم

---

(١) السابق ص ٢٥٨

(٢) الشوكاني . نيل الوطار ص ١٤٦٥ ، دار ابن حزم ط ١ ، ١٤٢١ هـ

(٣) هو عبد الله بن رواحة النصاري الشاعر المشهور ، صحابي جليل ﷺ ، وهو أحد النقباء ليلة العقبة ، شهد بدراً وما بعدها إلى أن استشهد بمؤتة . انظر الاستيعاب ٩١١/٣ ، والإصابة ٧٧/٦

، فأما ما عرضتم من الرشوة فإنها سحت وإنا لا نأكلها ، فقالوا : بهذا قامت السماوات والأرض .))[1][2]

والعدل مع اليهود وأهل الذمة عموماً معروف عبر تاريخ الدولة الإسلامية وكتب التراث الإسلامي تطفح بالأخبار والآثار في ذلك بل نرى أن العدل واجب مع أهل الذمة والمستأمنين سواء كانوا يهوداً أو نصارى أو فيمن هو في حكمهم مثل الصابئة ، يقول الإمام موفق الدين بن قدامة في واجبات الإمام تجاههم :

((وعلى الإمام حفظهم والمنع من أذاهم ، واستنقاذ من أُسر منهم))[3] .

ويذكر أثراً عن عمر بن الخطاب ﷺ في عدله مع شيخ نصراني جاء عمر ﷺ يشكو إليه عامله فقال :

((أنا الشيخ النصراني ، وإن عاملك عشرني مرتين ، فقال عمر : وأنا الشيخ الحنيف .

وكتب له عمر ألا يعشروا في السنة إلا مرة))[4] .

ويقول الإمام النووي في وجوب العدل معهم :

---

(١) قال الهيتمي في مجمع الزوائد : رجاله رجال الصحيح ٤ / ٢٢

(٢) التمهيد ١٣٩/٩ ، وانظر سيرة ابن هشام ٣٥٦/٢

(٣) موفق الدين بن قدامة . المقنع مع الشرح الكبير ١٠ / ٤٨٩

(٤) مصدر السابق ١٠ / ٤٧١

((يلزمنا الكف عنهم وضمان ما نتلفه عليهم ونفساً ومالاً ودفع أهل الحرب عنهم))[1]

ويذكر لنا التاريخ موقف أهل مدينة حمص[2] مع المسلمين بعد فتحها وأخذ الخراج من أهلها ، وكيف أن المسلمين شغلتهم حروب أخرى فرأوا أنهم غير قادرين على حماية حمص من جموع الروم ، فردوا إليهم خراجهم ، إلا أن أهل حمص أبوا ذلك وقالوا :

((لولايتكم وعدلكم أحب إلينا مما كنا فيه من الظلم والغشم ولندفعن جند هرقل عن المدينة مع عاملكم))[3] .

ويقول الكاتب اليهودي " وول ديورانت " في كتابه المشهور { قصة الحضارة } حول عدل المسلمين مع غيرهم من أصحاب الديانات الأخرى :
((ولقد كان أهل الذمة المسيحيون والزرادشتيون[4] واليهود والصابئون[5] يستمتعون في

---

(١) النووي . منهاج الطالبين مع شرحه مغني المحتاج ٦ / ٧٥ تحقيق علي محمد عوض وزميله . دار الكتب العلمية ط ١ ، ١٤١٥ هـ

(٢) حمص { بكسر الباء المهملة } بلد مشهور بين دمشق وحلب . انظر معجم البلدان ٢ / ٣٠٢

(٣) البلاذري . فتوح البلدان ص ١٤٣ ، مراجعة رضوان محمد رضوان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٣ هـ

(٤) الزرادشتيون هم أتباع زرادشت وهو رجل ظهر أذربيجان في زمن الملك كشتاسب بن لهراست ، زعم أنه نبي وله كتاب يسمى { زندواوستا }، زعم أنه أنزل عليه وكان يدعو إلى عبادة الله والكفر بالشيطان والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ثم دخل التحريف الزرادشتية وأصبحت ديانة ثنوية مجوسية . انظر الملل والنحل ١ / ٢٤٢ واعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٨٦ .

(٥) يأتي تعريفهم – إن شاء الله – في الفصل الثالث من هذا الباب .

عهد الخلافة الأموية بدرجة من التسامح لا نجد لها نظيراً في البلاد المسيحية في هذه الأيام ، فلقد كانوا أحراراً في ممارسة دينهم ، واحتفظوا بكنائسهم ومعابدهم))[1] .

أما الجانب الثالث فهو : إخراج غير المسلمين من جزيرة العرب .

استند ابن عبد البر في ذلك على أحاديث وردت عن رسول الله ﷺ في إخراج غير المسلمين من جزيرة العرب وإلى فعل عمر بن الخطاب ﷺ في إجلاء يهود خيبر عن ديارهم ، فيقول :

((قسم رسول الله ﷺ خيبر وأخرج الخمس مما قسم ولم يقدر أهلها على عمارتها وعملها فأقر اليهود فيها على العمل في النخل والأرض ، وقال لهم : أقركم ما أقركم الله ، ثم أذن الله له في مرضه الذي مات فيه بإخراجهم ، فقال : لا يبقين دينان بأرض العرب ، وقال عليه السلام : أخرجوا اليهود والنصارى من أرض الحجاز[2] ، ولم يكن بقي بها يومئذ مشرك وثني ولا بأرض اليمن أيضاً إلا أسلم في سنة تسع وسنة عشر فلما بلغ عمر بن الخطاب ﷺ في خلافته قوله عليه السلام : أخرجوا اليهود والنصارى من أرض العرب أجلاهم عنها ؛ فأخذ المسلمون سهامهم في خيبر ، فتصرفوا فيها تصرف المالكين))[3] .

---

(١) وول ديورانت . قصة الحضارة ١٣ / ١٣٠ ، دار الجيل ١٤١٩ هـ

(٢) أخرجه مسلم ، كتاب الجهاد والسير ١٧٦٥ ، ١٧٦٧

(٣) ابن عبد البر . الدرر في اختصار المغازي والسير ص ٢٠٣ ، تحقيق د. شوقي ضيف ، دار المعارف ط ٢ وانظر التمهيد ١٢ / ١٣ و ١ / ١٧٠ و ٦ / ٤٦٣ و ٩ / ١٤٣ .

المبحث الخامس

بيان ابن عبد البر صفات اليهود وأخلاقهم

يذكر ابن عبد البر – رحمه الله – من صفات اليهود وأخلاقهم ما هم أهلٌ له من صفات المكر والخديعة والكذب على الله وعدم الوفاء بالعهود ؛ فيقول عن كذبهم على الله ومكرهم وخبثهم في تعليقه على حديث اليهوديين اللذين زنيا وأقام عليهم رسول الله ﷺ الحد :

((وفي هذا الحديث أيضاً دليل على أنهم كانوا يكذبون على توراتهم ويضيفون كذبهم ذلك إلى ربهم وكتابهم ؛ لأنهم قالوا إنهم يجدون في التوراة أن الزناة يفضحون ويجلدون محصنين كانوا بالنكاح أو غير محصنين ، وفي التوراة غير ذلك من رجم الزناة المحصنين ... وفيه دليل على ما اليهود عليه من الخبث والمكر والتبديل))[1] .

ويقول عن نقضهم للعهود والمواثيق التي أعطوها لرسول الله ﷺ :

((أن رسول الله ﷺ لما قدم المدينة وادعته اليهود وكتب عنه وعنهم كتاباً ، وألحق كل قوم بحلفائهم ، وشرط عليهم فيما شرط ألا يظاهروا عليه أحداً .... وكان أول من نقض العهد بينه وبين رسول الله ﷺ وغدر من يهود بنو قينقاع[2] فسار إليهم رسول الله ﷺ وحاصرهم في حصونهم وقذف في قلوبهم الرعب فنزلوا على حكمه ﷺ))[3] .

---

(١) التمهيد ١٤ / ٣٨٧

(٢) بنو قينقاع هم قبيلة من قبائل اليهود وكانت تسكن داخل المدينة في حي باسمهم ، وكانوا صاغة وتجاراً وحدادين ، وهم أول من نكث العهد مع رسول الله ﷺ فأجلاهم عن المدينة . انظر سيرة ابن هشام ٢ / ٤٧ ، وزاد المعاد ٣ / ٥٩

(٣) ابن عبد البر . الدرر في اختصار المغازي والسير ص ١٤٢

وهذه الصفات الخبيثة لا تنفك عنهم أبداً من أيام موسى عليه السلام إلى يومنا الحاضر ، يذكرها كل من كتب عنهم أو تطرق إلى شيء من سيرهم وتاريخهم المخزي ، يقول ابن القيم في وصفهم وما جبلوا عليه :

((وأما أكلهم الربا والسحت والرشا واستبدادهم دون العالم بالخبث والمكر والبهت وشدة الحرص على الدنيا وقسوة القلب والذل والصغار والخزي والتحيل على الأغراض الفاسدة ورمي البراء بالعيوب والطعن على الأنبياء فأرخص شيء عندهم))[1] ويقول في موضع آخر :

((ومعلوم أنهم كانوا يعصون الله تعالى بأكلهم الحرام واستباحة الفروج الحرام والدم الحرام وذلك أعظم إثماً من مجرد العمل يوم السبت ، ولكن لما استحلوا محارم الله تعالى بأدنى الحيل وتلاعبوا بدينه ، وخادعوه مخادعة الصبيان ، ومسخوا دينه بالاحتيال مسخهم الله قردة .))[2] .

ويقول العلامة ابن عثيمين عند شرحه للآية الكريمة : ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ

---

(١) ابن القيم : هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ص ٤٧٩ تحقيق د. محمد أحمد الحاج . دار القلم ط ١ ، ١٤١٦ هـ

(٢) ابن القيم . إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ٢ / ٣٧٦ . تحقيق خالد عبد اللطيف ، دار الكتاب العربي ط ٤ ، ١٤٢١ هـ

مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ .... الآية ﴾[1]))

((ولما وصفوا الله بهذا العيب عاقبهم الله بما قالوا فقال : ﴿ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ ﴾ أي منعت عن الإنفاق ولهذا كان اليهود أشد الناس جمعاً للمال ومنعاً للعطاء فهم أبخل عباد الله وأشدهم شحاً في طلب المال))[2] .

---

(١) سورة المائدة الآية رقم ٦٤

(٢) ابن عثيمين . شرح العقيدة الواسطية ١ / ٢٦٢ ، دار ابن الجوزي ط ٢ ، ١٤٣٢ هـ

المبحث السادس

بيان ابن عبد البر لعداوة اليهود للمسلمين

لقد أوضح القرآن الكريم عداوة اليهود للمسلمين في أكثر من موضع منها قوله تعالى :

﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ﴾[1]

وقوله تعالى : ﴿ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾[2] وقوله تعالى : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ﴾[3] .

واليهود بطبعهم شعب فاسد ماكر خبيث[4] وهذا جكم الله فيهم وهو أعلم بهم ، قال تعالى في وصفهم :

---

(١) سورة المائدة الآية رقم ٨٢

(٢) سورة آل عمران الآية ٧٥

(٣) سورة البقرة الآية ١٠٩

(٤) انظر كتاب : الشخصية الإسرائيلية لحسن ظاظا ص ٤٧ وما بعدها

﴿ كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٦٤ ﴾[١] .

وقد ذكر ذلك اليهود في مخططاهم فهم يقولون :

((إن الأمميين – غير اليهود – كقطيع من الغنم وإننا الذئاب ، فهل تعلمون ما تفعل الغنم حينما تنفذ الذئاب إلى الحظيرة))[٢] .

وقد ذكر ابن عبد البر – رحمه الله – أغلب مواقفهم المشينة مع الإسلام ودعوة الإسلام ورسول الإسلام محمد ﷺ في نقضهم للعهود وغدرهم وخيانتهم وتأليب قبائل العرب على المسلمين ومحاولة قتلهم للرسول ﷺ . يقول ابن عبد البر في ذلك في أحداث السنة الثانية للهجرة :

((ثم فرضت الزكاة وأسلم عبد الله بن سلام وطائفة من اليهود وكفر جمهور اليهود))[٣] .

ويقول عن موقف كعب بن الأشرف وهوزعيم من زعماء اليهود :

---

(١) سورة المائدة الآية رقم ٦٤

(٢) محمد خليفة التونسي . بروتوكولات حكماء صهيون { الخطر اليهودي } ص ١٥٨

(٣) الدرر ص ٩٣

((ولما اتصل بكعب بن الأشرف — وهو رجل من نبهان من طي وأمه من بني النضير — قُتل صناديد قريش ببدر قال : بطن الأرض خير من ظهرها ونهض إلى مكة فجعل يرثي قتلى قريش ويحرض على قتال النبي ﷺ وكان شاعراً ، ثم انصرف إلى موضعه فلم يزل يؤذي رسول الله ﷺ ويدعو إلى خلافة ويسب المسلمين حتى آذاهم))(١) .

ويقول عن محاولة قتل بني النضير للرسول ﷺ عندما جاءهم في ديارهم :

((فقعد رسول الله ﷺ مع أبي بكر وعمر وعلي ونفر من الأنصار إلى جدار من جدرهم ، فاجتمع بنو النضير وقالوا : من رجل يصعد على ظهر البيت فيلقي على محمد صخرة فيقتله فيرضى منه ، فإنا لا نجد أقرب منه الآن .... فأوحى الله إلى رسوله ﷺ بما ائتمروا به من ذلك فقام و لم يشعر أحداً ممن معه ، ونهض إلى المدينة))(٢) .

ويقول عن تأليب اليهود للعرب ضد المسلمين وكان ذلك سبباً لغزوة الخندق :

((وكان سببها أن نفراً من اليهود ، منهم كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق وسلاّم بن مشكم وحيي بن أخطب النضريون ، وهوذة بن قيس وأبو عمار من بني وائل وهم كلهم يهود ، وهم الذين ضربوا الأحزاب وألبوا وجمعوا ، خرجوا في نفر من بني النضير ونفر من بني وائل ، فأتوا مكة فدعوا قريشاً إلى حرب رسول الله ﷺ ووعدوهم من أنفسهم

---

(١) الدرر ص ١٤٢ وانظر سيرة ابن هشام ٢ / ٥١ ، وزاد المعاد ٣ / ١٧١

(٢) الدرر ص ١٦٤ وانظر سيرة ابن هشام ٢ / ١٩٠

بعون من انتدب إلى ذلك ، فأجابهم أهل مكة إلى ذلك ، ثم خرج اليهود المذكورون إلى غطفان فدعوهم إلى مثل ذلك فأجابوهم))[1] .

ويذكر ابن عبد البر – رحمه الله – قصة اليهودية التي سمت الشاة المصلية وقدمتها إلى الرسول ﷺ ليأكل منها وذلك في غزوة خيبر[2] فيقول :

((وفيها أهدت اليهودية زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم إلى رسول الله ﷺ الشاة المصلية وسمت له منها الذراع ، وكان أحب اللحم إليه ﷺ ، فلما تناول الذراع ولاكها لفظها ورمى بها ، وقال : إن هذا العظم يخبرني أنه مسموم ودعا باليهودية فقال : ما حملك على هذا ؟ فقالت : أردت أعلم إن كنت نبياً وعلمت أن الله إن أراد بقاءك أعلمك .))[3] .

وهذه العداوة من اليهود للمسلمين يؤكدها علماء الإسلام فيما يفسرونه من الآيات من كتاب الله التي تخص اليهود فيقول ابن كثير في تفسيره للآية الكريمة:﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ﴾[4]

---

(١) الدرر ص ١٦٩ وانظر سيرة ابن هشام ٢ / ٢١٤ ، وزاد المعاد ٣ / ٢٤١

(٢) خيبر بلد كثير الماء والزرع والأهل ، وكان يسمى ريف الحجاز ويبعد عن المدينة ١٦٥ كيلاً – شمالاً على طريق الشام . انظر : معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية لعاتق بن غيث البلادي ص ١١٨

(٣) الدرر ص ٢٠٤ وانظر ابن هشام ٢ / ٣٣٧ ، وزاد المعاد ٣ / ٢٩٧

(٤) سورة المائدة الآية رقم ٨٢

((ما ذاك إلا لأن كفر اليهود عناد وجحود ومباهتة للحق وغمط للناس وتنقص بحملة العلم ، ولهذا قتلوا كثيراً من الأنبياء حتى هموا بقتل الرسول ﷺ غير مرة وسحروه وألبوا عليه أشباههم من المشركين ، عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة))(١) .

ويقول الشيخ ابن باز — رحمه الله — في تفسيره للآية السابقة :

((ولكن اليهود والمشركين عباد الأوثان أشدهم عداوة للمؤمنين ، وفي ذلك إغراء من الله سبحانه للمؤمنين على معاداة الكفار والمشركين عموماً وعلى تخصيص اليهود والمشركين بمزيد من العداوة في مقابل شدة عداوتهم لنا ، وذلك يوجب مزيد الحذر من كيدهم وعداوتهم))(٢) .

ويقول أيضاً — رحمه الله - :

((ومواقف اليهود من الإسلام ورسول الإسلام وأهل الإسلام كلها تشهد لما دلت عليه الآيات الكريمات من شدة عداوتهم للمسلمين والواقع من اليهود في عصرنا هذا وفي عصر النبوة وفيما بينهما لمن أكبر الشواهد على ذلك))(٣) .

---

(١) ابن كثير . تفسير القرآن العظيم ٢ / ٥٩١ . تحقيق عبد الرزاق المهدي . دار الكتاب العربي ط ١ ، ١٤٢٢ هـ

(٢) ابن باز . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ٢ / ١٨٢

(٣) ابن باز . السابق ٢ / ١٨١

الفصل الثاني

موقف ابن عبد البر من النصرانية

المبحث الأول

فرق النصارى التي ذكرها ابن عبد البر

النصرانية هي الديانة التي أنزلت على عيسى عليه السلام ، وكتابها هو الإنجيل ، ويطلق على أتباعها ((نصارى)) نسبة إلى بلدة الناصرة في فلسطين ، وهي البلدة التي ولد فيها المسيح عيسى عليه السلام ، أو إشارة إلى صفة : وهي نصرهم للمسيح عليه السلام ، وهذا يخص المؤمنين منهم أول الرسالة ، ويؤيد ذلك قوله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ ﴾[1] .

وقد أطلق عليها في العصور المتأخرة ((المسيحية)) نسبة إلى المسيح عيسى بن مريم عليه السلام والديانة النصرانية هي امتداد للديانة اليهودية وقد أرسل الله عيسى عليه السلام مصححاً للانحرافات التي حلت بالديانة اليهودية ، وليحل لهم بعض الذي حرم عليهم ومبشراً بمحمد ﷺ من بعده ، قال تعالى :

﴿ وَإِذۡ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ۝٦ ﴾[2]

والنصرانية في أصلها دعوة إلى التوحيد لكنها مرت بعدة أطوار ومراحل انتقلت فيها من

(١) سورة الصف الآية رقم ١٤

(٢) سورة الصف الآية رقم ٦

رسالة منزلة من عند الله إلى ديانة محرفة مبدلة تحول اتباعها من التوحيد إلى الشرك وذلك باعتراف مؤرخي النصارى أنفسهم ، وكان تتويج هذا الانحراف في التجمع النصراني الكبير الذي عقد سنة ٣٢٥ هـ والذي قرر فيه عقيدة التثليث الوثنية وهو اعتقادهم أن الله ثالث ثلاثة :

الأب : وهو الله بزعمهم .

الابن : وهو عيسى بزعمهم .

روح القدس : ويتمثل في الروح التي حلت في مريم(١) .

ومنذ ذلك الحين والنصرانية على هذا الاعتقاد الفاسد ، قال تعالى : ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ

---

(١) انظر إغاثة اللهفان ٢ / ٣٢٨ ، والجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح للآلوسي ١ / ٥٧٩ ، ومنحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب لعبد العزيز بن معمر ١ / ١٥٨ ، وقصة الحضارة . ولـ . ديورانت ١١ / ٢٢٩ ومحاضرات في النصرانية لأبي زهرة ص ١٢ ، ومناظرة بين الإسلام والنصرانية ص ١٧٢ ، والموسوعة الميسرة ٢ / ٥٦٤ ، ودراسات في الأديان اليهودية والنصرانية ص ١٦٧ وما بعدها .

﴿خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾﴾[1]

أما الفرق التي ذكرها ابن عبد البر ، فقد ذكر فرقة واحدة وهي فرقة الآريسيين ، وقد وردت هذه التسمية في كتاب الرسول ﷺ الذي أرسله إلى هرقل عظيم الروم ، وقد أورد هذا الكتاب ابن عبد البر بسنده أن رسول الله ﷺ قال فيه :

((بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم ، سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد : فإني أدعوك بدعاء الإسلام ، أسلم تسلم ، وأسلم يزيد الله أجرك مرتين ، فإن توليت فإن عليك إثم الآريسيين ، ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾[2][3] .

وتشير الدراسات في الديانة النصرانية أن الآريسيين نسبة إلى آريوس ، وهو قسيس من شمال إفريقيا من ليبيا ولد سنة ٢٧٠ م ، وتعلم في المدرسة اللاهوتية بالإسكندرية وأخذ

---

(١) سورة المائدة الآيات من ٧٣ - ٧٥

(٢) متفق عليه أخرجه البخاري كتاب التفسير ٤٥٥٣ ، ومسلم كتاب الجهاد والسير ١٧٧٣ ، وانظر زاد المعاد ٣ / ٦٠١

(٣) الاستذكار ١٤ / ٥٣

يدعو إلى التوحيد وبأن الله إله واحد وأن المسيح ليس ابن الله وأنه مخلوق مثله مثل كل الخلائق .. وبسبب دعوته هذه عقد مجمع نيقية المشهور سنة ٣٢٥ م الذي قرر فيه بالأغلبية بألوهية المسيح وأنه ابن الله ، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً[١] .

(١) انظر إغاثة اللهفان ٢ / ٣٢٩ وما بعدها ، وتاريخ الأقباط لزكي شنوده ١ / ١٥٠ وما بعدها ، والنصرانية من التوحيد إلى التثليث ص ١٦٣ وما بعدها ، ودراسات في الأديان اليهودية والنصرانية ص ٢٥١

المبحث الثاني

بيان أن عيسى عليه السلام رسول من عند الله

وليس ابناً له ورده على النصارى في ذلك

يذكر ابن عبد البر – رحمه الله – الآيات من القرآن الكريم التي تصف عيسى عليه السلام بأنه بشر وأنه رسول من الله وأنه عبد لله ، كما يذكر أحاديث وردت عن الرسول ﷺ تصف عيسى عليه السلام في خلقته وهيئته . أما الآيات فهي قوله تعالى : ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ ﴾(1)(2) .

وقوله تعالى : ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾(3)(4)

وقوله تعالى : ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ﴾(5)(6)

وأما الأحاديث فيذكر أن رسول الله ﷺ قال :

---

(1) سورة النساء الآيتان ١٥٧ ، ١٥٨

(2) التمهيد ١٤ / ١٩٦

(3) سورة المائدة الآية ١٧

(4) التمهيد ١٤ / ١٩٨

(5) سورة التوبة الآية ٣٠

(6) التمهيد ١٤ / ١٩٨

((أراني الليلة عند الكعبة فرأيت رجلاً آدم كأحسن ما أنت راء من أدم الرجال له لمة كأحسن ما أنت راء من اللحم ، قد رجلها فهي تقطر ماء متكأ على رجلين أو عواتق رجلين يطوف بالبيت ، فسألت من هذا ؟ فقيل : المسيح ابن مريم ، ثم إذ أنا برجل جعد قطط أعور العين اليمنى كأنها عنبة طافية ، فسألت من هذا فقيل المسيح الدجال))[1][2] .

ثم يعلق على هذا الحديث مقرراً عقيدة أهل السنة والجماعة في ذلك فيقول :

((وفي هذا الحديث أن رسول الله ﷺ قد رأى المسيح ابن مريم عليه السلام ورأى الدجال ووصفهما على حسب صورهما ورؤيا الأنبياء وحي))[3] .

ويروي حديثاً آخر في صفة عيسى عليه السلام وهو قوله ﷺ :

((رأيت عيسى وموسى وإبراهيم عليهم السلام ؛ فأما عيسى فاحمر جعد عريض الصدر ، وأما موسى فآدم جسيم سبط كأنه من رجال الزط[4]))[5][6] .

---

(١) متفق عليه أخرجه البخاري كتاب التعبير ٦٩٩٩ ، مسلم كتاب الإيمان ١٦٩

(٢) ١٤ / ١٨٧ ، والاستذكار ٢٦ / ٢٣٣

(٣) التمهيد ١٤ / ١٨٩ ، والاستذكار ٢٦ / ٢٣٥

(٤) الزط بضم الزاي وتشديد الطاء ، وهم جنس من السودان والهنود . انظر النهاية في غريب الحديث ٢ / ٢٢٣

(٥) أخرجه البخاري . كتاب أحاديث الأنبياء رقم ٣٤٣٨

(٦) التمهيد ١٤ / ١٩٠

كما ذكر حديثاً ثالثاً فيه صفة عيسى عليه السلام وأنه شبيه بعروة[1] بن مسعود وذلك في تفسير الآية الكريمة :﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ ﴾[2]فيما يرويه عن عكرمة قال : ((أرى إبراهيم وموسى وعيسى فذكر أن عيسى رجل أبيض نحيف مبطن كأنه عروة بن مسعود[3]))[4] .

ويروى في الدرر قصة عمرو بن العاص[5] رضي الله عنه هو وعمارة بن الوليد[6] عندما أرسلتهما قريش إلى النجاشي[7] ملك الحبشة ليكيدوا المسلمين المهاجرين إلى الحبشة ويوقعوا بينهم وبين النجاشي وهي قصة طويلة مشهورة ، دار فيها حوار طويل بين النجاشي وجعفر بن أبي طالب رضي الله عنه .

---

(١) هو عروة بن مسعود الثقفي ، زعيم من زعماء ثقيف وقد قيل إنه هو المراد بقوله تعالى : ﴿ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ ﴾أسلم وحسن إسلامه ، قتل بعد غزوة الطائف سنة ٨ هـ ، انظر أسد الغابة ٣ / ٢٤٥

(٢) سورة الإسراء الآية ٦٠

(٣) أخرجه مسلم كتاب الإيمان رقم ١٦٧

(٤) التمهيد ١٤ / ١٩١

(٥) هو عمرو بن العاص بن وائل ، داهية قريش ومن يضرب به المثل في الفطنة والدهاء ، أسلم في أوائل سنة ثمان للهجرة ، وهو الذي أمره عمر بن الخطاب رضي الله عنه على الجيش الذي فتح مصر وبقي والياً على مصر مدة طويلة توفي سنة ٤٣ هـ رضي الله عنه .انظر الطبقات ٤/ ٢٥٤ ، أسد الغابة ٤ / ١١٥

(٦) عمارة بن الوليد بن المغيرة ، أخو الصحابي الجليل خالد بن الوليد رضي الله عنه ، كان سفير قريش إلى الحبشة مع عمرو بن العاص ، مات في الحبشة و لم يدخل في الإسلام . انظر نسب قريش ص ٣٢٢

(٧) اسمه أصحمه وهو لقب قديم لمن ملك الحبشة ، وكان ملكاً صالحاً ، وقد أحسن إلى المسلمين الذين هاجروا إلى أرضه الحبشة ، توفي رضي الله عنه قبل سنة ٩ هـ وصلى عليه الرسول ﷺ صلاة الغائب ، روى البخاري في صحيحه عن جابر قال ، قال النبي ﷺ حين مات النجاشي : ((مات اليوم رجل صالح فقوموا فصلوا على أخيكم أصحمه)) البخاري كتاب مناقب الأنصار رقم ٣٨٨٧ ، وانظر الإصابة ١ / ١٧٧

وبحضور عمرو بن العاص ﷺ فقال عمرو ﷺ للنجاشي :

((إن هؤلاء يزعمون أن ابن مريم إلهك الذي تعبد عبد . فقال النجاشي لجعفر ومن معه من المهاجرين : ماذا تقولون في عيسى بن مريم ، قالوا : نقول هو عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وابن العذراء البتول . فخفض النجاشي يده إلى الأرض فأخذ عوداً وقال : والله ما زاد على ذلك قدر هذا العود ، فقال عظماء الحبشة : والله لئن سمعت الحبشة بهذا لتخلعنك فقال النجاشي : والله لا أقول في ابن مريم غير هذا القول أبداً[(١)])) .

ويورد حديث الرسول ﷺ الذي يذكر فيه نبوة عيسى الطَّيِّلاً وأنه ليس بينه وبين الرسول ﷺ نبي وهو قوله ﷺ :

((أنا أولى الناس بابن مريم ، ليس بيني وبينه نبي ، والأنبياء أولاد علات))[(٢)(٣)] .

ويروي أثراً عن المسيح الطَّيِّلاً في إثبات بشريته وأن أتباعه كانوا يترلونه مترلته الطَّيِّلاً ويصفونه بالرسالة التي شرفه الله بها ، وهذا الأثر هو حوار بين المسيح الطَّيِّلاً وأتباعه ، ليلة رفعه إلى السماء ، فيقول :

---

(١) الدرر ص ١٣٣

(٢) أخرجه البخاري كتاب أحاديث الأنبياء ٣٤٤٣

(٣) التمهيد ١٤ / ٢٠١

((وأنه لما كانت الليلة التي رفع فيها ، أتى بفطره عند الليل ، خبز الشعير اليابس والماء القراح ، فقالوا فطر يا رسول الله ، فقال : لا أستطيع إنني مرفوع من بين أظهركم ، فما أدري ما يفعل بي ولا بكم ، قالوا : يا رسول الله : إنك تفارقنا فأوصنا ، قال : اعلموا أن حلو الدنيا مر الآخرة ، عليكم بحشرات الأرض وخبز الشعير ، وثياب الشعر والصوف ، وظل الشجرة ، وفيء الجدران ، واعلموا أن حلو الدنيا مر الآخرة))[1] .

وهذه النصوص التي ذكرها ابن عبد البر – رحمه الله – في بشرية عيسى عليه السلام وأنه رسول من الله ، هي عينها عقيدة المسلمين في عيسى عليه السلام وفي رسالته .

وقد رد كثير من علماء المسلمين – إضافة إلى الأدلة النقلية – بالأدلة العقلية على النصارى ودحض دعواهم أن عيسى عليه السلام ابن الله أو أن اللاهوت حل في الناسوت بزعمهم أو عقيدة التثليث بجملتها ، ومن هؤلاء العلماء شيخ الإسلام ابن تيمية حيث يقول :

((متى ثبت أن المسيح رسول الله بطل كونه إلهاً ، فإن كونه رسول الله متناقض .

وقولهم : إنه إله بلاهوته ، ورسول بناسوته كلام باطل من وجوه منها :

أن الذي كان يكلم الناس إما أن يكون هو الله أو هو رسول الله فإن كان هو الله بطل كونه رسول الله ، وإن كان رسول الله بطل كونه هو الله))[2] .

ويذكر ابن القيم من الأدلة العقلية على بشرية المسيح عليه السلام أدلة كثيرة منها قوله في رده على النصارى .

---

(١) التمهيد ١٤ / ١٩٤

(٢) ابن تيمية . الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٢ / ٤٦ ، تحقيق د. علي حسن بن ناصر وزملاؤه ، دار العاصمة ط ١ ، ١٤١٤ هـ

((وإن قلتم : إنما استدللنا على كونه إلهاً بأنه لم يولد من البشر ولو كان مخلوقاً لكان مولوداً من البشر ، فإن كان هذا الاستدلال صحيحاً فآدم إله المسيح ، وهو أحق بأن يكون إلهاً منه ؛ لأنه لا أم ولا أب له والمسيح له أم ، وحواء اجعلوها أيضاً إلهاً خامساً ؛ لأنها لا أم لها وهي أعجب من خلق المسيح ، والله ﷻ قد نوع خلق آدم وبنيه إظهاراً لقدرته وأنه يفعل ما يشاء ، فخلق آدم لا من ذكر ولا من أنثى ، وخلق زوجته حواء من ذكر لا من أنثى ، وخلق عبده المسيح من أنثى لا من ذكر وخلق سائر النوع من ذكر وأنثى[١])) .

أما الدراسات الحديثة فأدلتها تتشابه حيث بينوا عقيدة النصارى وردوا عليها ، ومن أشهر من رد عليهم الشيخ رحمة الله الهندي[٢] – رحمه الله – حيث يقول في إبطال عقيدة التثليث وأن عيسى ابن الله :

---

(١) ابن القيم . هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ص ٤٩٨ تحقيق د. محمد أحمد الحاج ، دار القلم بدمشق ط ١ ، ١٤١٦ هـ

(٢) هو رحمة الله الهندي الكيراني ، ولد في كيران في الهند عام ١٢٣٣ هـ وتلقى تعليمه في الهند وحفظ القرآن وهو ابن اثني عشرة سنة ، وقرأ كتب الشريعة الإسلامية واللغة العربية وآدابها ودرس العلوم الشرعية على كثير من علماء الهند ، اشتهر – رحمه الله – بمناظرته المشهورة مع القس (فندر) وقد طبع هذه المناظرة في كتاب اسمه : { إظهار الحق } ، ووفد إلى مكة المكرمة واستقر بها إلى أن وافته المنية عام ١٣٠٨ هـ . انظر مقدمة وقائع المناظرة التي جرت بين الشيخ رحمه الله الهندي والقيس فندر لمؤلفه بسام عبد الوهاب الجابي .

((والتثليث يعني الكثرة التي لا يمكن عند ثبوتها توحيد والإلزام واجتماع الضدين ، والواحد الحقيقي ليس له ثلث صحيح ، والثلاثة لها ثلث صحيح وهو الواحد والثلاثة مجموع آحاد ثلاثة والواحد ليس مجموع آحاد ، والواحد جزء من الثلاثة ، فلو اجتمعا في محل واحد لزم كون الجزء كلاً والكل جزءاً ، وهذا يستلزم كون الله مركباً من أجزاء غير متناهية بالفعل لاتحاد حقيقة الكل والجزء على هذا التقدير ، والكل مركب ؛ فكل جزء من أجزائه مركب))(1) .

(1) رحمة الله الهندي . إظهار الحق ص ٣٣٥ ، تحقيق أحمد حجازي السقا . دار التراث العربي للطباعة والنشر . مصر ١٣٩٨ م .

المبحث الثالث

بيان أسباب ضلال النصارى

يقول ابن عبد البر – رحمه الله – إن أسباب ضلال النصارى هو اتباعهم لعلمائهم وأحبارهم واتخاذهم أرباباً من دون الله ، وأن هؤلاء الأحبار والعلماء هم الذين أفسدوا عقيدة التوحيد في الديانة النصرانية وهم الذين أدخلوا الشرك وعقيدة التثليث في النصرانية ، ويورد – رحمه الله – أثراً طويلاً يذكر فيه كيف بدأ الانحراف العقدي لدى العلماء والرهبان النصارى ، مستشهداً على ذلك بآيات من القرآن الكريم فيقول إن الرهبان والعلماء منهم اجتمعوا بعد رفع الله لعيسى عليه السلام فقالوا :

((ألا تقومون فتنظرون أي شيء كان هذا الذي كان بين أظهركم ؟ قالوا : بلى .

فاختار الخيار النقادة لا يألون خمسين رجلاً ، ثم اختاروا من الخمسين عشرة ، ثم اختاروا من العشرة أربعة .

فدخلوا بيتاً فقالوا : أنتم سادتنا وخيارنا فينظر كل واحد منكم برأيه فإنما نحن تبع لكم فأخذوا شيخاً وآخر دون الشيخ في السن ، وآخر دونه في السن ، وفتى شاباً حين استوى شبابه ؛ فبدأوا بالشيخ لسنه فقال :

هل تعلمون أحداً يعلم الغيب إلا الله ، ويحيي الموتى غير الله ، أو يبرئ الأكمه والأبرص إلا الله ؟ ، قالوا : لا ، قال :

فإن الله كان بين أظهركم ثم بدا له أن يرتفع فارتفع .

قال الآخر : هل عندك شيء غير هذا ؟ قال : لا ، قال : لا أقول مثل ما قلت : هل تعلمون أحداً يعلم الغيب إلا الله ، ويبرئ الأكمه والأبرص ويخلق إلا الله ؟ ، قالوا : لا ، قال :

هذا ابنه علمه من خلائقهما شاء ثم بدا له أن يرفعه إليه فرفعه . قال الثالث : هل عندكما شيء غير هذا ؟ قالا : لا ، قال :

فإني لا أقول كما قلتما ، ولكن هل تعلمون أحداً خلق من غير نطفة إلا آدم ، قالوا : لا . قال : فإنه لغية[1] .

فقام الشاب فقال :

هل عندكم غير هذا ، قالوا : لا قال : فإني لا أقول كما قلتم ، وأشهد ما هو بالله ولا ولد الله ولا لغية ، ولكن روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم فقال له : كن فكان فاستوى .

ثم خرجوا على قومهم وهم جلوس فقاموا فقالوا ماذا قلتم ، فقال الكبير :

قلت هو الله ، فاتبعته فرقة .

ثم قال الآخر :

هو ولد الله ، فتبعته فرقة .

---

(1) لغية : يقصد به هنا من خلال السياق أنه ابن زنا كما ذكر ذلك محقق كتاب التمهيد و لم أعثر على معنى لهذه الكلمة في معاجم اللغة ولا في كتب غريب الحديث .

ثم قال الآخر :

هو لغية ، فاتبعته فرقة .

وقال الآخر :

هو عبد الله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم ، فاتبعته فرقة فقالوا : كيف نعيش وهذا معنى فاقتلوه ، فقتل الفتى ومن معه قال فلذلك قال الله ﷻ ﴿ فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَيۡنِهِمۡۖ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن مَّشۡهَدِ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ﴾[1] وقال تعالى : ﴿ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ ﴾[2] .

وقال : ﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ ﴾[3] ، وقال : ﴿ وَبِكُفۡرِهِمۡ وَقَوۡلِهِمۡ عَلَىٰ مَرۡيَمَ بُهۡتَٰنًا عَظِيمٗا ﴿١٥٦﴾ ﴾[4] فهؤلاء الذين قالوا هو لغية قال : ﴿ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ أَقَامُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِم مِّن رَّبِّهِمۡ لَأَكَلُواْ مِن

---

(١) سورة مريم الآية ٣٧

(٢) سورة المائدة الآية ١٧

(٣) سورة التوبة الآية ٣٠

(٤) سورة النساء الآية ١٥٦

﴿فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾﴾[١] فهذا الشاب وأصحابه الأمة المقتصدة))[٢] .

ويؤكد ابن القيم ما ذهب إليه ابن عبد البر في أسباب ضلال النصارى وهو اختلافهم على المسيح عليه السلام ، إلا أنه يرجع السبب الرئيسي في ضلال النصارى إلى مجامع النصارى التي عقدوها عبر التاريخ ، فقد تكلم ابن القيم عن عشرة مجامع منها ، ننقل على سبيل المثال قرارات مجمعين ؛ المجمع الثالث والمجمع السادس ، فيقول عن المجمع الثالث :

((وبينوا أن الأب والابن وروح القدس ثلاثة أقانيم وثلاثة وجوه وثلاث خواص ، وحدة في التثليث ، وتثليث في وحدة ، وزادوا ونقصوا في الشريعة))[٣]

ويقول عن المجمع السادس :

((وثبتوا قول أهل المجمع الثالث ، وقالوا : إن مريم ولدت إلهاً ربنا يسوع المسيح الذي هو مع الله في الطبيعة ومعنا في الناسوت وقالوا : إن المسيح طبيعتان وأقنوم واحد ، ولعنوا نسطورس ، وبترك الإسكندرية ، فانفض المجمع وهم ما بين لاعن وملعون))[٤]

---

(١) سورة المائدة الآية ٦٦

(٢) التمهيد ١٤ / ١٩٨

(٣) ابن القيم . إغاثة اللهفان ٢ / ٣٣٢

(٤) السابق ٢ / ٣٣٥

ويتفق مع ابن القيم في أن أهم ضلالات النصارى التي حرفتهم عن التوحيد وعن الدين الصحيح هي المجامع النصرانية كل الباحثين المعاصرين تقريباً ، فيقول صاحب كتاب دراسات في الأديان عن هذه المجامع :

((فتبين لنا أن هذه المجامع هي التي كونت الديانة النصرانية ، ووضعت أهم أسسها ، وهي التي حاربي التوحيد عن طريق قراراتها ، فأصبحت الديانة النصرانية تدين في الواقع لهذه المجامع في تكوينها ، وفي دعوتها لمحاربة وتكفير كل من يخالف قراراتها))[1] .

---

(١) د . سعود الخلف ، دراسات في الديان اليهودية والنصرانية ص ٣٦٨ ، وانظر كتاب محاضرات في النصرانية لأبي زهرة ، وكتاب النصرانية من التوحيد إلى التثليث للدكتور محمد أحمد الحاج ، وكتاب تاريخ الأقباط لزكي شنودة

المبحث الرابع

موقف ابن عبد البر من صلب المسيح وموته ورفعه

يقرر ابن عبد البر عقيدة المسلمين في صلب المسيح عليه السلام وأنه لم يصلب ولم يقتل بل رفعه الله إليه ، فيذكر أثراً في ذلك ويستشهد عليه من القرآن الكريم ، جاء فيه على لسان عيسى عليه السلام عندما أراد الله أن يرفعه إليه أنه قال :

((فدخل بيتاً وجمع فيه حواريه فقال : إن الله رافعي إليه ، فأيكم يتشبه بي فإنه مقتول ، قال رجل من القوم : أنا ، قال : أوصيكم بتقوى الله وأن تبروا من قطعكم ، وأن تؤدوا الحق إلى من منعه منكم ، ولا تكافئوا الناس بأعمالهم ، فضرب الباب ورفعه الله إليه وقتل الرجل ، قال الله تعالى : ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾﴾ [(1)])) [(2)]. أما موت المسيح عليه السلام ورفعه فيذكر فيه اختلاف العلماء في ذلك ، هل كان موته وفاة منام أو كانت وفاة حقيقية أو هي من الاستيفاء ثم يختار رأياً منها ويرجحه ، فيقول – رحمه الله – :

((وأما اختلاف العلماء في قول الله عز وجل : ﴿يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ فقالت طائفة : أراد إني رافعك ومتوفيك ، قالوا وهذا جائز في الواو والمعنى عند هؤلاء أنه توفي

---

(١) سورة النساء الآيتان ١٥٧ ، ١٥٨

(٢) التمهيد ١٤ / ١٩٦

، إلا أنه لم يمت بعد .

وقال زيد بن أسلم وجماعة ، متوفيك قابضك من غير موت ، مثل توفيت المال واستوفيته أي قبضته .

وقال الربيع بن أنس يعني وفاة منام ؛ لأن الله تعالى رفعه في منامه وروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس متوفيك أي مميتك ، وقال وهب توفاه الله ثلاث ساعات من النهار ، والصحيح عندي في ذلك قول من قال : متوفيك قابضك من الأرض لما صح عن النبي ﷺ من نزوله ، وإذا حملت رواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس على التقديم والتأخير أي رافعك ومميتك لم يكن بخلاف ما ذكرناه))[(١)] .

وما قاله ابن عبد البر هنا موافق لما أجمعت عليه عقيدة المسلمين عموماً ، وعقيدة أهل السنة والجماعة خصوصاً في أن الله لم يرفع موسى ميتاً ، إنما الاختلاف وقع في معنى الاية ، هل هو بمعنى الاستيفاء أم بمعنى الوفاة وهو النوم ويكون في الآية تقديم وتأخير[(٢)] .

---

(١) التمهيد ١ / ٢٠٣

(٢) انظر معاني القرآن للفراء ١ / ٢١٩ ، وفوائد في مشكل القرآن للعز بن عبد السلام ص ١٠٥ ، وتفسير ابن كثير ٢ / ٤٢

المبحث الخامس

موقف ابن عبد البر من نزول المسيح آخر الزمان وتحاكمه إلى شريعة محمد ﷺ

يقول ابن عبد البر في تقريره لعقيدة أهل السنة في نزول عيسى عليه السلام والأحاديث التي وردت في ذلك :

((وأهل السنة مصدقون بنزول عيسى في الآثار الثابتة بذلك عن النبي ﷺ من نقل الآحاد العدول))[1] .

وهذه الأحاديث التي ذكرها ابن عبد البر في معرض استشهاده بها في نزول عيسى عليه السلام وكسره للصليب وتحاكمه إلى شريعة محمد ﷺ هي قوله ﷺ :

((ينزل عيسى بن مريم حكماً مقسطاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ، وتكون الدعوة لله رب العالمين))[2][3] .

وقوله ﷺ :

((ليهلن ابن مريم بفج الروحاء حاجاً أو معتمراً أو ليثنيّهما))[4][5] .

وقوله ﷺ في صفة الدجال الذي يقول فيه عن عيسى عليه السلام :

---

(١) الاستذكار ٢٦ / ٢٣٦

(٢) متفق عليه أخرجه البخاري كتاب البيوع ٢٢٢٢ ، ومسلم كتاب الإيمان ١٥٥ إلا أن الصحيحين ليس فيهما الجملة الأخيرة ((وتكون الدعوة لله رب العالمين))

(٣) الاستذكار ٢٦ / ٢٣٦ ، والتمهيد ١٤ / ٢٠١

(٤) أخرجه مسلم كتاب الحج ١٢٥٢

(٥) الاستذكار ٢٦ / ٢٣٦ ، والتمهيد ١٤ / ٢٠١

((ثم يجيء عيسى بن مريم من جهة المغرب مصدقاً لمحمد وعلى ملته ، فيقتل الدجال ، ثم إنما هو قيام الساعة[1]))[2] .

وقوله ﷺ :

((ليس بيني وبين عيسى نبي وأنه نازل فإذا رأيتموه فاعرفوه :

رجل مربوع إلى الحمرة والبياض كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه البلل فيقاتل الناس على الإسلام فيدق الصليب ويقتل الخترير ويضع الجزية وتهلك في زمانه الملل كلها إلا الإسلام ويهلك المسيح الدجال فيمكث في الأرض أربعين سنة ثم يتوفى فيصلي عليه المسلمون))[3][4] .

وقوله ﷺ في صفة الدجال ونزول عيسى عليه السلام :

((ثم يترل عيسى عليه السلام عند المنارة البيضاء شرقي دمشق فيدركه عند باب لد فيقتله[5]))[6] .

---

(١) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٧ / ٣٣٦ ، وقال رواه الطبراني وأحمد ورجاله رجال الصحيح

(٢) الاستذكار ٢٦ / ٢٣٧

(٣) أخرجه أبو داود في سننه ، وصححه الألباني في صحيح أبي داود ٤٣٢٤ ، وصححه أحمد شاكر في عمدة التفسير ١ / ٦٠١

(٤) التمهيد ١٤ / ٢٠١

(٥) أخرجه أبو داود في سننه ، وصححه الألباني في صحيح أبي داود ٤٣٢١

(٦) التمهيد ١٤ / ١٩٣ ، والاستذكار ٢٦ / ٢٣٦

ويوافق ابن عبد البر كل علماء أهل السنة والجماعة فيما قرره من نزول عيسى عليه السلام آخر الزمان ، يقول الإمام الطحاوي في تقريره لهذه العقيدة :

((ونؤمن بأشراط الساعة من خروج الدجال ونزول عيسى بن مريم عليه السلام من السماء))[١].

ويورد ابن كثير أحاديث كثيرة في نزول عيسى عليه السلام وحكمه بشريعة محمد ﷺ وذلك عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ ﴾[٢].

فيقول معلقاً على هذه الأحاديث :

((فهذه أحاديث متواترة عن رسول الله ﷺ وفيها دلالة على صفة نزوله ومكانه ... فيقتل الخنزير ، ويكسر الصليب ويضع الجزية فلا يقبل إلا الإسلام))[٣].

ويقول ابن عثيمين – رحمه الله – :

((أن عيسى عليه السلام رفع إلى الله حياً بروحه وجسده ، وأن هذا ليس بممتنع عقلاً ، وأنه يترل من السماء في آخر الزمان حياً يحكم بشريعة النبي ﷺ ، وهذا هو ظاهر النصوص))[٤].

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص ٧٥٤

(٢) سورة النساء الآية ١٥٨

(٣) ابن كثير . تفسير القرآن العظيم ٢ / ٤٢٣

(٤) ابن عثيمين : فتاوى ابن عثيمين في العقيدة ١ / ٥١٤ ، دار الثريا للنشر ط ١ ، ١٤٢٩ هـ ، وشرح العقيدة الواسطية ١ / ٦٠

الفصل الثالث

موقف ابن عبد البر من الديانات الأخرى (الصابئة ، المشركين والمجوس)

المبحث الأول

تصنيف ابن عبد البر للفرق المنتسبة لهذه الديانات

الصابئة أمة كبيرة ينقسمون إلى قسمين :

صابئة حنفاء ، وصابئة مشركين

فأما الصابئة الحنفاء فهم الذين امتدحهم الله تعالى فقال : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾[1] .

وأما الصابئة المشركون فهم قوم يسكنون بحرّان[2] يعظمون الكواكب السبعة والبروج الاثني عشر ويصورونها في هياكلهم ، ولهذه الكواكب عندهم هياكل مخصوصة وهي المتعبّدات الكبار ، كالكنائس عند النصارى والبيع عند اليهود ، وهؤلاء القوم هم الذين أرسل الله إليهم إمام الحنفاء إبراهيم الخليل عليه السلام فناظرهم وكسر حجتهم ، فقال سبحانه على لسان إبراهيم عليه السلام :

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ

(١) سورة البقرة الآية ٦٢

(٢) حران: بتشديد الراء، وآخره نون، هي بلدة تقع بين الموصل والشام ، انظر معجم البلدان ج٢صـ ٢٣٥

﴿إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٧٨ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٧٩﴾ (١)(٢).

أما المشركون فهم الذين يعبدون آلهة وأرباباً من دون الله ، كالملائكة أو الشمس أو القمر أو الأحجار أو الشجار أو الأصنام ، أو يصرفون شيئاً من العبادة لغير الله ، كالدعاء والخوف والرجاء والاستعانة والاستغاثة وطلب الشفاعة ... إلخ من أنواع العبادات .

والذي ينطبق عليهم هذا الوصف هم مشركو العرب الذي قاتلهم الرسول ﷺ واستحل دماءهم وأموالهم بسبب كفرهم وإشراكهم بالله ﷻ (٣) .

وأما المجوس فهم القائلون بالنور والظلمة ، فأثبتوا إلهين ، فالنور مصدر الخير ، والظلمة مصدر الشر ، وهم ينقسمون إلى عدة فرق ، ومن عقائدهم عبادة النار ، والصلاة إلى

---

(١) سورة الأنعام الآيات من ٧٦ : ٧٩

(٢) انظر الملل والنحل ٢ / ٥ وما بعدها ، والرد على المنطقيين لابن تيمية ٢ / ١٨٢ ، وإغاثة اللهفان لابن القيم ٢ / ٣٠٣ ، ودعوة التوحيد لمحمد خليل هراس ص ١٢٩ ، والشرك في القديم والحديث لأبي بكر محمد زكريا ١ / ٢٦٢

(٣) انظر كتاب التوحيد للإمام محمد بن عبد الوهاب ص ٣٤ وما بعدها ضمن مجموعة التوحيد النجدية ، وتيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ص ٣٧ وما بعدها ، وقرة عيون الموحدين لعبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ص ٥٠ وما بعدها ، وصيانة الإنسان من وسوسة الشيخ دحلان للسهواني ١ / ٣٥٠ وما بعدها ، وعقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي للدكتور صالح العبود ٢ / ٦٩١ وما بعدها .

الشمس ، وأن الناس كلهم شركاء في الأموال والنساء وسائر اللذات ، ولا يغتسلون بالماء تعظيماً له إلا أن يستخدموا قبله بول البقر ونحوه[1] .

ويقرر ابن عبد البر أن الملل التي وردت في القرآن هي ست ملل مستشهداً بآية من كتاب الله ومفرقاً بين كل ملة وملة فيقول :

((والذي يدل عليه ظاهر القرآن أن الصابئين غير اليهود وغير النصارى وغير المجوس قال الله تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ ﴾[2] ففصل بينهم وقال :

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾[3] وإنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا))[4] .

وهذا التفصيل في الديانات هو من المعلوم في الدين عند كل علماء المسلمين على حد سواء الأقدمين منهم أو المعاصرين .

يقول ابن كثير في تفسيره للآية الكريمة : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ... الآية ﴾

(١) انظر الملل والنحل ١ / ٢٣٨ ، والفرق بين الفرق ص ٢١٥

(٢) سورة الحج الآية ١٧

(٣) سورة المائدة الآية ٦٨

(٤) الاستذكار ١٥ / ٢٩٨

((يخبر تعالى عن أهل الأديان المختلفة من المؤمنين ومن سواهم من اليهود والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا فعبدوا غير الله معه فإنه تعالى : ﴿ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ ويحكم بينهم بالعدل فيدخل من آمن به الجنة ومن كفر به النار))[1] .

ويقول الشيخ بن سعدي في تفسيره لهذه الآية :

((يخبر تعالى عن طوائف أهل الأرض من الذين أوتوا الكتاب من المؤمنين واليهود والنصارى والصابئين ومن المجوس ومن المشركين أن الله سيجمعهم جميعهم ليوم القيامة ويفصل بينهم بحكمه العدل ويجازيهم بأعمالهم))[2] .

ويقول الدكتور سعود الخلف في دراسته عن الأديان :

((أن الله قد حصر الأديان التي عليها الناس في قوله ﷻ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟... الآية ﴾ فأديان البشر لا تخرج عن واحد من هذه وهي : الإسلام ، واليهودية والصابئة والنصرانية والمجوسية والوثنية))[3] .

---

(١) ابن كثير . تفسير القرآن العظيم ٤ / ٤١٦

(٢) الشيخ عبد الرحمن بن سعدي . تيسير الكريم الرحمن ص ٥٣٦

(٣) د. سعود الخلف . دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية ص ١٥

المبحث الثاني

موقف ابن عبد البر من هذه الفرق

يرى ابن عبد البر أن الصابئين والمشركين والمجوس ومعهم اليهود والنصارى كفاراً خالدين في النار ، ويخص في التعامل معهم ما خصته السنة مع أهل الكتاب في أكل ذبائحهم ونكاح نسائهم يقول في ذلك رحمه الله كما يرويه عن الإمام مالك :

((وعند مالك وأصحابه أن أهل الكفر كلهم في الجزية سواء كما هم عند الجميع في مقاتلتهم وسبي ذراريهم في الدنيا وفي الخلود في النار ، فلا وجه لفرق بين شيء من أحكامهم إلا ما خصته السنة ، فيسلم لها كما خصت الكتابيين في أكل ذبائحهم ونكاح نسائهم))(١) .

وفي المبحث التالي زيادة توضيح لموقفه من هذه الديانات .

(١) الاستذكار ٢٢ / ٢٣٩

المبحث الثالث

موقف ابن عبد البر من التعامل معهم والحكم عليهم

يخص ابن عبد البر المجوس من هذه الفرق في التعامل معهم لما ورد في ذلك من أحاديث وآثار عن الرسول ﷺ ، فقد أورد أثراً عن عمر بن الخطاب ﷺ ثم يعلق عليه أن عمر ﷺ قال :

(({ ما أدري كيف أصنع في أمرهم فقال عبد الرحمن بن عوف : أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول سنوا بهم سنة أهل الكتاب } ....

إنما أراد سنوا بهم سنة أهل الكتاب في الجزية لا في نكاح نسائهم ولا في أكل ذبائحهم .... والمعنى عند طائفة من الفقهاء في ذلك أن أخذ الجزية صغار لهم وذلة لكفرهم وقد ساووا أهل الكتاب في الكفر بل هم أشد كفراً فوجب أن يجروا مجراهم في الذل والصغار ؛ لأن الجزية لم تؤخذ من الكتابيين رفقاً بهم وإنما أخذت منهم تقوية للمسلمين وذلاً للكافرين ، وليس نكاح نسائهم ولا أكل ذبائحهم من هذا الباب : لأن ذلك مكرمة بالكتابيين لموضع كتابهم واتباع الرسل عليهم السلام فلم يجز أن يلحق بهم من لا كتاب له في هذه المكرمة .... لأن رسول الله ﷺ أخذ الجزية من مجوس أهل البحرين ومن مجوس هجر وفعله بعد رسول الله ﷺ أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ﷺ))(١) .

ويذكر أن مجموعة من الفقهاء يخصون المجوس لا غيرهم من الملل الأخرى غير أهل الكتاب في أخذ الجزية منهم أما مشركو العرب فلا يقبل منهم إلا الإسلام أو السيف ،

---

(١) الاستذكار ٩ / ٢٩١

فيقول :

((وقال أبو ثور : الجزية لا تؤخذ إلا من أهل الكتاب ومن المجوس لا غير وكذلك قال أحمد بن حنبل وكذلك قال أبو حنيفة وأصحابه :

أما مشركي العرب لا يقبل منهم إلا الإسلام أو السيف ، وتقبل الجزية من الكتابيين من العرب ومن سائر كفار العجم))[1] .

وهذا القول هو قول جميع فقهاء الإسلام و لم أقف على قول أحد خالف ذلك .

ومثال ذلك قول موفق ابن قدامه ((فأما غير اليهود والنصارى والمجوس من الكفار فلا تقبل منهم الجزية ولا يقرون بها ولا يقبل منهم إلا الإسلام أو القتل)) [2]

---

(١) التمهيد ٢ / ١١٨ وانظر الاستذكار ٩ / ٢٩٤

(٢) ابن قدامة ، المقنع مع الشرح الكبير ، ١٠/٤٠٠ .

الخاتمة

الخاتمة :

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على نبينا محمد ﷺ وآله وصحبه أجمعين ... وبعد

فقد بذلت جهدي في هذا البحث المتواضع فإن وفقت فمن الله وإن كان غير ذلك فمن نفسي والشيطان وأستغفر الله .

وقد خرجت من هذ البحث بعدة نتائج وهي :

١:- الانقياد المطلق من ابن عبد البر والتسليم والطاعة لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

٢:- اتباعه لمنهج أهل السنة والجماعة في الاعتقاد .

٣:- الإنكار على أهل البدع والضلال .

٤:- الرد على المخالف أياً كان وأياً كانت مكانته العلمية بأسلوب مؤدب لطيف .

٥:- تواضعه واحترامه لمشايخه وتوفيره للعلماء .

٦:- أخذه بأقوال السلف عموماً والثناء عليهم .

٧:- قوة الحجة واستنباطه للدليل .

٨:- صبره وجلده وطول نفسه في البحث خاصة فيما يتعلق بالمسائل الحديثية والفقهية .

٩:- الموسوعية العلمية لابن عبد البر في شتى فنون العلم .

فهرس الآيات القرآنية الكريمة

الآية القرآنية الكريمة	رقمها	السورة	رقم الصفحة
﴿ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ ﴾	١٥	البقرة	١٩٠
﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً ﴾	٢٢	البقرة	٤٢
﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا ﴾	٢٨	البقرة	٢٧١
﴿ وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ ﴾	٤٢	البقرة	٢٢
﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾	٤٤	البقرة	١١٢
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ ﴾	٦٢	البقرة	٣٦٠
﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ ﴾	٧٩	البقرة	٣١٣
﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم ﴾	١٠٩	البقرة	٣٣٤
﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً ﴾	١٢٨	البقرة	١٦١
﴿ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ ﴾	١٣٦	البقرة	١٦٢ ، ٣١٥
﴿ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ﴾	١٣٧	البقرة	١٦٢
﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ﴾	١٤٣	البقرة	١٤٧
﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ	١٧٧	البقرة	١٤٧
﴿ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ ﴾	٢١٨	البقرة	١٣٥
﴿ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾	٢٣٤	البقرة	١١٣
﴿ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ ﴾	٢٣٦	البقرة	٢٤٤
﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا ﴾	٢٤٠	البقرة	١١٣
﴿ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾	٢٥٥	البقرة	١٩٧

﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ	٢٨٥	البقرة	٣١٦
﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ ﴾	١٩	آل عمران	١٦١
وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسۡلَمۡتُمۡ	٢٠	آل عمران	١٦١
﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾	٥٥	آل عمران	١٩٧
﴿ مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا	٦٧	آل عمران	٣١١
﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ	٧٠	آل عمران	٤٠
﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ	٧١	آل عمران	٤٠
﴿ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ	٧٥	آل عمران	٤٠ - ٣٣٤
﴿ وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا	٨٣	آل عمران	٢٦٨
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ ﴾	١٠٢	آل عمران	١
﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ ﴾	١١٠	آل عمران	٥٥
﴿ وَلَقَدۡ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥٓ إِذۡ تَحُسُّونَهُم ﴾	١٥٢	آل عمران	٣٠٨
﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ ﴾	١٧٣	آل عمران	١٦٥
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ ﴾	١	النساء	١
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ ﴾	٤٨	النساء	٦٨
﴿ أَمۡ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُلۡكِ فَإِذٗا لَّا يُؤۡتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا (٥٣) ﴾	٥٣	النساء	٤٠
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا (٥٨) ﴾	٥٨	النساء	٢٠٧
﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ ﴾	٦٥	النساء	١٠٤
﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ ﴾	١١٠	النساء	١٧٤
﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ ﴾	١١٥	النساء	٥٨
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ ﴾	١١٦	النساء	٣٩

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ﴾	١٣٦	النساء	٣١٧
وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ....)	١٦١:١٥٥	النساء	٣١٤
﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَـٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ ﴾	١٥٦	النساء	٣٥٢
﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ ﴾	١٥٧	النساء	٣٤٣-٣٥٥
﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ ﴾	١٥٨	النساء	٣٤٣-٣٥٥-٣٥٩
﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ ﴾	١٦٥	النساء	٣١٧
﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ﴾	١٧	المائدة	٣٥٢
﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ ﴾	١٨	المائدة	٣١٢
﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ﴾	٤٤	المائدة	٣٨، ٣١٢
﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾	٤٨	المائدة	٣٢٦
﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ﴾	٦٤	المائدة	٣٣٥، ٣٣٢
﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم ﴾	٦٦	المائدة	٣٥٣
﴿ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ﴾	٦٨	المائدة	٣٦٢
﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَـٰثَةٍ ﴾	٧٣-٧٥	المائدة	٣٤١
﴿ ۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ ﴾	٨٢	المائدة	٣٣٨
﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ۖ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ ﴾	٣	الأنعام	٢٣٧
﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ ﴾	٥٩	الأنعام	٢٩٠
﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ﴾	٧٣	الأنعام	٢٢١
﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَـٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ ﴾	٧٦-٧٩	الأنعام	٣٦٠
﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ ۖ وَهُوَ ﴾	١٠٣	الأنعام	٢٢٥
﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ ۖ ﴾	١٢٥	الأنعام	٢٨٣
﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا ﴾	١٤٨	الأنعام	٢٦٣، ٢٥٥

﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ (١٤٩)﴾	١٤٩	الأنعام	٢٦٨
﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾	١٥٨	الأنعام	٩٦
﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا﴾	٤٠	الأعراف	٢٣٧
﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾	٥٤	الأعراف	٢٢٠
﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا﴾	١٠٢	الأعراف	٢٧٠
﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا﴾	١٣٢	الأعراف	٤١
﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾	١٣٤	الأعراف	٤١
﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾	١٤٣	الأعراف	٢٣٨، ٢٢٩
﴿وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا﴾	١٥٥	الأعراف	٢٨٣
﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ﴾	١٥٦	الأعراف	٥٦
﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾	١٧٢-١٧٣	الأعراف	٢٦٤
﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾	٢-٤	الأنفال	١٦٦
﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ﴾	٣٨	الأنفال	٣٩
﴿فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ﴾	٢	التوبة	٢٠٨
﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ﴾	٦	التوبة	٢٢٢
﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَن﴾	١٥	التوبة	١٢١
﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ﴾	١٧	التوبة	٤٢
﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى﴾	٣٠	التوبة	٣٥٢ ، ٣٦٤
﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن﴾	٣١	التوبة	٣١٣
﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ﴾	٤٠	التوبة	١٣٢
﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا﴾	٥١	التوبة	٢٩٢-٢٩٤

﴿ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ ﴾	٨٣	التوبة	١٢١
﴿ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ﴾	٩٩	التوبة	١٥٧
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم ﴾	١١١	التوبة	٣٧
﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ ﴾	١١٥	التوبة	٤٣
﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا ﴾	١٢٤	التوبة	١٦٥
﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ ﴾	٢٦	يونس	٢٢٨
﴿ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ ﴾	٣٤	هود	٢٨٣
﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ ﴾	٤٤	هود	٢٠٧
﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ ﴾	١٠٧	هود	٣١٤
﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴾	١٧	يوسف	١٤٣
﴿ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾	١٠١	يوسف	١٦١
﴿ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ ﴾	٨	الرعد	٢٤٦
﴿ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴾	٩	الرعد	١٩٨
﴿ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾	١٠	إبراهيم	٢٧٧
بِٱلْحَقِّ	٨٥	الحجر	٢٢٢
﴿ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ ﴾	٩	النحل	٢٨٣
﴿ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ ﴾	٤٤	النحل	١٠٤
يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ	٥٠	النحل	١٩٨
﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴾	٧٨	النحل	٢٧٤

﴿ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾	٩٢	النحل	٢٨٣
﴿ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ ﴾	١٥	الإسراء	٤٣
﴿ إِذًا لَّٱبْتَغَوْاْ إِلَىٰ ذِي ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴾	٤٢	الإسراء	١٩٧
﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيْنَٰكَ ﴾	٦٠	الإسراء	٣٤٥
﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾	٧٩	الإسراء	٢٣١
﴿ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴾	١٣	الكهف	١٦٥
﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾	٢٩	الكهف	٣٠٨
﴿ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ ﴾	١٠٤	الكهف	٣٩
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ﴾	١٠٧	الكهف	١٥٣
﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾	٥	طه	٢١٠، ٢١٣
﴿ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي ﴾	٧١	طه	٢٠٨
﴿ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِي فَطَرَهُنَّ ﴾	١٩	الأنبياء	٢٠٧
قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِي فَطَرَهُنَّ ﴾	٥٦	الأنبياء	٢٧٧
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ ﴾	١٧	الحج	٣٦١
﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾	٧٠	الحج	٢٩٠
﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُواْ لِرَبِّهِمْ وَمَا ﴾	٧٦	المؤمنون	٤١
﴿ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾	٧٠	المؤمنون	٤٢
﴿ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي ﴾	٢٨	المؤمنون	٢٠٧
﴿ لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم ﴾	٦٣	النور	٤٥
ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا ﴾	٦٣	الفرقان	٢٠٩

﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾	٢٣-٢٤	الشعراء	٢٧٧
﴿قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾	٢٨	الشعراء	٢٧٧
﴿قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾	٣٦	الشعراء	١٣٥
﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ﴾	١٤	النمل	٤٣
﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ﴾	٤	الروم	٢٢١
﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ﴾	٣٠	الروم	٢٧٦
﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾	٥٥	الروم	٧٩
﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن﴾	٤	السجدة	١٩٦
﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾	٥	السجدة	١٩٨
﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ﴾	٧	الأحزاب	٢٧٠
﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾	٣٨	الأحزاب	٢٩٢
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ﴾	٧٠، ٧١	الأحزاب	١
﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾	٨	فاطر	٢٨٢
﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ ۚ﴾	١٠	فاطر	١٥٣، ١٩٧
﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ﴾	٤٢	فاطر	٤٢
﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن﴾	٨٢	يس	٢٩١
﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ..﴾	١٨٠ : ١٨٢	الصافات	١٩٢
﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ﴾	٦٢	الزمر	٢٩١
﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ﴾	٦٥	الزمر	٥١

﴿وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾	٦٧	الزمر	١٩١
﴿كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۖ﴾	٥	غافر	٤١
﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ﴾	١٥	غافر	١٩٨
﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ﴾	١١	فصلت	٢٠٨
﴿فَإِنِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ﴾	٣٨	فصلت	٢٠٧
﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ٤٦﴾	٤٦	فصلت	٢٨٣
﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ ١١﴾	١١	الشورى	١٩٣
﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾	١٤	الشورى	٤٢
﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا﴾	٥٣،٥٢	الشورى	٤٥
لِتَسۡتَوُۥاْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ رَبِّكُمۡ إِذَا	١٣	الزخرف	٢٠٧
﴿وَقَالُواْ لَوۡ شَآءَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَا عَبَدۡنَٰهُمۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ﴾	٢٠	الزخرف	٣٩
﴿وَتِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثۡتُمُوهَا﴾	٧٢	الزخرف	١٥٣
﴿وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٞ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَٰهٞ﴾	٨٤	الزخرف	٢٣٧
﴿أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ وَخَتَمَ﴾	٢٣	الجاثية	٤٢
﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيۡبَ فِيهَا قُلۡتُم﴾	٣٢	الجاثية	٣٩
﴿وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَأَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾	٣	الأحقاف	٢٢٢
﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾	١٤	الأحقاف	١٥٣
﴿زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ﴾	١٧	محمد	١٦٥
﴿فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأۡتِيَهُم بَغۡتَةٗۖ فَقَدۡ جَآءَ﴾	١٨	محمد	٧٩

﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ﴾	١٦	الفتح	١٢١ ، ١٢٢
﴿لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ﴾	١٨	الفتح	١٢٣
﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ﴾	٢٩	الفتح	٥٤
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾	٢	الحجرات	٣٨
﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا﴾	١٤	الحجرات	١٥٨، ١٦٠
﴿كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ﴾	٥٢	الذاريات	٤٢
﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٣٥) فَمَا وَجَدْنَا﴾	٣٥،٣٦	الذاريات	١٥٧
﴿مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾	٧	الحشر	٤٥ ، ٩٥
﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا﴾	١٠	الحشر	٦٠ ، ٦٣
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ﴾	١٠	الممتحنة	١٤٣
﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ﴾	١٦	الملك	١٩٧
﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾	١	الأعلى	١٩٧
﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾	٤	المعارج	١٩٨
﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾	٦	الجن	٢٢٠
﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ (٥٠)﴾	٥٠	القمر	٢٢١
﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ﴾	٢٠	المزمل	٢٢٣
﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣)﴾	٢٢-٢٣	القيامة	٢٢٦
﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾	١٥	المطففين	٢٢٧
﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ﴾	٧	المجادلة	٢٣٧

﴿قُلْ لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ﴾	١٦	الفتح	١٢١ ، ١٢٢
﴿لَقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ﴾	١٨	الفتح	١٢٣
﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ﴾	٢٩	الفتح	٥٤
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾	٢	الحجرات	٣٨
﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟﴾	١٤	الحجرات	١٥٨، ١٦٠
﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ﴾	٥٢	الذاريات	٤٢
﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ (٣٥) فَمَا وَجَدْنَا﴾	٣٥،٣٦	الذاريات	١٥٧
﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾	٧	الحشر	٤٥ ، ٩٥
﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا﴾	١٠	الحشر	٦٠ ، ٦٣
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ﴾	١٠	الممتحنة	١٤٣
﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ﴾	١٦	الملك	١٩٧
﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾	١	الأعلى	١٩٧
﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾	٤	المعارج	١٩٨
﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾	٦	الجن	٢٢٠
﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ (٥٠)﴾	٥٠	القمر	٢٢١
﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ﴾	٢٠	المزمل	٢٢٣
﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣)﴾	٢٢-٢٣	القيامة	٢٢٦
﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾	١٥	المطففين	٢٢٧
﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ﴾	٧	المجادلة	٢٣٧

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾	٤	الحديد	٢٤١
﴿وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ﴾	١٦	الفجر	٢٤٤
﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾	١٢	القمر	٢٩٢
﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾	١٤	الملك	٢٦١
﴿أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾	١١	غافر	٢٧١
﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾﴾	١٠:٥	الليل	٢٨٠
﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾	٣٢	النجم	٢٨١
﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾	٣٠	الإنسان	٢٨٣
﴿كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا﴾	١٣:١٢	الحجر	٢٨٣
﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾	٤٩	القمر	٢٩٢
﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾	٢٩	التكوير	٢٨٦
﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا﴾	٢:١	الفلق	٢٨٦
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ﴾	١٤	الصف	٣٣٩
﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾	٦	الصف	٣٤٠
﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾	٣٧	مريم	٣٥٢

فهرس الأحاديث الشريفة

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم .

١) صحيح البخاري طبعة دار الأفكار .

٢) صحيح مسلم طبعة دار الأفكار .

٣) سنن الترمذي .

٤) سنن أبي داود .

٥) سنن ابن ماجه .

٦) مسند الإمام أحمد .

٧) موطأ الإمام مالك .

٨) إبطال التأويل لإخبار الصفات ، أبو يعلي الفراء ، تحقيق محمد النجدي ، مكتبة دار الذهبي الكويت ط١ ، ١٤١٠هـ .

٩) ابن عبد البر وجهوده في التاريخ ، ليث سعود جاسم . دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة مصر ، ١٩٨٨ . ط٢ .

١٠) إتحاف القارئ بالتعليقات على شرح السنة للبربهاري ، صالح الفوزان ، تحقيق محمد بن فهد الحصي ، مكتبة المرشد ط١ ، ١٤٢٨هـ .

١١) اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهميه ، ابن القيم ، دار الكتب العلمية ط١ ، ١٤٠٤هـ ، طبعة دار العلم بدون تاريخ .

١٢) إجماعات ابن عبد البر في العبادات ، عبد الله مبارك البوصي دار طيبه ط١ ، ١٤٢٠هـ .

١٣) أحاديث العقيدة التي يوهم ظاهرها التعارض ، د. سليمان الدليخي ، دار المنهاج ط ١.

١٤) أحكام الجنائز ، الشيخ الألباني ، المكتب الإسلامي ط ٧ .

١٥) اختيارات الحافظ ابن عبد البر الفقهيه في العبادات ، عبد العزيز بن محمد الريس، دار ابن الجوزي ط ١ ، ١٤٢٩هـ .

١٦) أسد الغابة في معرفة الصحابة ، ابن الأثير ، القاهرة ١٩٧٠هـ

١٧) أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق محمود شاكر دار المدني ط١ ، ١٤١٢هـ جدة .

١٨) أصول السنة ، ابن أبي زمنين ، تحقيق عبد الله البخاري ، مكتبة الغرباء الأثرية ، ط١ ، ١٤١٥هـ .

١٩) أصول السنة ،الحميدي بذيل مسنده ، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ، عالم الكتب .

٢٠) أصول مبدأ الشيعة الإمامية ، د. ناصر القفاري . دار الأفاق .

٢١) أضواء البيان في تفسر القرآن بالقرآن ، محمد الأمين الشنقيطي،ط٢ .

٢٢) إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ، تحقيق أحمد حجازي السقا ، دار التراث العربي بمصر .

٢٣) اعتقاد فرق المسلمين والمشركين ، الرازي ، مطبعة مصطفى وعيسى الحلبي .

٢٤) اعلام السنة المنشورة ، الشيخ حافظ حكمي ، مكتبة السوادي ، ط٧ ، ١٤١٨هـ .

٢٥) إعلام الموقعين ، ابن القيم ، دار الفكر ، بيروت ١٩٨٨م

٢٦) اغاثة اللفهان ، ابن القيم ، تحقيق خالد بعد اللطيف ، دار الكتاب العربي ط٤ ، ١٤٢١هـ .

٢٧) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ، ابن تيمية ، تحقيق د. ناصر العقل ، دار العاصمة ط٦ ، ١٤١٩هـ .

٢٨) الإبانة عن أصول الديانة ، أبو الحسن الأشعري ، تحقيق بشير محمد عون ، مكتبة دار البيان والمؤيد ، ط٤ ، ١٤١٣هـ

٢٩) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ، عبيد الله بن محمد العكبري ، تحقيق رضا نعسان ، ط١ ، دار الراية بالرياض .

٣٠) الإتقان في علوم القرآن ، السيوطي ، دار الكتاب العربي .

٣١) الإحكام في أصول الأحكام ، ابن حزم ، مراجعة ونشر زكريا علي دار الفكر .

٣٢) الإحكام في أصول الأحكام ، الأمدي ، دار المعرفة .

٣٣) الأديان في القرآن ، محمود بن شريف ، مكتبات عكاظ ، ط٥ ، ١٤٠٤هـ

٣٤) الأديان والفرق المعاصرة ، عبد القادر شيبة الحمد ، الجامعة الإسلامية .

٣٥) الاستغناء في معرفة المشهورين من حملة العلم بالكنى ، ابن عبد البر ، تحقيق د. عبد الله السوالمة .

٣٦) الإستيعاب في معرفة الأصحاب ، ابن عبد البر ، تحقيق علي محمد البجاوي ، ط١ ، دار الجيل ، ١٤١٢هـ .

٣٧) الأسماء والصفات ، البيهقي . دار المعرفة ، بيروت .

٣٨) الإعلام ، الزركلي ، دار العلم للملايين ١٩٨٠م .

٣٩) الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ، دار الفكر ط١ ، ١٤٠٥هـ

٤٠) الإمامة ، أبو نعيم الأصبهاني ، تحقيق علي الفقيهي ط١ ، ١٤٠٧هـ ، مكتبة العلوم والحكم بالمدينة .

٤١) الإنتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء ، ابن عبد البر ، مكتبة القدس طـ عام ١٣٥٠م .

٤٢) الإيمان ــ ابن منده تحقيق وتخريج الألباني .

٤٣) الإيمان ، أبو عبيد القاسم بن سلام ، شرح وتعليق الشيخ الألباني ط٢ المكتب الإسلامي .

٤٤) البداية والنهاية لابن كثير ، تحقيق يوسف البقاعي ، دار الفكر ط٣، ١٤١٩هـ .

٤٥) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، الشوكاني . دار المعرفة بيروت .

٤٦) البرهان في علوم القرآن ، الزركشي ، تحقيق يوسف المرعشلي وآخرون ، ط٢ ، ١٤١٢هـ

٤٧) البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان ، للسكسكي ، تحقيق ، بسام العموش ، الأردن ١٤٠٨هـ

٤٨) التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ، أحمد شلبي ، دار النهضة بمصر

٤٩) التاريخ الكبير ، الإمام البخاري ، تحقيق عبد الرحمن المعلمي ، الهند ، ١٣٨٠هـ

٥٠) الترغيب والترهيب ، المنذري . مطبعة السعادة ، القاهرة ١٩٧٦م

٥١) التسعينية ، ابن تيمية ، تحقيق محمد إبراهيم العجلان ، مكتبة المعارف بالرياض ، ط١ ، ١٤٢٠هـ .

٥٢) التعريفات ، الجرجاني . مكتبة وهبة ١٩٧٦م.

٥٣) التكملة لكتاب الصلة ، القضاعي ، القاهرة ، ١٩٥٥م .

٥٤) التمهيد لما في الموطا من المعاني والأسانيد ، ابن عبد البر ، نشر وزارة الأوقاف المغربية .

٥٥) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ، الإمام الملطي ، دار المنارة الأزهرية .

٥٦) التوحيد ، الإمام ابن خزيمه ، تخريج وتعليق عبد الله بن عامر دار الحديث بالقاهرة ، ط ١٤٢٣هـ .
٥٧) التوحيد ، الإمام محمد بن عبد الوهاب ، ضمن مجموعة التوحيد النجدية .
٥٨) التوسل والوسيلة ، ابن تيمية ، تحقيق د. ربيع المدخلي ، مكتبة لينه ط١ ، ١٤٠٩هـ
٥٩) الثقات ، ابن حبان ، تحقيق محمد عبد المعين خان ، حيد أباد ١٩٧٣هـ .
٦٠) الجرح والتعديل ، أبو حاتم الرازي ، تحقيق عبد الرحمن المعلمي ، ١٣٧٣هـ .
٦١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ، تحقيق علي حسن ناصر وآخرون ، دار العاصمة ط١ ، ١٤١٤هـ .
٦٢) الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح ، نعمان الألوسي ، تحقيق أحمد حجازي السقا .
٦٣) الحيدة ، الإمام عبد العزيز الكناني ، ط مكتبة العبيكان ١٤٢٢هـ .
٦٤) الخصائص ، عثمان بن جني ، تحقيق محمد علي النجار ، دار الكتاب العربي ط٢ ، ١٣٧١هـ .
٦٥) الخوارج أول الفرق في الإسلام ، د. ناصر العقل . العبيكان الرياض ١٤١٠هـ
٦٦) الخوارج تاريخهم وآراؤهم الاعتقادية ، د. غالب عواجي ، المكتبة العصرية ط ٢ ، ١٤٢٣هـ .
٦٧) الخوارج نشأتهم فرقهم صفاتهم ، د . سليمان الغصن ، دار كنوز أشبيليا ، ط١ ، ١٤٣٠هـ .
٦٨) الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، السيوطي ، دار الكتاب العربي .

٦٩) الدرة البهية شرح القصيدة التائية ، ابن سعدي ، ضمن مجموعة مؤلفات ابن سعدي ، الميمان للنشر والتوزيع ط١ ، ١٤٣٢هـ .
٧٠) الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة لابن حجر . دار الصحابة ، القاهرة ١٩٧٧.
٧١) الدرر في اختصار المغازي والسير ، ابن عبد البر تحقيق شوقي ضيف ، دار المعارف ط٢ .
٧٢) الديباج المذهب ، ابن فرحون ، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور ، دار التراث القاهرة ، ١٣١٥هـ .
٧٣) الذهبي ومنهجه في كتابة تاريخ الإسلام ، د. بشار عواد ، دار العلم للملايين ط١ .
٧٤) الرد على الزنادقة والجهمية ، الإمام أحمد بن حنبل ، تحقيق دغش العجمي ، دار الإمام البخاري بالدوحة ، ط١ ، ١٤٢٩هـ .
٧٥) الرد على المنطقيين ، ابن تيمية ، تعليق د. رفيق العجم ، دار الفكر اللبناني
٧٦) الرد على من أنكر الحرف والصوت / الإمام عبد الله الجزي، تحقيق د. محمد باكريم با عبد الله ، عمادة البحث العلمي ط ٢ .
٧٧) الرسالة الواضحة في الرد على الأشاعرة ، ابن الحنبلي ، تحقيق ، د. علي الشبل ، مجموعة التحف والنفائس الدولية .
٧٨) السلسلة الصحيحة ، الشيخ الألباني . المكتب الإسلامي
٧٩) السلسلة الضعيفة ، الشيخ الألباني . المكتب الإسلامي
٨٠) السنة ، أحمد بن محمد بن هارون الخلال أبو بكر ، تحقيق ، عطية ابن عتيق الزهراني ط١ .
٨١) السنة ، الإمام أحمد بن حنبل ضمن مجموع مع كتاب الرد على الجهمية ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، مصر .

٨٢) السيرة النبوية ، ابن هشام ، تحقيق مصطفى السقا وزميلاه دار المعرفة ، بيروت لبنان .

٨٣) الشخصية الإسرائيلية ، حسن ظاظا ، دار القلم ، ط٣ ، ١٤٢٠هـ

٨٤) الشرك في القديم والحديث ، أبو بكر محمد زكريا ، مكتبة الرشد ط٢ ، ١٤٢٦هـ .

٨٥) الشريعة ، أبو بكر محمد بن الحسن الآجري ، تحقيق عصام موسى هادي ، دار الدليل الأثرية ، ط١ ، ١٤٢٨هـ .

٨٦) الشيخ خليل هراس وجهوده في تقرير عقيد السلف ، رسالة ماجستير في جامعة أم القرى للباحث موسى السلمي .

٨٧) الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته وفكره ، د. عبد الله العثيمين .

٨٨) الشيعة في الميزان ، النجرامي .

٨٩) الشيعة نشأتها وتطورها ، محمد أرشيد عقيلي ، دار الروضة ط١ .

٩٠) الشيعة والسنة ، إحسان إلهي ظهير ط ٥ .

٩١) الصلاة وحكم تاركها ، ابن القيم ، تحقيق سيد إبراهيم ، دار الحديث المصرية ، ١٤٢٥هـ .

٩٢) الصلة ، ابن بشكوال ، طبعة القاهرة ١٩٦٦م .

٩٣) الصهيونية واليهودية ، عبد الوهاب المسيري ، دار الفكر بدمشق ط٢ ، ١٤٣١هـ .

٩٤) الضعفاء الكبير ، العقيلي ، تحقيق عبد المعطي قلعجي بيروت ١٩٨٤ه،

٩٥) الضعفاء والمتروكين ، النسائي ، تحقيق محمود إبراهيم زايد ، دار الوعي بحلب .

٩٦) العبر في خبر من عبر ، الإمام الذهبي ، تحقيق صلاح الدين المنجد وزميلة ، الكويت ١٩٦٠م .

٩٧) العرش ، للإمام الذهبي .
٩٨) العرش ، محمد بن عثمان بن أبي شيبه ،تحقيق د. محمد بن خليفة التميمي ، مكتبة المرشد طـ ١ ، ١٤١٨هـ .
٩٩) العظمة / أبو الشيخ . دار المعرفة ، بيروت
١٠٠) العقيدة الواسطة لابن تيمية مع شرحها لمحمد خليل هراس طبعة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام ١٣٩٦هـ .
١٠١) العلو ، الإمام الذهبي ، تحقيق د. عبد الله البراك ، دار الوطن ط ١ ، ١٤٢٠ه،
١٠٢) الغريبين ، الهروي . ، المطبعة التجارية ، القاهرة ١٩٦٦هـ
١٠٣) الفرق بني الفرق ، عبد القاهر البغدادي ، تحقيق مجدي فتحي السيد ، المكتبة التوفيقية بالقاهرة .
١٠٤) الفصل في الملل والأهواء والنحل ، لابن حزم ، تحقيق ابي عبد الرحمن عادل بن سعد ، ط١ ، ١٤٢٦هـ دار ابن الهيثم بالقاهرة .
١٠٥) الفطرة حقيقتها ومذاهب الناس فيها ، د. علي القرني ، ط١ .
١٠٦) الفقه الأكبر مع شرحه ، أبو حنيفة ، شرح د. محمد الخميس دار المسلم ، ط١ ، ١٤١٤هـ .
١٠٧) الفكر الديني اليهودي ، حسن ظاظا ، دار القلم ط٤ ، ١٤٢٠هـ .
١٠٨) الفهرست ، ابن النديم .
١٠٩) الفوائد ، ابن القيم ، تحقق محمد خليف يوسف ، دار التوزيع والنشر الإسلامية،١٤١٩هـ
١١٠) الفوائد البهية في تراجم الحنفية ، اللكنوي . الدار الهندية .
١١١) القاموس المحيط ، الفيروز أبادي ،مؤسسة الرسالة ، ط٦ ،١٤١٩هـ .

١١٢) القضاء والقدر ، ابن تيمية ، تحقيق أحمد السايح وزميله ، دار الكتاب العربي ، ١٤٢٩هـ .
١١٣) القضاء والقدر ، عمر سليمان الأشقر ط٤ .
١١٤) القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ، د. عبد الرحمن المحمود .
١١٥) القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى ، ابن عثيمين ، مكتبة العارف بالرياض ، ١٤٠٥هـ .
١١٦) القول المفيد على كتاب التوحيد ، ابن عثيمين ، دار ابن الجوزيه ط٢ ، ١٤٢٤هـ .
١١٧) الكافي في الفقه المالكي ، أبن عبد البر . الدار التوفيقية القاهرة ، ١٩٧٧
١١٨) الكامل في التاريخ ، ابن الأثير . دار الحديث القاهرة ، ١٩٨٦
١١٩) الكامل في الضعفاء ، أبي عدي ، تحقيق عبد المعطي قلعجي ١٩٨٤م .
١٢٠) الكنز المرصود في قواعد التلمود ، ترجمة يوسف نصر الله ، دار القلم طـ ١ ، ١٤٠٨هـ .
١٢١) اللباب في تهذيب الأنساب ، ابن الأثير ، دار صادر ، والقاهرة ١٣٥٦هـ
١٢٢) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، ابن الأثير ، دار الرفاعي بالرياض ط٢ ، ١٤٠٣هـ .
١٢٣) المجروحين ، ابن حبان ، تحقيق محمود إبراهيم زايد ، حلب ١٣٩٦م .
١٢٤) المذكرة في أصول الفقة على روضة الناظر ، محمد الأمين الشنقيطي دار القلم بيروت .
١٢٥) المستدرك ، الحاكم النيسابوري .
١٢٦) المستصفى ، أبو حامد الغزالي ، تحقيق حمزه زهير حافظ .
١٢٧) المصادر العامة للتلقي عند الصوفية ، صادق سليم صادق ، ط ١.
١٢٨) المصنف ، الإمام عبد الرزاق .

١٢٩) المطالب العالية ، ابن حجر .

١٣٠) المطالب العالية ، ابن حجر .

١٣١) المعارف ، ابن قتيبة الدينورى

١٣٢) المعارف ، ابن قتيبة ، دار المعرفة ط١ ، ١٤٠٤هـ .

١٣٣) المعجم الكبير ، الطبراني .

١٣٤) المعجم الوسيط ، دار الكوثر بالقاهرة .

١٣٥) المفردات في غريب القرآن ، الراغب الأصفهاني ، تحقيق محمد خليل عتياني ، دار المعرفة بيروت ، ط١ ، ١٤١٨هـ .

١٣٦) المفسرون بين التأويل والإثبات ، د. محمد عبد الرحمن المغراوي ، مؤسسة الرسالة ط١ ، ١٤٢٠هـ

١٣٧) المقنع ، موفق الدين بن قدامة ، مطبوع مع الشرح الكبير .

١٣٨) الملل والنحل الشهر ستاني ، تحقيق أبي محمد محمد بن فريد المكتبة التوفيقية بالقاهرة .

١٣٩) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، ابن الجوزي ، حيدر أباد .

١٤٠) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، النووي .

١٤١) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ، الندوة العالمية للشباب الإسلامي .

١٤٢) الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير و الأقراء والنحو واللغة ، نشر مجلة دار الحكمة ط١ ، ١٤٢٤هـ .

١٤٣) الناسخ والمنسوخ ، أبو جعفر النحاس ١/٤٠٨ ، تحقيق د. سليمان اللاحم ، مؤسسة الرسالة ط١ ، ١٤١٢هـ

١٤٤) النبوات ، ابن تيمية ، تحقيق د. عبد العزيز الطويان ، الجامعة الإسلامية ، ط٢ ، ١٤٢٧هـ .

١٤٥) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة .

١٤٦) النسخ في القرآن الكريم ، د. مصطفى زيد .

١٤٧) النصرانية من التوحيد إلى التثليث ، د. محمد أحمد الحاج ، دار القلم ، ط ٢ ، ١٤٢٣هـ .

١٤٨) النكت والعيون ، الماوردي ، دار المعرفة .

١٤٩) النهاية في غريب الحديث ، ابن الأثير ، تحقيق محمود الطناحي وزميله ، القاهرة ، ١٩٦٣هـ .

١٥٠) الوشيعة في نقد عقائد الشيعة ، موسى جار الله ، دار الهداية ط١

١٥١) اليهودية ، أحمد شلبي ، مكتبة النهضة المصرية ط٢ ، ١٩٨٨م .

١٥٢) إنباه الرواة على أنباه النحاة ، القفطي ، دار صادر

١٥٣) بذل المجهود في إثبات مشابهة الرافضة لليهود ، د. عبد الله الجميلي ، مكتبة الغرباء الأثرية ، ط١ ، ١٤١٣هـ .

١٥٤) برتوكلات حكماء صهيون ، محمد خليفة التونسي .

١٥٥) بغية الدعاه ، السيوطي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ١٩٦٤م

١٥٦) بغية الملتمس ، ابن بشكوال

١٥٧) بلوغ المرام ، ابن حجر العسقلاني ، تصحيح محمد حامد الفقي .

١٥٨) بيان تلبيس الجهمية ، ابن تيمية ، تحقيق مجموعة من المحققين طبعة مجمع الملك فهد لعام ١٤٢٦هـ .

١٥٩) تاريخ الإسلام ، الإمام الذهبي .

١٦٠) تاريخ الأقباط ، زكي شنودة . الدار المصري بالإسكندرية .

١٦١) تاريخ التراث العربي ، سزكين

١٦٢) تاريخ الطبري ، الإمام ابن جرير الطبري .

١٦٣) تاريخ بغداد ، الخطيب البغدادي ، القاهرة ١٩٣١هـ .
١٦٤) تاريخ دمشق ، ابن عساكر .
١٦٥) تأويل مختلف الحديث ، ابن قتيبة ، تحقيق سليم الهلالي . دار ابن القيم وابن عفنان ، ط١ .
١٦٦) تبين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري ، ابن عساكر ، دار الكتاب العربي ، ط ٤ ، ١٤١١هـ .
١٦٧) تحفة الأحوزي ، المباركفوري .
١٦٨) تذكرة الحفاظ ، الإمام الذهبي ، تحقيق عبد الرحمن المعلمي ط ١٣٧٧هـ
١٦٩) ترتيب المدارك ، القاضي عياض ، تحقيق أحمد بكير ، بيروت .
١٧٠) تعظيم قدر الصلاة ، المروزي ، تحقيق د. عبد الرحمن الفريوائي ، مكتبة الدار بالمدينة ، ط١ ، ١٤٠٦هـ .
١٧١) تفسير الطبري ، الإمام الطبري ، تحقيق محمود وأحمد شاكر دار المعارف بمصر .
١٧٢) تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، تحقيق عبد الرزاق المهدي ، دار الكتاب العربي ، ط ١ ، ١٤٢٢هـ .
١٧٣) تفسير الكريم الرحمن ، ابن سعدي ، مؤسسة الرسالة ، ط١ ، ١٤٢٣هـ
١٧٤) تلبيس إبليس ، أبو الفرج الجوزي ، دار المدني للطباعة والنشر .
١٧٥) تهذيب الآثار ، الإمام الطحاوي .
١٧٦) تهذيب الأسماء واللغات ، الإمام النووي .
١٧٧) تهذيب التهذيب ، ابن حجر العسقلاني ، حيد آباد ١٣٢٥هـ .
١٧٨) تهذيب الكمال ، يوسف بن عبد الرحمن المزي .
١٧٩) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ، سليمان بن عبد الله إبن محمد بن عبد الوهاب ، المكتب الإسلامي ط٦ ، ١٤٠٥هـ .

١٨٠) جامع العلوم والحكم ، ابن رجب ، مراجعة يوسف الشيخ وزميله ط١ ، ١٤٢٢هـ .
١٨١) جامع بين العلم وفضله ، ابن عبد البر ، تحقيق أبي الأشبال الزهيري ، دار ابن الجوزي ط١ ، ١٤١٤هـ .
١٨٢) جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس ، الحميدي ، ط القاهرة ، ١٩٥٢م .
١٨٣) جزء فيه أجوبة في أصول الدين ، ابن سريج ، تحقيق وليد العلي ، دار البشائر بيروت ، ط ١ ، ١٤٢٧هـ .
١٨٤) جمهرة أنساب العرب ، ابن حزم ، تحقيق عبد السلام هارون ، ١٩٦٢م .
١٨٥) جناية التأويل الفاسد على العقيدة الإسلامية ، د. أحمد لوح ، دار وابن عفنان ، ط١ ، ١٤٢٤هـ .
١٨٦) جهود الحافظ بن عبد البر في دراسة الصحابة ، د. مجيد خلف ، دار ابن حزم ، ط ١ ، ١٤٢٧هـ .
١٨٧) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ، ابن القيم ، تحقيق يوسف علي بديوي ، دار طيبة ، ط٤ ، ١٤٢٠هـ .
١٨٨) حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين ، د. عبدالرحمن بن صمايل السلمي .
١٨٩) حلية الأولياء ، أبو نعيم الأصبهاني . دار الفكر بيروت ١٩٨٨م
١٩٠) دائرة معارف القرن العشرين ، محمد فريد وجدي . دار الشعب ١٩٦٠.
١٩١) درء تعارض العقل والنقل ، ابن تيمية ، تحقيق محمد رشاد سالم ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ط١ و ط ٢.
١٩٢) دراسات إسلامية في أصول الأباضية ، بكر بن سعد أعوشن ، ط٣ ، دار وهبة بالقاهرة ، ١٤٠٨هـ .

١٩٣) دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية ، د. سعود الخلف . المكتبة الوقفية ، المدينة المنورة ، ١٤١٨هـ
١٩٤) دعوة التوحيد ، محمد خليل هراس ، دار الكتب العلمية . بيروت ١٩٧٧
١٩٥) ديوان الشافعي ، الإمام الشافعي ، تحقيق إميل يعقوب ،دار الكتاب العربي ، ط ٦، ١٤٢٢هـ .
١٩٦) ديوان أمية بن أبي الصلت ، تحقيق سجيح الجبيلي ، دار صادر ، ط١ ، ١٩٩٨م .
١٩٧) ديوان بن قيس الرقيات ، تحقيق محمد يوسف نجم ، دار صادر بيروت .
١٩٨) ذم الكلام وأهله ، الإمام أبو إسماعيل الهروي ، تحقيق عبد الله الأنصاري ، مكتبة الغرباء بالمدينة ، ط١ ، ١٤١٩هـ .
١٩٩) ذيل طبقات الحنابلة .
٢٠٠) رد الدارمي على بشر المريسي ، تحقيق محمد حامد الفقي ، مكتبة ابن تيمية .
٢٠١) رسالة إلى أهل الثغر ، الإمام أبو الحسن الأشعري ، تحقيق د. عبد الله شاكر الجنيدي ، عمادة البحث العلمي ط٣ ، ١٤٢٧هـ .
٢٠٢) رسالة في الرد على الرافضة ، الإمام محمد بن عبد الوهاب ، دار البرهان
٢٠٣) رسائل ودراسات في الأهواء والإفتراق والبدع ، د. ناصر العقل .
٢٠٤) زاد المعاد في هدي خير العباد ، ابن القيم ، تحقيق شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة .
٢٠٥) زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الإستثناء فيه ، د. عبد الرزاق عبد المحسن البدر .
٢٠٦) سير أعلام النبلاء ، الإمام الذهبي ، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرون ، مؤسسة الرسالة ط ١٠.

٢٢٢) صيانة الإنسان من وسوسة الشيخ دحلان ، محمد بشير السهواني تعليق الشيخ رشيد رضا ، دار التوحيد للتراث .

٢٢٣) ضحى الإسلام ، أحمد أمين ، دار النهضة المصرية ط ٣ .

٢٢٤) طبقات ابن سعد ، دار صادر بيروت .

٢٢٥) طبقات الحفاظ ، السيوطي . القاهرة ، دار النهضة .

٢٢٦) طبقات الحنابلة ، أبو يعلى الفراء ، تحقيق محمد حامد الفقي . المكتبة السلفية القاهرة ، ١٩٤٤هـ

٢٢٧) طبقات الشافعية ، ابن قاضي شهبه . دار العلم للملايين ١٩٨٨م

٢٢٨) طبقات الشافعية ، الأسنوي ، تحقيق عبد الجبوري بغداد ، ١٣٩١هـ

٢٢٩) طبقات الشافعية الكبرى ، السبكي ، تحقيق عبد الفتاح الحلو ومحمود الطناحي ، القاهرة ، ١٩٦٤هـ .

٢٣٠) طبقات المعتزلة ، ابن المرتضى . الدار الشامية للنشر والتوزيع دمشق ١٩٨٨م

٢٣١) طبقات المفسرين ، للداودي . دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٨٩

٢٣٢) طبقات فحول الشعراء ، محمد بن سلام الجمحي ، شرحه محمود شاكر ، مطبعة المدني بالقاهرة .

٢٣٣) عقائد الثلاث والسبعين فرقة ، أبو محمد اليمني،عبدالله زربان الغامدي ط ١.

٢٣٤) عقيدة الإمام ابن عبد البر في التوحيد والإيمان ، د. سليمان الغصن ، دار العاصمة ، ط١ ، ١٤١٦هـ .

٢٣٥) عقيدة السلف وأصحاب الحديث ، تحقيق أبي اليمين المنصوري ، دار المنهاج ط١ ، ١٤٢٣هـ .

٢٣٦) علماء ومفكرون عرفتهم ، محمد المجذوب ، دار الاعتصام .

٢٣٧) عمدة التفسير في اختصار تفسير ابن كثير ، أحمد شاكر .
٢٣٨) غريب الحديث ، أبو عبيد ، دار الفكر بيروت ، ١٩٨٥.
٢٣٩) فتاوي ابن عثيمين في العقيدة ، دار الثريا ، ط١ ، ١٤٢٩هـ .
٢٤٠) فتح الباري ، ابن رجب ، مكتبة الغرباء الأثرية ، المدينة المنورة .
٢٤١) فتح الباري ابن حجر ، المطبعة السلفية . القاهرة ١٩٥٥.
٢٤٢) فتح البيان في مقاصد القرآن ، صديق حسن خان ، مطبعة العاصمة القاهرة
٢٤٣) فتح رب البرية بتلخيص الحموية ، ابن عثيمين ، دار الإتقان بالإسكندرية ط٢ ، ١٤٢٨هـ .
٢٤٤) فتوح البلدان ، البلاذري ، دار الكتب العلمية ، ١٤٣٠هـ .
٢٤٥) فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام ، د. غالب عواجي ، الدار العصرية ط٧ ، ١٤٣٠هـ .
٢٤٦) فضل علم السلف على الخلف ، ابن رجب ، تحقيق محمد بن ناصر العجمي ، دار البشائر الإسلامية ، الكويت ط٢ .
٢٤٧) فطرية المعرفة ، د. أحمد بن سعد الحمدان الغامدي ، ط١ .
٢٤٨) فوات الوفيات ، ابن شاكر الكتبي ، تحقيق إحسان عباس ، ١٩٧٣م .
٢٤٩) فوائد في مشكل القرآن ، العز بن عبد السلام ، تحقيق سيد رضوان دار الشروق ط٢ ، ١٤٠٢هـ .
٢٥٠) قرة عيون الموحدين ، عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ، تحقيق أبو البخاري سعيد ، مكتبة الرشد ، ط٥ ، ١٤٢٨هـ .
٢٥١) قصة الحضارة ، وول ديورانت ، دار الجيل ١٤١٩هـ .
٢٥٢) قطر الولي على حديث الولي ، الشوكاني ، تحقيق إبراهيم هلال ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
٢٥٣) كشف الظنون ، حاجي خليفة دار الفكر .

٢٥٤) كلمة الإخلاص وتحقيق معناها ، ابن رجب تخريج وتعليق عماد طه فره ، دار الصحابة للتراث بطنطا ، ط١ .

٢٥٥) لسان العرب ، ابن منظور ، دار الكتب العلمية ط١ .

٢٥٦) لمع الأدلة ، الجويني ، تحقيق د. فوقيه حسين محمود ، المؤسسة المصرية للتأليف والنشر .

٢٥٧) لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد ، موفق الدين بن قدامة ، دار السوادي ، والسلفية ط ٢.

٢٥٨) لوامع الأنوار البهية ، السفاريني ، مؤسسة الخافقين ، دمشق ط٢ ، ١٤٠٢هـ

٢٥٩) مجمع الزوائد ، الهيثمي . دار العلم للملايين ١٩٨٥م .

٢٦٠) مجمل اللغة ، ابن فارس ، تحقيق زهير عبد المحسن ، ط١ ، ١٤٠٤هـ .

٢٦١) مجموع الفتاوي لابن تيمية ، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم

٢٦٢) مجموع فتاوي ومقالات متنوعة ، ابن باز .

٢٦٣) محاضرات في النصرانية ، محمد أبو زهرة ، دار الفكر العربي .

٢٦٤) مختصر الصواعق المرسلة ، اختصار محمد بن الموصلي ، تحقيق ، مصطفى أبو المعاطي ، دار الغد الجديد ط١، ١٤٢٧هـ

٢٦٥) مختصر تاريخ الإباضية ، أبو الربيع سليمان الباروني ، ط ٣، دار الاستقامة تونس.

٢٦٦) مدارج السالكين ، ابن القيم ، تحقيق محمد البغدادي ، دار الكتاب العربي ط٦ ، ١٤٢١هـ .

٢٦٧) مذاهب الإسلاميين ، عبد الرحمن بدوي ، دار العلم للملايين ، ط١، ١٩٩٦م .

٢٦٨) مسائل الإمام أحمد ، ابن هانئ ، المكتب الإسلامي ط ١ ، ١٤٠٠هـ .

٢٦٩) مسائل الإمام أحمد ، النيسابوري . دار العلم للملايين ، بيروت
٢٧٠) مسند الإمام أحمد بتحقيق أحمد شاكر ط ١.
٢٧١) مشاهير علماء الأمصار ، ابن حبان . مطبعة مصطفى وعيسى الحلبي القاهرة ١٩٥٥.
٢٧٢) معارج القبول ، حافظ حكمي ، تحقيق محمد صبحي حلاق ، دار ابن الجوزي ط١.
٢٧٣) معاني القرآن ، الفراء ، القرآن الكتب ط ٣ ، ١٤٠٣هـ .
٢٧٤) معجم الأدباء ، ياقوت الحموي . دار صادر
٢٧٥) معجم البلدان ، ياقوت الحموي ، دار صادر .
٢٧٦) معجم المطبوعات ، سركيس ط القاهرة ، ١٩٢٨م .
٢٧٧) معجم المؤلفين ، رضا كحالة . دار الشعب مصر .
٢٧٨) معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار الكتب العلمية .
٢٧٩) مفتاح دار السعادة ، ابن القيم ، تحقيق علي الحلبي ، دار ابن القيم وانب عفان ط١ ، ١٤٢٥هـ .
٢٨٠) مقالات الإسلاميين ، أبو الحسن الأشعري ، تحقيق أحمد جاد ، دار الحديث القاهرة ، ١٤٣٠هـ .
٢٨١) مقدمة ابن خلدون ، عبد الرحمن بن خلدون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ط١ ، ١٩٦٣م .
٢٨٢) مناظرة بين الإسلام والنصرانية ،د محمد جميل غازي وزميله دار التوحيد للتراث .
٢٨٣) مناظرة جعفر الصادق مع الرافضي ، تحقيق د. علي الشبل ط١ ، ١٤٢٥هـ مكتبة الر شد .

٢٨٤) مناقب الإمام أحمد ، أبن الجوزي ، تحقيق د. عبد الله التركي ط١ ، ١٣٩٩هـ وطبعة دار الكتب العلمية .
٢٨٥) مناهج اللغويين في تقرير العقيدة ، د. محمد الشيخ عليو محمد ، مكتبة دار المنهاج ط١ ، ١٤٢٧هـ .
٢٨٦) مناهل العرفان في علوم القرآن ، الزرقاني ، دار الكتب العلمية ١٤١٦هـ
٢٨٧) منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب ، عبد العزيز بن معمر .
٢٨٨) منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز ، محمد الأمين الشنقيطي مكتبة السنة بالقاهرة ، ١٤١٤هـ .
٢٨٩) منهاج السنة / ابن تيمية ، تحقيق محمد رشاد سالم جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ط١ ، ١٤٠٦هـ .
٢٩٠) منهاج الطالبين ، النووي ، مطبوع مع شرحه مغني المحتاج تحقيق علي محمد عوض وزميله ، دار الكتب العلمية ط ١ ، ١٤١٥هـ .
٢٩١) منهج الإمام الشوكاني في العقيدة ، د . عبد الله نومسوك .
٢٩٢) منهج التأليف عند الإمام ابن عبد البر من خلال كتابه التمهيد، عارف السحيمي ،مكتبة دار الصحابة ،دار المدينة المنورة ط١ ، ١٤٢٩هـ .
٢٩٣) منهج نقد الحديث عند الحافظ بن عبد البر ، مصطفى حميد أتو ، دار الضياء ، ط١، ١٤٢٨هـ .
٢٩٤) موسوعة اليهودية والصهيونية ، عبد الوهاب المسيري ، دار الشروق ط١ ، ١٩٩٩م .
٢٩٥) موقف الرافضة من القرآن الكريم ، ماما دوكار أميري ،ط١.
٢٩٦) نزهة الألباب في تراجم الأدباء ، تحقيق إبراهيم السامرائي ، ١٩٥٩م
٢٩٧) نيل الأوطار ، الشوكاني ، دار ابن حزم ، ط١ ، ١٤٢١هـ

٢٩٨) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ابن القيم تحقيق ، د. محمد أحمد الحاج ، دار القلم ط١ ، ١٤١٦هـ .

٢٩٩) هداية العارفين في أسماء المصنفين . دار العروبة بيروت .

٣٠٠) وفيات الأعيان / ابن خلكان . دار الحديث ، القاهرة ١٩٨٥.

٣٠١) وقائع المناظرة التي جرت بين الشيخ رحمة الله الهندي والقسيس فندر اللانكيزي ، بسام عبد الوهاب الجابي ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت ط١، ١٤١٧هـ .

تراجم الأعلام

فهرس الأشعار

بيت الشعر			رقم الصفحة
الا طرقت في آل بثنة طارقة	....	على أنها معشوقة الدل عاشقة	٣٥
أن تغفر اللهم تغفر جما	....	وأي عبد لك لا ألما	٧٠
لما رأيت الأمر أمراً منكراً	....	أججت ناري ودعوت قنبرا	١٠١
فسبحان من لا يقدر الخلق قدره	....	ومن هو فوق العرش فرد موحد	٢١٠
مليك على عرش السماء مهيمن	....	....	٢١٠
فأوردتهم ماءً بفيفاء كفرة		وقد حلق النجم اليماني فاستوى	٢١٠
قدر ما شاء كيف شاء	....	ولم يطلع على علم غيبه بشرا	
ويرقى العباد منفردا		....	٢١٠
ثم جر بالذي انقضى قلم		....	٢٨٢
فما شئت كان وإن لم أشأ		وما شئت وإن لم تشأ لم يكن	
خلقت العباد		....	٢٨٧
على ذا مننت		....	٢٨٧
فمنهم شقي........		....	٢٨٧
ومنهم فقير		....	٢٨٧
ليس لله العظيم ند		وهذه الأقدار لا ترد	
على وقت		....	٢٩٥
وليس في هذا		....	

فهرس الفرق والطوائف والأديان

فهرس كلمات غريبة لم تعرف

فهرس الأماكن

فهرس الموضوعات